الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري _ قسنطينة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الرقم الترتيب 102/DS/2019
الرقم التسلسلي 09/AR/2019

النقد اللساني لدى سعد مصلوح

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: سامية بن دريس

تحت إشراف: أ.د/ يوسف وغليسي

لجنة المناقشة: 17/06/2019

أ.د يوسف وغليسي	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.د زهيرة بو الفوس	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	رئيسا
أ.د الصديق حاجي	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	عضوا مناقشا
أ.د صالح خديش	جامعة عباس لغرور خنشلة	عضوا مناقشا
أ.د رابح دوب	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا مناقشا
د. سفيان بوعنينبة	جامعة 20أوت1955 سكيكدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018 _2019

شـــــــــــكر:

من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

موفور الشكر والعرفان بالجميل إلى أستاذي الكريم الدكتور يوسف وغليسي ، الذي أشرف على رسالتيّ في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. فوجدته نعم المرشد ونعم الموجه ، بعلمه الغزير وصدره الرحب وتواضعه الجمّ.

كما أشكر كل الأساتذة المخلصين الذين تلقيت على أيديهم العلوم والمعارف.

وكل الذين شجعوني ولو بكلمة على المضيّ قدما لإنجاز هذا العمل.

الإهـــداء:

_ إلى كل المثابرين من أجل تحصيل العلوم والمعارف إيمانا منهم أنّ خلاص أمتنا من براثن الجهل والتخلف والعصبية لن يتأتى إلاّ عبر هذا الباب.

_ إلى أمي وأبي

_ إلى أسرتي الصغيرة والكبيرة.

_ إلى كل من ساندني.

المقـــــــــدمة

عندما عرض عليّ أستاذي المشرف ، الدكتور يوسف وغليسي الخوض في غمار التجربة النقدية للعلامة سعد مصلوح، تردّدت كثيرا لأسباب منها أنّ هذا الاسم ليس متداولا بشكل كاف في مجال النقد العربي بقدر تداوله في مجال اللسانيات.

وقبل الرّد الإيجابي على العرض المقدّم، عدت إلى بعض مؤلفات العلاّمة وبصفة خاصة "الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية" و" في النص الأدبي : دراسات أسلوبية إحصائية" ثم " في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : آفاق جديدة" و" في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومثاقفات".

والواقع أنني انبهرت بالدراسات المقدمة نظريا وتطبيقيا ؛ من حيث المنهجية ونوعية المعالجة والجهاز الاصطلاحي. وكنت كلّما توغلت في القراءة _ على صعوبتها _ أكتشف جديدا على مستوى الوعي، والإلمام بالمنهج ، مع تحري الدقة والموضوعية، لأكتشف شخصية نقدية متفرّدة في النقد العربي المعاصر؛ بالنظر إلى ما قدمته في مجمل مجالات النقد والدراسات اللسانية، وما تتميز به بحوثها من حصافة وجدية في الطرح. ومن هنا بدأت هذه المغامرة.

وعلى الرغم من أنّ دراسات الدكتور مصلوح اعتُمدت مراجع ومصادر لكتب ورسائل جامعية كثيرة، وعلى وجه الخصوص ما تعلّق بالأسلوبية الإحصائية، فإنّ مدوّنته لم تحظ بالاهتمام الذي هي جديرة به إلاّ قليلا؛ نذكر من ذلك القليل دراسة الدكتور حافظ اسماعيلي علوي : "النقد اللساني عند الدكتور سعد مصلوح : منطلقاته وتجلياته وأسسه الاستدلالية " ودراسة الدكتور عبد السلام السيد حامد الموسومة بـ " لسانيات النص عند الدكتور سعد مصلوح" و دراسة الدكتور سعيد أكنبي عالمي" سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية: قراءة في مشروعه لتوطين العلم" بالإضافة إلى دراسة الدكتور يوسف وغليسي" سعد مصلوح ناقدا لسانيا". مع

العلم أنّ هذه الدراسات جمعت في كتاب واحد " الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح سيرة ومسيرة".

كما أننا لم نعثر _ في حدود علمنا _ على دراسة تعنى بالمنجز النقدي للدّكتور باعتباره حاملا لمشروع، وإنما هناك دراسات لمجال من مجالات انشغاله، نذكر منها:

_ سؤال البلاغة عند مصلوح، للدكتور أحمد يوسف علي.

_ لسانيات النص عند الدكتور سعد مصلوح لعبد السلام حامد.

_ الأسلوبية عند سعد مصلوح وصلاح فضل لعبد الله الهتان (رسالة دكتوراه قدمت بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية).

_ لغة الإعلان التجاري في صحيفة الأهرام المصرية : دراسة لغوية تاريخية لعبير صلاح الدين الأيوبي (رسالة دكتوراه بالجامعة المصرية).

_ التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة : دراسة تطبيقية لمعلقتي طرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم لخولة حسن عثمان ساتي (ماجستير 1987 جامعة الكويت).

ومن هنا فدراستنا تعدّ جديدة في بابها بحكم تركيزها على هذه الجوانب مجتمعة، في إطار دراسة المنجز النقدي للعلامة سعد مصلوح، الذي لم تسلّط عليه الأضواء كما ينبغي، ولم ينل حظه من الدراسة على الرغم مما قدّمه من بحوث ودراسات جادة.

لذلك ضبطنا مع الأستاذ المشرف الدكتور يوسف وغليسي، جانبا محددا من خطة البحث، الذي يدور حوله مجال انشغالنا، وهو " النقد اللساني لدى الدكتور سعد

مصلوح" ؛ ذلك أنّ العلاّمة موسوعي الثقافة، جمع بيد واحدة بين عدة تخصصات، فهو لساني بارع، له صيت ذائع في مجال الصوتيات المختبرية ، وقد حاز رسالة دكتوراه من روسيا في هذا التخصص الدقيق تحت عنوان : " الأسس الأكوستيكية للقافية في الشعر العربي" (1975) في وقت كان عدد المتخصصين العرب في هذا الحقل لا يكاد يتجاوز أصابع اليد الواحدة. لكن انشغاله بمجال تخصصه ، لم يمنعه من مدّ بصره نحو آفاق أخرى، وثيقة الصلة بمجالات الأدب والنقد واللغة، لتغذية ثقافته وتعزيزها؛ إذ أنّه واسع الاطلاع على التراث النحوي والبلاغي العربي قديمه وحديثه، ملم به أيّما إلمام، حافظ للشعر بكل أغراضه وأنواعه ، قديمه وحديثه، متمكن من الشواهد والأخبار وعيون الأدب وتاريخه. وفي الوقت ذاته ملمّ بالثقافة اللسانية التي أخذها من مظانها الأصلية، وعلى الخصوص في اللسانين الروسي والإنجليزي. وهو _ فضلا عن كل هذا _ باحث وناقد وشاعر ومترجم. ناهيك عن خوضه في مجالات المعجمية ونقد النقد وغيرها.

وبذلك فقد كان هذا الإلمام وهذه الموسوعية محفّزين لنا للخوض في حقل النقد اللساني كما تمثّله العلامة سعد مصلوح ، لأسباب نذكر منها: أوّلا لأن النقد المعاصر _ في مجمله _ تأسّس على خلفية لسانية خالصة. وثانيا لأنّ الدكتور سعد مصلوح من أشدّ المؤمنين به ، حتى استحال إلى عقيدة علمية راسخة لديه.

وصمدا لهذه الغاية، قسمنا البحث إلى أربعة فصول هي:

_ الفصل الأول:

وفيه حاولنا الإجابة عن إشكالية الفصل: أي ما العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي؟ على الرغم من أنّ صلة النقد بالدرس اللغوي كانت معروفة منذ القديم. لكن اللسانيات بما أثارته من تحول في مجال دراسة اللغة أحدثت منعرجا خطيرا أدى

إلى إفادة كثير من الحقول المعرفية منها ، وفتح قنوات حوار بينها. هذا الانفتاح أفضى إلى تأثر النقد الأدبي بالمنجز اللساني، وإن كان ذلك قد تأخّر لبعض الوقت. وقد وقفنا مع علاقة المناهج الأدبية باللسانيات وتبنيها لمقولاتها. بدءا بمنجزات الشكلانيين الروس، ثم أسلوبية شارل بالي والأسلوبيات عموما ، ثم البنيوية وتأثرها باللسانيات ،خاصة على مستوى دراسة البنية المغلقة والوحدات اللغوية وموت المؤلف، مع الإشارة إلى ظهور التفكيكية كإجراء في نقد البنيوية ونقد اللوغوس ثم ذلك التأثير الذي أحدثته اللسانيات في النقد الاجتماعي وظهور السوسيونقد الذي أصبح ينطلق من داخل النص إلى خارجه. وبعدها استقصينا كيفية انتقال دراسة المناهج النقدية من الثقافة الغربية المنتجة إلى الثقافة العربية المستقبلة، وأهم العوائق التي واجهتها عند محاولة الاستنبات ، افتتحناها بدراسة توفيق الزيدي في كتابه " أثر اللسانيات في النقد الأدبي" ثم " الألسنية والنقد الأدبي " لموريس أبو ناضر. ولاحظنا كيف بدأ الوعي النقدي ينبثق من خلال الاحتكاك المباشر للنقاد العرب بالدرس اللساني والأسلوبي والبنيوي والسوسيونقدي في الغرب وآثار ذلك على النقد العربي.

و أفردنا جزءا من الفصل الأول لبحث العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي لدى العلامة سعد مصلوح، بوصفه أحد أكثر الباحثين والنقاد العرب إيمانا ووعيا بأهمية الدرس اللساني بالنسبة للدرس النقدي، من أجل عقلنة التذوق وإضفاء نوع من الصرامة والانضباط العلمي عند معالجة النص الأدبي، بتفعيل الآليات الإجرائية في هذا المجال ، مميزا بين فريقين من الباحثين؛ لسانيين ومتألسنين، مع توضيح الفرق بينهما. مذكرا بأهم العوائق التي واجهت اللسانيات العربية ومعها الدرس النقدي، والمشكلات التي تواجهه والعوائق التي تقف في طريق تطوره فتنقله من عالم التلقي إلى عالم الإنتاج.

_ **أمّا في الفصل الثاني** فقد تناولنا الأسلوبية الإحصائية باعتبارها إحدى آليات تحليل النص الأدبي، والتي يعدّ الدكتور سعد مصلوح أحد روادها البارزين، سواء من ناحية المداخل النظرية أو من ناحية الممارسات الإجرائية. حيث أشرنا في البداية إلى الأسلوبية الإحصائية والأسس النظرية التي تقوم عليها و كما تمثّلها الناقد سعد، مقدما مفهوما توضيحيا للأسلوب باعتباره يمثل وجهات نظر متباينة شارحا أهم المقاييس المعتمدة في التحليل الأسلوبي الإحصائي، وخاصة معادلة بويزمان ومقياس جونسون ومشروع دوليجيل.

أما على المستوى الإجرائي فقد اختار عينات مختلفة من الشعر والنثر والمؤلفين والصور البيانية، مجريا التعديلات التي رآها تتناسب وطبيعة اللغة العربية، فامتدت معالجاته التطبيقية إلى :

_ معادلة بويزمان لتشخيص الأساليب.

_ أمثلة تطبيقية من الأساليب النثرية: وتناول فيها عامل العمر وأثره في إنتاج طه حسين انطلاقا من كتاب " الأيام" في السيرة الذاتية. ثم الفرق بين الكتابة الذاتية والكتابة الموضوعية من خلال حساب الفرق بين كتاب" الأيام" و" مستقبل الثقافة في مصر" ، ثم بين طه حسين والعقاد في كتابه "حياة قلم". وكذلك فعل مع فنون أدبية أخرى على غرار الرواية والمسرحية. مع تأكيده للفرضيات التي انطلق منها جاعلا منها نتائج لبحثه، تبرهن على أهمية الإحصاء الأسلوبي في المعالجة النقدية. وقد توقفنا مع بعض الانتقادات التي وجهت للدكتور مصلوح وردّه عليها.

_ مقياس جونسون لقياس خاصية تنوع المفردات:

وتناول فيها تطبيقات مقياس جونسون على الأسلوب عند العقاد والرافعي وطه حسين ، لمعرفة درجة التنوع في الأساليب، لدى هؤلاء الأعلام الثلاثة.

_ مقياس يول و تحقيق نسبة النص إلى المؤلف:

وحاول تطبيقه على المجهول من شعر أحمد شوقي؛ سواء ما نشره باسم مستعار أو ما يسمى بالقصائد الروحية التي ظهرت بعد وفاته.

_ في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة:

وفيه حدّد مفهوما إجرائيا للاستعارة وأهم تصنيفاتها، مختبرا لها من خلال إنتاج ثلاثة من الشعراء؛ هم البارودي وشوقي والشابّي. متوصلا إلى نتائج تثبت ماذهب إليه، من خلال تحديد الفرق بين استخدام الاستعارات وأنواعها لدى كل شاعر.

_ حاشية أسلوبية على لغة الخطاب النقدي:

وقد تخير لها جملة من أعلام النقد العربي الحديث والمعاصر؛ و هم طه حسين وعباس محمود العقاد ومحمد النويهي ويوسف خليف وأدونيس وكمال أبو ديب، من أجل اختبار التناسب الكمي بين التحليل والاستشهاد. وبين مجازية اللغة و العلاقة الكمية بين المضمون والعبارة . ومدى دلالتها على التحليل الأسلوبي.

_ **بينما في الفصل الثالث** وقفنا مع الجغرافية الأسلوبية باعتبارها نموذجا من نماذج الإبداع المنهجي لدى الدّكتور سعد مصلوح، والتي اشتقّها من

الجغرافية اللغوية، منطلقا من المعلوم إلى المجهول، محددا أهم المرتكزات التي تقوم عليها؛ كجمع المادة الأسلوبية والأطلس الأسلوبي والخرائط الأسلوبية وخطوط التوزيع، ثم الآفاق التي يراها الباحث لهذا الفرع العلمي الجديد، والإمكانات التي يتيحها خاصة بالنسبة للأسلوبيات التقابلية والأسلوبيات المقارنة ، سواء في لغات تنتمي إلى أرومة واحدة أو في لغات مختلفة الأرومة. لكن هذا المشروع يبقى مجرد طرح نظري في انتظار أن تلتفت إليه أقلام الباحثين, وقد أشرنا إلى أهم العوائق التي

تقف في وجه هذا المشروع بالنسبة إلى اللغة العربية، وخاصة في غياب الأطلس اللغوي الذي يتأسس عليه الأطلس الأسلوبي مبتغى هذه الدراسة.

_ **وفي الفصل الرابع** : تناولنا نحو النص لدى الدكتور سعد مصلوح، أو ما سماه بأجرومية النص، وفيه حققنا في مسألة ريادته _ مع آخرين _ لهذا العلم المستحدث وموقفه من إشكالية المصطلح. ثمّ تتبعنا رؤيته الخاصة التي طعّمها بدراسة تراثية حول كتاب "مفتاح العلوم" لأبي يعقوب السكاكي، بنفي التهم التي نسبت إليه، من حيث هو أول من أصاب البلاغة العربية بالجمود عن طريق التقسيمات التي وضعها

والواقع أنّ الدكتور سعد مصلوح وباستعمال آليات جديدة أفادت من أعلام نحو النص، من أمثال فان ديك ودي بوجراند ودرسلر قد أعاد الكتاب المذكور إلى العصر، بتفعيل ما ورد فيه على اعتبار مفهوم النحو الشامل، خاصة ثلاثية " الفاعل والقابل والأثر"، مؤسسا لمنهج في لسانيات النص بقسمات عربية.

أمّا على المستوى الإجرائي فقد طبّق معايير النصية التي قال بها دي بوجراند ودرسلر على نص جاهلي للمرقش الأصغر _ لأول مرة _ مركزا على معياري السبك والحبك، مع شيء من التصرف بتفعيل ثلاثية السكاكي. منتهيا إلى نتائج مهمة ، يمكن للباحثين اعتمادها للانطلاق نحو دراسة نصية بإمكانها إثراء النقد العربي ، على المستويين النظري والإجرائي. بالإضافة إلى دراسته لكتاب " اللغة العربية: معناها ومبناها" بين نحو الجملة ونحو النص.

و في **الخاتمة** رصدنا أهم النتائج التي استنبطناها من البحث، خاصة ما تعلّق بريادة العلامة سعد مصلوح لعدة مجالات في النقد الأدبي، مع الإشارة إلى استقلالية شخصيته النقدية، التي تميزت بالمرونة، في تعاطيها مع النقد الوافد

بمقولاته ومصطلحاته، أو مع التراث النقدي والبلاغي والسعي نحو إعادته إلى العصر.

وقد استأنسنا في هذه الدراسة بمجموعة من المصادر والمراجع، فمن المصادر نال كتاب " في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة" حصة الأسد ، بوصفه الكتاب الذي ضم أكبر عدد من المباحث التي انبنى عليها بحثنا. وفي درجة تالية جاء كتاب " في الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية" ثم " في النص الأدبي : دراسات أسلوبية إحصائية " فضلا عن بقية المصادر الأخرى.

أماّ عن المراجع فقد اعتمدنا على كتابين هامين هما " العلاّمة سعد عبد العزيز مصلوح: سيرة ومسيرة" وهو كتاب جماعي أنجز من قبل ثلة من الباحثين العرب، نذكر منهم الدكاترة أحمد يوسف علي وحافظ اسماعيلي علوي وعبد السلام السيد حامد وخالد فهمي وسعيد أكنبي عالمي ويوسف وغليسي وغيرهم تكريما للدكتور سعد مصلوح.

بينما تمحور المرجع الثاني حول " الأسلوب والإحصاء " لصاحبه الأستاذ المختار كريّم، والذي كان معينا لنا ، خاصة في الفصل الثاني من هذه الرسالة عند معالجتنا لمبحث الأسلوبية الإحصائية، والذي تناول فيه الأسلوبيات الإحصائية للدكتور مصلوح. بالإضافة إلى " معجم الأسلوبيات " لكاتي وايلز.

هذا ونشير إلى أنّنا استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتحرى الظاهرة ويستقصيها، ثمّ يلخص النتائج.

وقد لاقينا عنتا كبيرا من أجل إنجاز هذا العمل، ويعود الأمر إلى عدّة أسباب نذكر منها:

_ صعوبة الإجراء الأسلوبي الإحصائي في ذاته.

_ قلة الدّراسات المنجزة في هذا الحقل.

_ اعتماد الدكتور مصلوح على مراجع نادرة التداول صعب علينا العودة إليها.

لكنّ ذلك لم يزدنا إلا إصرارا على مواصلة العمل ، خاصة وأنّ المنجز النقدي للعلّامة سعد مصلوح جدير بالبحث والاهتمام ، وما دراستنا هذه إلاّ محاولة متواضعة للاقتراب من هذا المنجز الثريّ والمتنوع ، والذي يحتاج إلى كثير من الدرس والتنقيب والمعالجة. ومن هذا المنبر ندعو الباحثين الشباب لإماطة اللّثام عن منجزات هذه القامة العلمية السامقة التي ارتادت حقولا معرفية كثيرة في مجالات اللغة والأدب، من شأنها أن تشكل إضافات نوعية للنقد العربي، بل وتعمل على حلّ بعض مشكلاته.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقدم الشكر الجزيل والاعتراف بالجميل لكل من دعمنا لإنجاز هذا البحث والمضي به قدما ، خاصة في لحظات اليأس وانسداد الأفق، وأخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور يوسف وغليسي الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته، وكذلك وافر الشكر للأستاذ الدّكتور حسن تليلاني الذي أمدّني بكتاب " الأسلوب والإحصاء" . وكلّ من ساعدني من قريب أو بعيد، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول:
بين اللسانيات والنقد الأدبي

كان الاهتمام باللغة من ضمن الأولويات، التي اعتنت بها الأمم والشعوب المتمدنة منذ القديم، لما لها من دور في الحياة الاجتماعية. أمّا الأمم التي ارتبطت لغاتها بالجانب الديني، كالسنسكريتية والعبرية واللاتينية والعربية، فقد أولاها أصحابها شأنا عظيما، سواء لتفسير النصوص المقدّسة وفهمها أو لحفظها.

أمّا الإغريق _ الأمة الأكثر تمدّنا في عصرها _ فقد بلغوا شأنا عظيما في هذا المجال؛ إذ اعتنوا بالدرس اللغوي وعدّدوا في اتجاهاته، مع ربطه بالممارسة النقدية على النصوص الأدبية ، كما تجلىّ ذلك في أعمال أرسطو (384 _ 322 ق.م) من خلال كتابيه " فن الشعر" و"فن الخطابة" اللذين لم يخلوّا من تأثيرات فلسفية. وكان ذلك بمثابة تأسيس منهجي، تمّ فيه عقد القران بين الدراسة اللغوية والمادة الأدبية، التي أصبحت محور النظر والتحليل والتفسير والتأويل، بغض النظر عن صفة الجزئية وعدم الاكتمال التي وسمت تلك الأعمال الأولى.

وقد أولى العرب _ بعد الإسلام _ جلّ عنايتهم للغتهم جمعا ودراسة، حيث اعتنى اللغويون والنحويون والبلاغيون بمختلف أوجهها، لدراسة القرآن الكريم أوّلا، ثم امتدت هذه الدّراسات إلى الشعر ثانيا. وعلى الرغم النقائص التي اعترت تلك الدراسات، حيث وقفت _غالبا_ عند الشاهد والمثال، فإنّ ثمة جهودا لا يمكن تجاوزها؛ إذ قدّم أصحابها دراسات تنمّ عن وعي عميق بالعلاقة بين الظاهرتين اللغوية والأدبية _ في حدود ما أتاحه العصر_ وقد ظهر ذلك في أعمال عبد القاهر الجرجاني (ت. 471 هـ) سواء في " دلائل الإعجاز" أو" أسرار البلاغة " أو في" مفتاح العلوم " لأبي يعقوب السكاكي (ت.626 هـ) أو بالنسبة إلى " منهاج البلغاء وسراج البلغاء" لحازم القرطاجني (ت. 684هـ).

أمّا في العصر الحديث عند الأوروبيين، فقد عمدوا إلى إحياء التراثين اليوناني والروماني، ساعين إلى تطبيق مقولاتهما على النصوص الشعرية خاصة، باعتبار الأدب القديم النموذج الأعلى في الأدب والفنّ. وكل خروج عن معاييره هو خروج عن قواعد الأدب. لذلك ما فتئت المدارس اللاحقة أن ثارت على الوضع فاسحة المجال لنظريات ومناهج أخرى استعانت بالسياق الخارجي سواء أكان نفسيا أو اجتماعيا أو تاريخيا أو على صلة بالبيئة والعصر أو بعلوم أخرى مجاورة. وهذا لايعني أفول النقد اللغوي مع انتعاش النحو المقارن والفيلولوجيا.

وعلى العموم يمكن القول إنّ المدرسة النقدية كانت ترتكز في مقاربتها للأعمال الأدبية على الدراسات اللغوية، بمختلف مستوياتها منذ القديم . لكن توثيق الصلات بين الحقلين _كما يجمع جلّ الباحثين_ كان نتيجة لظهور كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" لفرديناند دوسوسير(1916) (Cours de linguistique général) (Ferdinand de saussure)، الذي أحدث انقلابا جذريا في مجال الدراسات اللسانية والدراسات المجاورة لها، وحتى بالنسبة لحقول معرفية ظلت إلى وقت غير بعيد مستقلة بذاتها.

كان هذا الانقلاب بمثابة التأسيس لمنهج جديد، سواء على مستوى الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي، أو على مستوى الرؤية المنهجية؛ ذلك أنّ الدارس لهذه المحاضرات، أنها تستجمع مختلف المحدّدات الضرورية للتأسيس، إذ نجد فيها وعيا قصديا، يدرك دلالة المشروع ومتطلباته مع الحرص على بناء الجهاز المفاهيمي وإعطائه الرؤية المنهجية الواجب إنتاجها مدخلا لمقاربة الظاهرة اللغوية.

والمعلوم لدى دوسوسير، أنه ميز بين عدة قضايا متعارضة، منها اللغة واللسان والكلام، وبين الدال والمدلول والدلالة، إذ نظر إلى اللغة (language) على المستوى

المفاهيمي على أنّها " نظام من الإشارات جوهره الوحيد الربط بين المعاني والصور الصوتية. وكلا طرفي الإشارة يكون سيكولوجيا"[1].

أمّا اللسان (langue) فله جانبان " جانب فردي وجانب اجتماعي، ولا يمكن أن نتصور أحدهما بغير الآخر"[2]. وبتعبير آخر" فاللغة ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة، تنتج من الملكة اللغوية. أماّ اللسان فهو جزء معين متحقّق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع، وهو اجتماعي وعرفي، ويشكّل نظاما متعارفا عليه داخل جماعة إنسانية محددة"[3]. في حين يعرّف الكلام باعتباره الإنجاز الفردي الذي ينتمي إلى اللسان. ولأنّ اللسانيات عند دوسوسير منظومة اجتماعية، فإنه دعا إلى" دراسة اللسان لأنه اجتماعي وعرفي" [4] وأهمل الكلام لأنه غير متجانس. وتذهب كاتي وايلز إلى أنّ "لسان" (langue) " يحيل على أحد معاني لغة (language) أي نظام التواصل الذي تنتجه المجموعة اللغوية (speech community). كسلوك لفظي خاص للأفراد في الحديث والكتابة ".[5] وكذلك الحال بالنسبة إلى الدال (signifiant) والمدلول (signifié) ، فالدال هو" الصورة الصوتية والمدلول هو الصورة المفهومية، التي تعبّر عن المتصور الذهني الذي يحيلنا إليه الدال "[6]

---

(1) فرديناند دوسوسير: علم اللغة، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية، دمشق، ط3، 1985، ص33.
(2) المرجع نفسه ص26.
(3) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996، ص18.
(4) المرجع نفسه ص 18.
(5) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان، ط1، 2014،ص 207.
(6) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص 18.

حيث تتمّ الدلالة، من خلال اقتران الصورتين الصوتية والمفهومية، التي تنتج عملية الفهم، مع الإشارة إلى العلاقة الاعتباطية بينهما، كما أكّد ذلك دوسوسير.

ويذهب لغويون آخرون على غرار جاكبسون وباختين إلى نفي التعارض بين الثنائيات التي قال بها سوسير بل بإثبات العلاقة الجدلية[1]

أمّا على مستوى الرؤية المنهجية، فقد فرّق دوسوسير بين النظرة التعاقبية (الدياكرونية) التي تدرس اللغة من منظور الرؤية التاريخية في تطوّرها الدّلالي وبين النظرة التزامنية (السانكرونية) التي تتناول اللغة بوصفها نسقا يدرس في لحظته دونما إحالة إلى خلفية زمنية متجاوزا النظرة التي سادت خلال القرن التاسع عشر (19) في مجال الفيلولوجيا والنحو المقارن والدراسات اللغوية والنقدية، التي تبنت المنهج التاريخي باعتباره المنهج العلمي الأوحد. كما فرّق بين المجموعات اللغوية في الذاكرة والتي تشكّل محورا شاقوليا استبداليا (paradigmatique) والمجموعات اللغوية الحاضرة في الجملة، والتي تشكّل محورا أفقيا نظميا (syntagmatique) . ويتمّ إدراك المعنى بالنظر إلى المحورين معا.

وقد أولى دوسوسير اللغة عناية خاصة، باعتبارها نسقا ونظاما، لذلك فهي تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، فأسس لعلم جديد تجاوز من خلاله نمطية الدراسات التي كانت سائدة في عصره (النحو المقارن) .

---

(1) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان ، ط1، 2014، ص 408.

ولم تنعقد الصلة بين اللسانيات والنقد إلا في مرحلة الستينيات من القرن العشرين؛ ذلك أن رواد علم اللسانيات حاولوا " أن يبعدوه عن كثير من العلوم وأولها النقد الأدبي الذي رأوا فيه مجالا إنسانيا تقييميا[1]. وبسبب تحريهم للدقة والموضوعية والسعي نحو علمنة النصوص كاد الأمر " أن يؤدي إلى قطيعة بين الدرس اللغوي والدرس النقدي "[2] إلا أنّ العكس هو الذي حدث، حيث امتد تأثيره إلى شتى الحقول المعرفية وعلى رأسها النقد الأدبي، الذي استهلكته دراسة العوامل الخارجة عن النص من خلال المناهج التاريخية والاجتماعية والنفسية. ومكمن التحول المنهجي لدى دوسوسير في نظرته إلى اللغة هو أنّ دلالة المعطى اللغوي هي نتاج علاقات نسقية وظيفية داخلية، لذا ليس هناك قيمة ترجى في الإحالة إلى خارج النسق والبنية.

ومن أجل توطيد الصلة بين اللسانيات والنقد الأدبي ، أثير نقاش مستفيض حول المسألة توّج باحتضان جامعة "أنديانا" الأمريكية سنة 1960 ندوة دولية كبرى ، شارك فيها صفوة من اللسانيين والنقاد وعلماء النفس والاجتماع المعروفين على الصعيد العالمي. وفيها ألقى رومان جاكبسون محاضرة عنوانها: "اللسانيات والشعرية "، نادى فيها بتوثيق العلاقة بين اللسانيات والأدب وتمتين الروابط بينهما.

كما توصل إلى هذه الحقيقة عدد من النقاد والباحثين مثل ألبير هنري في كتابه " دراسات في التركيب التعبيري بين الفرنسية القديمة والحديثة" الذي اعتبر

---

(1) عبده الراجحي: علم اللغة والنقد الأدبي "علم الأسلوب"، مجلة فصول، مجلد1، ع 2 يناير 1981، ص115.

(2) المرجع نفسه ص نفسها.

أنّ الحدود بين اللسانيات ونقد النصوص الأدبية ملغاة. في حين عدّ هنري ميشونيك أنّ التفريق بين اللسانيات والأدب لا يعدو أن يكون مجرد تمييز اعتباطي . كما دافع كابانيس عن العلاقة القوية بينهما من خلال إبراز مظاهر التأثير اللساني (دروس دوسوسير، مبادئ الشكلانيين) في النقد .

لذلك فإن الدراسات الأدبية التي اتكأت على مرجعية لسانية و اتخذت من مبادئ اللسانيات سندا نظريا، دفعت نحو ضرورة التعامل مع المعطى الأدبي كبنية مغلقة، مستقلة ذاتيا؛ إذ تختزل بداخلها كل الآليات المتفاعلة في إنتاج معناها. ومن ثمّ وقع التحول الجذري في مجال النقد الأدبي بالانتقال من دراسة السياق إلى دراسة النسق.

و تجدر الإشارة إلى أن المناهج النقدية التي انبثقت عن مرجعية لسانية وجهت الاهتمام نحو دراسة الأسلوب، أي ما يقابل الكلام، عكس ما ذهب إليه دوسوسير الذي ركز على دراسة اللغة المثالية. والأمر نفسه بالنسبة إلى الإضافات الهامة التي حقّقها تشومسكي(chomsky) من خلال دعمه للثنائية (لسان، كلام) بتمييزه بين جانبين مهمين هما الكفاءة(compétence) والإنجاز (performance) . هذان المفهومان اللذان مهدا فيما بعد لظهور مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية.

وهكذا عاد اللغويون ليستخدموا " أدواتهم اللغوية في تناول النص الأدبي وهو ما يعرف الآن بعلم الأسلوب" [1] الذي يعدّ شكلا من أشكال الانحراف عن اللغة، أي أنه يمثل الكلام بمفهوم دوسوسير، الذي وضح أنه لا يمكن دراسة الكلام ، لأن

---

(1) عبده الراجحي :علم اللغة والنقد الأدبي ، ص 116.

غير متجانس. اعتمادا _ حسب كاتي وايلز_ على النظر إلى اللغة كشكل مثالي

كأن يكون لها شكل " "خالص" (لسان) (langue) الذي يتعكر "يلوّث" عندما يتحوّل إلى كلام (parole)" [1]؛ ذلك أن الأسلوبيين و الشكلانيين مثلا استدلوا على أنّ الأعمال الأدبية لا تحتاج بالضرورة إلى أن يتم اعتبارها ككلام (parole)، لكن كنوع لنظام اللغة لسان (langue) قائمة بذاتها"[2].

ومن هنا توجه النقاد إلى دراسة الإنجاز الفردي، بدلا من النسق الكلي لكنهم أيضا توجهوا نحو دراسة النص الأدبي ، لا من أجل البحث في أسباب انبثاقه، وإنما لدراسة هذا النتاج بوصفه" أثرا" و"نسقا" دراسة داخلية، تبحث في علاقاته الوظيفية ومكوناته اللغوية الناظمة بينها؛ أي تسليط الضوء على مستوى البناء والوظيفة دون غيرهما. لذلك نجد الشكلانيين الروس ينطلقون من رؤية العمل الأدبي بمثابة "حشد تعسفي إلى هذا الحد أو ذاك من الصنعات، ولم يتوصلوا إلا لاحقا إلى رؤية هذه"الصنعات" بمثابة عناصر أو وظائف مترابطة interlated ضمن نظام نصي كلي"[1] . وتتمثل هذه الصنعات في مختلف عناصر التشكيل الأسلوبي من صوت ومخيلة وإيقاع ونحو وعروض وقافية ، والتي تعمل وفق بناء خاص أو تشويه خاص للغة الاعتيادية، لذلك رأوا (الشكلانيون) أن اللغة الأدبية "بمثابة طقم set

---

(1)كاتي وايلز : معجم الأسلوبيات، ص 408.

(2)المرجع نفسه

(3) تيري إيجلتون: نظرية الأدب، دراسات نقدية عالمية، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط1، 1995، ص14.

من الانحرافات من معيار ونوع معين من العنف الألسني فالأدب نوع "خاص" من اللغة" [1].

وقد ذهب رومان جاكبسون إلى الربط بين الشعرية واللسانيات ، بوصفها تعنى بالبنية اللسانية. وبما أنّ اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانية فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات" [2]. مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية تتجاوز الشعر وخصائصه كما " لا يمكن للتحليل اللساني للشعر أن يقتصر على الوظيفة الشعرية"[3].

كما أكد تودوروف على الطرح ذاته ، حين ألح على ضرورة التمييز بين موقفين عند دراسة النص الأدبي ؛ الأول منهما يتمثل في النظر " في النص الأدبي ذاته موضوعا كافيا للمعرفة، ويعتبر ثانيهما كل نص معين تجليا لبنية مجردة" [4]. فالتأكيد على عنصر البنية المجردة هو حصيلة النظرية اللسانية في نظرتها إلى اللغة.

---

(1) تيري إيجلتون: نظرية الأدب ، دراسات نقدية عالمية، ترجمة،ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق، ط1، 1995، ص18

(2)رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1988، ص24.

(3)المرجع نفسه ،ص 32.

(4) تزيفطان طودوروف: الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ص20.

ومن هذا المنطلق يكون جاكبسون قد أخرج الشعرية من الفهم ، الذي كان متداولا بين معاصريه وسابقيهم الذين كانوا يحصرونها في مجال دراسة الشعر ومنحها آفاقا واسعة امتدت عبر المناهج النقدية؛ من البنيوية إلى الأسلوبية فالسيميائية. وهو المبدأ ذاته الذي عمل تودوروف على ترسيخه في مجال دراسة الخطابات الأدبية ، بتركيزه على أدبية النص إذ "ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية ، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي." [1] منطلقا من مرجعية لسانية . وعندها يصبح " كل عمل أدبي عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة، ليس العمل الأدبي إلا إنجازا من إنجازاتها الممكنة" [2]. وبتعبير آخر فإن " هذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، وبمادة أخرى، يعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية "[3] .

وبهذا الاهتمام بالشكل والبنية أسّس الشكلانيون الروس للبنيوية، ولأنها منهج متعدد امتدّ إلى كثير من الحقول المعرفية كالأنثروبولوجيا والنقد الأدبي، حيث ساهمت في تشكيله أيضا عديد المدارس اللسانية التي تأسست على المقولات السوسيرية؛ إذ تتفق مجمل الآراء على أنّ المنهج البنيوي هو وليد الثورة اللسانية.

---

(1) تزيفطان طودوروف : الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب ، ط2 ، ص20.

(2) المرجع نفسه، ص23.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

(4) المرجع نفسه ص نفسها.

ويعود الفضل الأكبر في تأسيسها لرومان جاكبسون؛ حيث يرتكز هذا المنهج على مقولة البنية والدراسة المحايثة والاعتماد على النسق الكلي. فقد استثمر البنيويون في المقولات التي جاء بها الشكلانيون. ولهذا نجد جاكبسون يصنف الشعريات وفق ثنائية السياق والنسق مختلفا عن دوسوسير الذي أولى عنايته للدراسة التعاقبية" [1] . ومن هذه المقولات:

_ الاهتمام بأدبية الأدب.

_ التركيز على جانبي الشكل واللغة ؛إذ اكتشفوا أنّ اللغة الأدبية وسيلة إبلاغ وغاية فنية في الوقت نفسه، وأنّ قيمة الأثر الأدبي تعود إلى صياغته الشكلية" [2].

كما اعتنوا بصنفي الخطاب ؛ العادي والخطاب الأدبي الذي يتمظهر من خلال دراسة فلاديمير بروب " مورفولوجية الحكاية الشعبية الروسية morphologie du conte populaire russe " الذي ظهر سنة 1927 ، حيث اشتغل فيه بروب مع تلامذته من الشكلانيين على " تحديد الموضوع الرئيسي في العمل الأدبي السردي الذي يتجزأ عندهم إلى وحدات صغرى أو وظائف سردية صغرى تؤلف الوظيفة الكلية للعمل" [3] .

وقد تفاوت البنيويون في عنايتهم بتحليل وحدات النص الدالة " تلك

---

(1) أحمد يوسف: القراءة النسقية : سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص279

(2) محمد العيد رتيمة: العرب والبنيوية، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع1، 1992، ص67.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

الوحدات التي تؤسس في نظرهم العمل الأدبي في كليته، وبمحاولة إيجاد النسق الذي يربط بين الأعمال الأدبية التي هي من جنس واحد" [1]. بالإضافة إلى تجريد العمل الأدبي من أي إحالة أو مرجعية، باستعمال مصطلح المحايثة "immanence".

ومن هنا بدأ التحول في مسار النقد ، حيث أراد الشكلانيون والبنيويون بصفة عامة " قلب النظريات التي كانت تحدد العمل الأدبي انطلاقا من مضمونه من صدى الحركة التاريخية وتفاعلها في الواقع والإيديولوجيا التي تنتج عنها " [2] .

وهكذا رأينا أن البنيوية في حقيقتها، قد أفادت من منجزات الشكلانيين المؤسسة على اللسانيات، ومن شعريات جاكبسون والنقد الأنجلوساكسوني الجديد، فيما يتعلق بكيفية انتظام العمل الأدبي " وليس من الغريب أن تتراحم البنيوية والشعريات وتتجاذب طرائقها "[3] . ولذلك نجد مؤرخي النقد يعدّون البنيوية سليلة الشكلانية الروسية، التي هي بدورها ذات نشأة لسانية.

من جهة أخرى يذهب سايمون كلارك في كتابه "أسس البنيوية" إلى أنّ اللسانيات لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى البنيوية، ويتوجه بالخصوص إلى بنيوية ليفي ستراوس " التي تشكلت بشكل مستقل تماما، فقد كانت مواجهته فقط مع اللسانيات هي التي جعلته واعيا تماما بالمترتبات النظرية والمنهجية

---

(1) عبد المالك جكور: النص الأدبي في ضوء بعض الاتجاهات النقدية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، ع 11، 1997، ص40.

(2) المرجع نفسه، ص43.

(3) المرجع نفسه، ص40.

والفلسفية لمقاربته" [1]. كما كان لها دور حاسم في بلورة نظريته وتعميم مكتشفاته وأن يقدم البنيوية باعتبارها منهجا لجميع العلوم الإنسانية والحقول المعرفية . فضلا عما وجدناه لدى ميشال فوكو، وألتوسير الذي عمل جاهدا " على الفصل بين ما هو إيديولوجي وماهو علمي، من منطلق أن الفلسفة لم تعد سوى استراتيجية تتلخص مهمتها في النقد " [2] مجسدا فكرة موت الإنسان مع لاكان ، ثم موت المؤلف التي عززها رولان بارث وأشياعه من البنيويين في مجال دراسة النصوص الأدبية ، بإهمالهم لحياة المؤلف أو سيرته، وتوجيه العناية نحو الدال باعتباره السلطة الوحيدة التي تحكم النص . محققين فكرة النسق المغلق التي هي ترجمة لمقولات اللسانيات.

ولعل من المفارقات التي أحدثتها االلسانيات ، بعد أن تحولت مقولاتها إلى مرجعيات تأسيسية متداولة، في مختلف الحقول النقدية والفنية والمعرفية أن تتأثر بها المناهج ذات الجذور السوسيولوجية، وعلى رأسها المنهج الماركسي الذي اضطر للأخذ منها ، على الرغم من كون اللسانيات قامت على رفض النظرة التاريخية (الدياكرونية) ، فإن البنيوية التكوينية _التي انبثقت عن النقد الاجتماعي _ قد أعادت صياغة أدواتها النقدية من خلال منجزات بنيوية دو سوسير ، لإعادة صياغة المنظور السوسيولوجي الماركسي على يد جورج لوكاتش ثم لوسيان غولدمان، حيث تحررت البنيوية التكوينية من هذه المرجعية وبحثت عن توازن

---

(1) سايمون كلارك: أسس البنيوية ، نقد ليفي ستراوس والحركة البنيوية ، مراجعة ابراهيم فتحي، دار بدائل، القاهرة ، ط1، 1015، ص113.

(2) أحمد يوسف : القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، 49.

بين البنية الذهنية والبنية الفنية[1] ، أي بالانطلاق من بنية النص الداخلية إلى سياقه الخارجي.

وهكذا رأينا أن البنيوية التكوينية ومعها السوسيو نقد قد جاءت لا لتحرر النص الأدبي ومعه النقد من هيمنة الإيديولوجيا فحسب ، وإنما لتعود به إلى دراسة البنية اللغوية الداخلية، وتخرج به نحو السياق الذي أنتجه. ولهذا فهو يدرس النص الأدبي " دراسة محايثة لأنها تدمجه في مفهوم النص مثلما يفهمه النقد الشكلي، ويقدمه كموضوع دراسة أولى، ولكن القصدية مختلفة لأن نية واستراتيجية السوسيونقدية هي استعادة المحتوى الاجتماعي لنص الشكلانيين"[2] أي أن هذا المنهج ينظر إلى النص " من خلال مستويين داخلي تعتمد فيه الدراسة المحايثة المغلقة المؤسسة، على مقولة أن النص بنية وتركيب . ومستوى خارجي ينفتح فيه النص على السياق الاجتماعي والتاريخي "[3]. أو كما عبر عن ذلك محمد ساري بالقول " دراسة القانـون الاجتماعي داخل النص وليس القانون الاجتماعي للنص " [4]

و انطلاقا من هذه الرؤية ، فقد قلب هذا المنهج المفهوم الماركسي في دراسة

---

(1) أحمد يوسف : القراءة النسقية ، سلطة البنية ووهم المحايثة، ص 71.

(2) محمد ساري: المنهج السوسيونقدي بين النظرية والتطبيق، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها،جامعة الجزائر، ع15، 2001 ص 20.

(3) سامية بن دريس :النص النقدي في المجلات الأكاديمية الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة جيجل، السنة الجامعية 2013_ 2014، ص330.

(4) محمد ساري: المنهج السوسيونقدي بين النظرية والتطبيق، ص 20.

الأدب مع إفادته من منجزات اللسانيات السوسيرية والبنيوية التكوينية.

وبهذا التوجه فإن السوسيو نقد " ينفتح على ما أنجزه النقد الشكلي في مجال مقاربة النصوص الأدبية لكن غايته وقصديته أن يشيد استراتيجية تعيد للنص الشكلاني مضمونه الاجتماعي" [1]

و من هذا المنطلق يمكن القول بأنّ (السوسيو نقد) أفاد من جهود الشكلانيين الروس، وهو ما يجعله خطابا يتكئ على مرجعية لسانية ، كما أفاد من منجزات باختين في مجال الدراسات السردية ، مما يوفره النص الروائي من تعدد الأصوات وتهجين واحتفالية . ومن ثمّ فقد حاول أن " يقيم علاقة بين العالم الروائي والكرنفال الذي ظهر وسط الثقافة الشعبية للقرون الوسطى وعصر التنوير" [2] انطلاقا من الدراسة التي أنجزها حول "رابلي" مما منح الرواية عناصر متعددة على مستوى السرد المباشر أو السرد الشفوي ، مما يتضمنه من أشكال تعبيرية متنوعة داخل الرواية كالأمثال والحكم والمأثورات فضلا عن الأشكال السردية المكتوبة على غرار الرسائل والمذكرات والاعترافات [3] ، أي أنّ اللغة الروائية بمفهوم باختين ذات تعدد لساني ، لأنها تدرج في خطابها " كل الأجناس التعبيرية الممكنة وكل اللهجات الاجتماعية (العاميات) فهي لغة منضدة تنضيدا لسانيا ومهنيا " [4].

---

(1) الطاهر روابنية: سوسيولوجيا الكتابة، مجلة اللغة والأدب ، ع15، ص 10.

(2) محمد ساري: المنهج السوسيونقدي بين النظرية والتطبيق، ص 52.

(3) سامية بن دريس : النص النقدي في المجلات الأكاديمية الجزائرية، ص 336.

(4) محمد ساري: المنهج السوسيونقدي بين النظرية والتطبيق، ص 54.

ولأنّ الثقافة الغربية ثقافة ناقدة ، تقوم على مبدأ النقض والتقويض، لذلك فإن ظهور المناهج النقدية عادة ما ارتهن بهذا المبدإ ؛ إذ _ عادة _ ما يظهر المنهج على أنقاض سابقه أو مجاورا أو مجاوزا له ؛ وذلك بنقده أو بإضاءة الجوانب المظلمة فيه أو بالكشف عن التناقض الذي يعتريه. وهو الأمر الذي اضطلعت به التفكيكية في نقدها للبنيوية بخروجها من رحمها " إذ انقلب الرهان البنيوي (المبالغ فيه) على مفهوم البنية ومشتقاته اللسانية من أنساق محايثة ونظام مركزي منضبط (...) إلى انقلاب معرفي وصم البنيوية بالتجريد والاختزال والانغلاق والموت غير المعلن " [1] تحول فيه جلّ التفكيكيين الذين كانوا بالأساس بنيويين، إلى ممارسة نشاط معرفي جديد قام على أنقاض البنيوية، وهو ما يعني أن التفكيكية بدورها ذات جذور لسانية ، على الرغم من المقولات التي تأسست عليها هذه الاستراتيجية ، التي اتخذت من "التفكيك " عنوانا لها في غالب الأحيان و"مجاوزة الميتافيزيقا" أو نقدها في أحيان أخرى، ولا سيما من جهة الاستعداد لهذه المجاوزة عبر مفهومات الكتابة والنص والأثر والصوت والمعنى، نقضا لما ائتلف والتأم نظاما عقليا راسخا وحدّد التاريخ " عهدا" لهذا النظام وترتيبا له في الزمان" [2] . هذه المجاوزة التي تجلت من خلال توسيع " الهوة الدلالية بين الدال والمدلول" [3] . على الرغم من أنّ رائد

---

(1) يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 335.

(2) جاك دريدا : الصوت والظاهرة، ترجمة فتحي انقزّو، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت ، لبنان، ط1، 2005، ص 5.

(3) يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ص 336.

التفكيكية جاك دريدا لم يسمها بوسم المنهج بل وسمها بالاستراتيجية؛ حيث أعلن ذلك صراحة في كتابه " الكتابة والاختلاف " قائلا: " ليس التفكيك منهجا، ولا يمكن تحويله إلى منهج خصوصا ، إذا ما أكدنا في هذه المفردة على الدلالة الإجرائية أو التقنية " [1]. وهكذا سيتجه دريدا نحو نقد مختلف التمركزات في الفكر الغربي، ساعيا إلى رد الاعتبار للكتابة ، التي أقصاها دوسوسير، بتمييزه بين نظامين مختلفين هما اللغة والكتابة ؛ حيث اعتنى بالأولى وأقام عليها صرحه الألسني وأقصى الثانية . ومن هذا المنطلق قام دريدا بنقد " من قال بقمع الكتابة على حساب الصوت باسم التمركز حول الصوت (phonocentrism) [2] . والواقع أنّ فكرة التمركز على الصوت هذه كانت شائعة في الفكر الغربي منذ أفلاطون مرورا بروسو ودوسوسير وليفي ستراوس، الذين كانوا يعطون أولوية للكلام على حساب الكتابة ، ومن ثمّ سعى دريدا من خلال نقده لدوسوسير إلى إعادة الاعتبار لها، كاشفا عن التناقض الذي وقع فيه الفلاسفة والمفكرون السابقون.

ومن منطلق أنّ التفكيكية هي عبارة عن استراتيجية نقدية لنقض وتقويض النصوص، فقد أسس لها التفكيكيون الذين كانوا في الأصل بنيويين من أمثال رولان بارث وجاك لا كان، اعتمادا على جملة من المبادئ ، نذكر منها:

_ عدم قصدية المؤلف في المعنى، الأمر الذي يفتح الباب أمام تعدد

---

(1) جاك دريدا : الكتابة والاختلاف، ترجمة جهاد كاظم ،دار توبقال ، المغرب، ط1 ، 1988 ص 61.

(2) محمد شوقي الزين وآخرون: جاك دريدا ما الآن؟ ماذا عن غد؟ الحدث التفكيك، الخطاب، دار الفارابي، بيروت ، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 20.

القراءات وبالتالي لا نهائية الدلالة و إفساح المجال أمام التأويل.

_ نسف الحدود القائمة بين النصوص (intertextualité).

_ التشكيك في القيم والثوابت.[1]

هذا ونشير إلى أنّ التفكيكية هي حصيلة النظرة النقدية للبنيوية وللفلسفة الغربية عامة في تمركزها حول اللوغوس، وما نتج عن ذلك من بروز لجملة من المقولات منها الاختلاف والحضور والتفكيك والانتشار وما إليها. مما دفع أحمد يوسف إلى وصفها بأنها " مشروع أسئلة فيه من الجسارة والجرأة ما يخيل إلى القارئ بأنه مشروع يتسم بالطموح الذي لا يبلغ مقاصده ويحقق أهدافه لا سيما أنه أخذ على عاتقه تفكيك مركزية العقل الغربي ونقد الفكر الميتافيزيقي" [2] . لكن أثرها على النقد الأدبي كان مثمرا، خاصة عل مستوى الآليات المنهجية المعتمدة.

لذلك لا نريد الإسهاب في هذا المجال، لأن موضوعنا هو العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي، إذ تبدو الصلة بين اللسانيات والتفكيكية غير مباشرة فضلا عن أنها استراتيجية وليست منهجا نقديا، كما أنها توجهت نحو الفلسفة أكثر منها إلى النقد الأدبي.

---

(1) محمد شوقي الزين وآخرون:جاك دريدا : ما الآن؟ ماذا عن غد؟ الحدث، التفكيك، الخطاب.ص22.

(2) أحمد يوسف: شعرية الغياب وجمالية الفراغ الباني، مجلة اللغة والأدب ،ع4 ،1993 ص 112.

لهذا فإننا سننتقل إلى منهج آخر، سليل اللسانيات وله صلة وثيقة بالنقد الأدبي وهو الأسلوبية ، التي أثارت جدلا واسعا عند ظهورها سواء بطرحها فرعا من فروع اللسانيات ،بديلا عن النقد الأدبي لدى فئة من النقاد ، أو بإعلان موتها، لدى فئة أخرى منهم.

ويعود الفضل في ظهورها إلى شارل بالي (Charle Bally) تلميذ دوسوسير الذي ذكر في مقدمة كتابه " مبحث في الأسلوبية الفرنسية " (traité de stylistique française) بأنها أي الأسلوبية مجال لم يستكشف بعد، وقد حاول استغلال كل الظروف للدلالة على أقسام هذا العلم الشاسع من أجل دراسته.[1]

كما يوضح بشأن مصطلح أسلوبية "stylistique " الذي وضعه والذي حمّله دلالات قوية ، على أساس أنه لا توجد تعريفات مقترحة حول الأسلوبية [2] .

وعليه فمن المنطقي أن تكون الأسلوبيات بمختلف اتجاهاتها وليدة الثورة اللسانية، من خلال المبدأ القائم على التمييز بين اللغة والكلام، إذ نجد مثلا أنّ شارل بالي لم يقم حدودا بين التعبير العادي ، والتعبير الأدبي ، إلى أن جاء الشكلانيون الروس وعلى رأسهم جاكبسون الذي عني بأدبية الأدب[3] قارنا ذلك بالوظيفة الشعرية_ كما سبق الحديث عن ذلك _ بحيث أمكن التمييز بين النصوص الأدبية وغير الأدبية. مع أنّ كثير من النقاد " كانوا مرتابين من مقاربة

---

(1) Ch , Bally : traité de stylistique française ; universitas Buch hand lung ; Heidlberg ; CarlWinter's 2eme edition ;1921; p:IX

(2) Ibid :pX.

(3) سامية بن دريس: النص النقدي في المجلات الأكاديمية الجزائرية، ص 244.

الأسلوبية لأنهم أحسوا بأنها " موضوعية" بشكل كبير مثل اللسانيات، وأنها تخاطر بتدمير حساسية الاستجابة التي يحتاجها القراء"[1].

وقد اتسع مجال الدراسات الأسلوبية بتطور البحث اللساني مع حلقة براغ والدراسات البنيوية من خلال " درجة الانزياح عند جان كوهين وهيمنة الوظيفة الشعرية عند جاكبسون و عملية الاختيار عند تشومسكي"[2]. غير أنّ الإشكالية بخصوص هذا المنهج تعود إلى مسألة انتمائه؛ إذ اختلف الباحثون حول ذلك. فمنهم من يعدها فرعا من فروع اللسانيات، ويعدّها آخرون امتدادا للبلاغة، بينما يعزوها البعض الآخر إلى علم النفس والنقد الأدبي . لكن هذا الاختلاف لا يمنع من كونها ذات جذور لسانية، أوّلا بالنظر إلى المعرفة اللسانية التي حظي بها مؤسسها ، وثانيا لكونها تدرس المستويات المختلفة للغة صوتيا ونحويا وصرفيا وتركيبيا متجاوزة ما تعنى به البلاغة إذ تتعدى " أسلوبية الجملة إلى أسلوبية الوحدات الكبرى للخطاب الأدبي للبنية السردية والحوارية ، بل هي تتجاوز ذلك إلى بنية المكان والزمان والشخصية والحبكة"[3] في الرواية مثلا . كما يمكن أن نضيف إلى ماسبق بعض المفاهيم والتعريفات التي تجعل من الأسلوبية منهجا لسانيا بحكم التأسيس والمفهوم بكونها " تطبيق المعرفة الألسنية linguistic

---

(1) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ص414.

(2) فاتح علاق: التحليل الأسلوبي للخطاب الشعري، مجلة اللغة والأدب، ع 18، 2008، ص92.

(3) المرجع نفسه، ص94.

knowledge في دراسة الأسلوب "[1]. وهذا ما يدعم الطرح القائل بتمحضها عن شجرة اللسانيات في أصولها، وإن تعددت اتجاهاتها كأسلوبية اللغة (شارل بالي) والأسلوبية المقارنة و الأسلوبية البنيوية [2].

كما تجدر الإشارة في هذا السياق، إلى ضرورة التمييز بين الأسلوب والأسلوبية، التي شرعها بالي حينما " أحسّ باحتمال الخلط بين المفهومين ولا سيما وقد كان في صدد تأسيس تصورات مستحدثة"[3] . لذلك فقد سعى إلى حصر "مدلول الأسلوب في تفجّر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الموجود اللغوي"[4]. الأمر الذي يدعم طرحنا في كون الأسلوبية وليدة اللسانيات السوسيرية. وكذلك من خلال تحديد مفهوم الأسلوب ذاته الذي هو " العلامة المميزة لنوعية مظهر الكلام داخل حدود الخطاب ، وتلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض. ومن ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاتها أسلوبه [5] .

وبذلك فالمنهج الأسلوبي وعلى الرغم من الاختلاف حول تعدد انتمائه، فإنه أقرب إلى المرجعية اللسانية وذلك بكونه ينبثق من اللسانيات ومما أنتجته من مقولات أو كما ذهب الأستاذ سعد مصلوح بالقول إلى أنّ " الدرس الأسلوبي

---

(1) يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص175.

(2) المرجع نفسه ص176.

(3) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط6 2014، ص 72.

(4) المرجع نفسه ، ص نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص نفسها.

أيضا ليس مرادفا وطبقا للنقد ولكنه شعبة منه " [1] . ومن ثمّ يتأكد ما ذهبنا إليه في كون الأسلوبية ترتبط بأواصر قربى مع اللسانيات، وإن كان اتجاهها _ فيما بعد_ قد انبنى على الشق الثاني من الثنائية التي أهملها دوسوسير وهي الكلام باعتباره شكلا من أشكال الانزياح عن الأصل. وبمعنى آخر فإنّ الدراسة الأسلوبية قد فتحت آفاقا أخرى أمام اللسانيات في حد ذاتها؛ ذلك أنها (اللسانيات) كانت تدرس اللغة كنظام، دون مراعاة التنوعات الفردية ومقامات الخطاب وأفعال الكلام التي ستفتحها مناهج أخرى على غرار السيميائية والتداولية، وستتطور اللسانيات وتمتد فروعها إلى حقول أخرى، منتقلة من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص. كما " أثبتت اللسانيات المعرفية أنها أكثر التخصصات الجديدة المثيرة للجدل التي برزت في التسعينات (كذا)، مع منحها قيمة خاصة للأسلوبية" [2]. وبدورها تطورت الأسلوبية بفعل تطور اللسانيات" فنضجت واكتملت وصارت علما له خصوصياته وفروعه، ولكنها مع ذلك لم تقو على مغادرة دائرة اللسانيات"[3]. الأمر الذي دفع منذر عياشي للاستعانة بتصريحات ثلاثة من أقطاب الأسلوبية وهم ميشال أريفي الذي قال بـ: " أنّ الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستوحاة من اللسانيات ، ودولاس الذي قال بأنها تعرف بكونها منهج لساني. بينما وصفها ريفاتير بأنها لسانيات

---

(1) سعد عبد العزيز مصلوح: في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب القاهرة، ط2، 2010، ص232.

(2) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ص127.

(3) منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري ، ط1، 2002 ص10.

تعني حمل الذهن على فهم معبّر وإدراك مخصوص"[1] . كما أنها تجسيد لصلة اللسانيات بالأدب ونقده"[2].

ومن هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين اللسانيات والأسلوبية باعتبارها أحد المناهج النقدية التي انبثقت عن اللسانيات، فصارت بذلك "جزءا لا يتجزأ من الدرس العلمي أو اللساني"[3].

وبهذا تكون اللسانيات قد أمدّت النقد الأدبي بأدوات هامة من أجل الدراسة العلمية والموضوعية للنص الأدبي الذي ظل يخضع لفترة زمنية للأحكام الذوقية والانطباعية، تحت تأثير المناهج السياقية والنظرة التاريخية. وبالمقابل أفادت من منجزات المناهج النقدية النسقية التي نتجت عنها.

وإذا كان هذا هو حظ المناهج النقدية من اللسانيات فإن حظ السيميائية منها لا يبارى، بحكم أنّ مؤسس اللسانيات قد تنبأ بظهور هذا العلم وعدّ اللسانيات فرعا منه ، حيث ظهرت إرهاصاته الأولى في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة " الذي وضح ذلك بالقول " ويمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه اسم علم الإشارات Sémiologie " [4] حيث يعنى هذا العلم بتوضيح ماهية مقومات الإشارات وماهية القواعد التي

---

(1) منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص27.

(2) المرجع نفسه،ص نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص34، 35.

(4) فردينان دوسوسير: علم اللغة العام ، ص 34.

تتحكم فيها .

ولأن هذا العلم لم يظهر في عهد دوسوسير، فقد كان من الصعب عليه التكهن بطبيعته وماهيته إذ أنّ " علم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام . والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة"[1] ، وبذلك فإن هذا المنهج الذي يحتل مكانة خاصة بين المناهج، باعتباره منهجا شاملا لأنّ نظرية سوسير في اللغة " مؤسسة إلى حدّ كبير على فحص العلامة اللغوية _ ولا تزال هذه المشكلة الجديدة التي وضعها سوسير في صميم الهوية اللسانية _ ذات أهمية حية إلى اليوم"[2]. وتجدر الإشارة في هذا السياق ، إلى أنّ السيميائية سيميائيات، ولعل أشهرها السيميائيات الفرنسية أو الأوروبية بشكل أعمّ، التي تشكلت في مرحلة الخمسينيات والستينيات، وذلك بالتقائها باللسانيات خاصة لدى غريماس وبارث وبالأنثروبولوجيا لدى ليفي ستراوس وكذلك بمختلف التيارات الشكلانية. بعضها تابع للنقد الأدبي والآخر تابع للمنطق الرياضي[3]. ممّا جعل الباحثين يميزون بين نوعين من السيميائيات، سيميائيات الدلالة التي نشأت في أحضان اللسانيات وسيميائيات المنطق، التي ترتبط بالباحث الأمريكي "بيرس" ، قبل أن تتحول إلى علم شامل .

---

(1) فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ص 34.

(2) ميلكا إفتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل الفايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2000، ص351.

(3) ج. فونتاني: الفصل الأول من كتاب " السيميائية والأدب"، ترجمة جميلة العبادي، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر ع3، 2008، ص 416.

ويشير رشيد بن مالك إلى أننا " لا نستطيع رصد الأصول العلمية للبحث السيميائي ، بقطع النظر عن المظهر التنظيري العام لبحوث الشكلانيين الروس " [1] ، حيث تمثلت جهودهم في إحداث القطيعة بين الدراسات السياقية التقليدية والدراسات الباحثة عن انتظام العلامات وفق مناهج النقد الجديد من خلال مقاربة الأدب " بوصفه مجموعة شكلية تحكمها قوانين خاصة ، مع التركيز على العناصر النصية والعلاقات المتبادلة بينها ، وعلى الوظيفة التي تؤديها في مجمل النص" [2]. واعتمادا على ماسبق نلاحظ أن اللسانيات الحديثة كانت بمثابة المتكأ النظري الذي ارتكزت عليه المناهج النقدية النسقية في تعاطيها مع النصوص الأدبية نظريا وإجرائيا؛ إذ يتبين للمتابع أنها اعتمدت على المقولات اللسانية ، لتنحرف بالنقد من موضعه السياقي إلى موضعته داخل الحقل اللساني وإحداث القطيعة _ بذلك _ بين النقد التقليدي والنقد الجديد.

ومع التطورات التي عرفتها اللسانيات، فقد اتجهت اللسانيات المعرفية نحو الاهتمام " بفكرة القراءة باعتبارها تفاوضا مبدعا بين الكاتب والنص والقارئ والسياق لبناء عالم النص(text world)[3] وأصبحت " تطمح بطريقة نظرية

---

(1) رشيد بن مالك : الأصول اللسانية والشكلانية للنظرية السيميائية، مجلة اللغة والأدب، ع 14، 1999، ص111.

(2) المرجع نفسه ص نفسها.

(3) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ص127.

إلى اعتماد مبادئ السلوك اللغوي والتأويل انطلاقا من زاوية المبادئ العامة للمعرفة ، مع اهتمام خاص بالتلقي وتصنيف المعرفة (catégorization)[1]. هذا التطور فتح المجال للتبادل بين النقد الأدبي واللسانيات.

وعلى العموم فإن تأثير اللسانيات كان واضحا على النقد الأدبي سواء على المستوى المفاهيمي، من خلال الإفادة من النظريات المختلفة أو على مستوى الجهاز الاصطلاحي ؛إذ زوّدت اللسانيات النقد بترسانة من المصطلحات أو ساعدت على إيجاد مصطلحات جديدة. أما على المستوى المنهجي فقد نقلته من طور المعيارية وأحكام القيمة إلى العقلنة والعلمنة عن طريق القواعد الصارمة التي ميزتها، كما أفادت اللسانيات من النقد الأدبي بالعودة إلى النصوص الأدبية وتمييز أنواع الخطابات، وانبثاق المناهج والنظريات، التي أعادت الاعتبار للخطاب الأدبي.

وإذا كانت العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي في الثقافة الغربية ، قد نشأت نشأة طبيعية، داخل النسق المعرفي الواحد وبفعل جهود االنقض والنقد والمراجعة فإن الأمر بالنسبة للثقافة العربية يختلف ، باعتبار أن الثقافة العربية هي ثقافة مستقبلة، لم يسهم السياق الثقافي والتاريخي في نشأة اللسانيات أو المناهج والنظريات النقدية في البيئة الثقافية العربية، فكلا الحقلين ناجم عن فعل الاستنبات والاتصال بالثقافة الغربية، لذلك فإن سياق انتقال اللسانيات والنقد الأدبي إلى الثقافة العربية

يختلف تماما عن نظيرتها الغربية .

---

(1) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات ، ص 127.

ولهذا سنحاول أولا الإشارة إلى جملة من الكتب العربية التي تناولت ظاهرة التفاعل بين اللسانيات والنقد الأدبي ، وفي مقدمتها كتاب " أثر اللسانيات في النقد الأدبي" لتوفيق الزيدي ، وهو من الكتب الأولى التي تناولت هذه العلاقة في منتصف ثمانينيات القرن العشرين ، ويذكر من الأسباب التي دفعته للخوض في هذا الموضوع الذي يندرج ضمن نقد النقد حيث تتنزّل هذه الدراسة " في هذا الإطار الساعي إلى ربط النقد بالتيار العلماني عامة واللساني خاصة "[1]، ويعلل لهذا التوجه بعدة أسباب نذكر منها أنّه :

_ ميدان بكر لم يقدّم عليه أيّ دارس مما جعل البحوث ذات الوجهة اللسانية _ الأدبية تتقلص وذلك لغياب مرجع تقييمي جامع للبحوث العربية في هذا الميدان.

_ إنّ المنهج النقدي _اللساني طغى على عدة دراسات إلى حدّ أنه أصبح تطرفا فكريا. فلذا وجب تصحيح هذا المسار وتقييم مردوده.[2]

---

(1) توفيق الزيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1984، ص10.

(2) المرجع نفسه،ص نفسها.

يمكن أن نذكر كذلك كتابي "النقد والحداثة " و " الأدب وخطاب النقد" لعبد السلام المسدي، و" الألسنية والنقد الأدبي " لموريس أبو ناضر، ناهيك عن الكتب التأسيسية الأولى التي تناولت موضوع الدرس اللساني قبل توثيق الصلة بينه وبين المناهج النقدية، في مسعاها نحو ترسيخ نقد جديد وتحرير النقد العربي من المناهج السياقية. على الرغم من أن المعرفة اللغوية تتطور و" نقاد الأدب إن هم انضووا تحت ميثاق التوالج الفكري بين المعرفة اللغوية والمعرفة النقدية ، فقلّما يحرصون بنفس الاعتناء وبنفس الحيرة على متابعة التطور الحاصل داخل المعرفة اللغوية في حد ذاتها " [1]. وقد تمثل هذا الموقف أيضا كلّ من عبد السلام المسدّي وصلاح فضل وعبد الملك مرتاض ومازن الوعر وأحمد العلوي، وعلى يد هؤلاء وغيرهم من الرواد عرف النقد قفزة نوعية إذ " أصبح الناقد طرفا رئيسا في إنتاج المعرفة، لأنّه من الموقع الذي يتحرك فيه مشارك في وضع قواعد المعرفة الانسانية المتجددة. إن للناقد اليوم حقوقا على الآخرين أبعدها وقعا أن يصادقوا على أنه مؤسس منهج ومنظر علم ومهندس معمار، وأن يقروا له بأنه مساهم في حوار المعارف الانسانية بقسط وافر" [2] . وإذا كانت وظيفة النقاد بهذه الخطورة بالنظر إلى التطورات المعرفية التي عرفها النقد، بحكم انفتاحه على جل الحقول المعرفية، فإن إسهام النقاد العرب في نقل المعرفة اللسانية متفاوت ؛ إذ نرى مثلا أنّ أحمد يوسف يشير إلى إسهامات موريس أبو ناضر وتوفيق الزيدي

---

(1) عبد السلام المسدّي: الأدب وخطاب النقد ، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط1، 2009، ص 9.
(2) المرجع نفسه، ص40.

الذي يقول " على الرغم من أنّ عناوين بعض المؤلفات كانت تحمل علاقة اللسانيات بالنقد الأدبي (...) إلا أنّ كليهما ركز على الخطاب السردي"[1]، غير أن هاتين المحاولتين بالتحديد تعدّان من الإسهامات الرائدة في مجال النقد الألسني ونقد النقد ، حيث تجلّت من خلالها الدعوة إلى " دراسة الأدب من الداخل والتركيز أولا وقبل كل شيء على الآثار الأدبية ذاتها" [2] والبحث في وظيفة الوحدات داخل النص والنظر إليه " ككيان ملموس قابل للتجزئ"[3].

أمّا سعد مصلوح فيعدّ من أكبر النقاد إيمانا بالنقد اللغوي المؤسس على مرجعية لسانية. وقد تجسد ذلك في معظم كتبه سواء المترجم منها على "غرار اتجاهات النقد اللساني "أو المؤلف مثل "النقد اللساني" **و**"الأسلوب : دراسة لغوية أسلوبية " والنص الأدبي: دراسات لغوية إحصائية " و " وفي البلاغة العربية والأسلوبيات المعاصرة " و" في اللسانيات العربية المعاصرة "وغيرها. مما يجعل هذا الباحث العلاّمة أحد أعمدة النقد الأدبي العربي على الرغم من أن بعض الباحثين لا زال يعدَه واحدا من علماء اللسانيات المتخصصين في ميدان الصوتيات، والمنحصرين في زاوية التخصص الدقيق، لكن قلة منهم ، من تعرف أنه فضلا عن أصالته في ميدان تخصصه، فإنه يملك باعا طويلا وأصيلا ومبدعا في حقل النقد الأدبي.

---

(1) أحمد يوسف: القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، ص72.

(2) موريس أبو ناضر:الألسنية والنقد الأدبي النظرية والتطبيق، دار النهار العربية، لبنان، ط1، 1979، ص7.

(3) المرجع نفسه ص 9.

ولعل هذا الأمر يقودنا إلى لب الإشكالية التي يسعى سعد مصلوح من أجل تفكيك مكونات بنيتها، ونعني بها قضية الفصل بين العلم المنضبط ودراسة النص الأدبي ، وهي إشكالية تعد من بين الأولويات التي منحها من فكره وجهده المقام الأول ؛ حيث تشغل حيزا هاما في جلّ أعماله خاصة في كتابي "الأسلوب " و"النص الأدبي" ، وهو إذ يبذل جهودا مضنية في الحقل المشار إليه ، فإنما يتغيا مد الجسور بين هذين المجالين المعرفيين الهامين والواسعين في آن معا. وإن تحقق ذلك فسيثمران دراسة نقدية مبنية على أسس منهجية وهو ما يعنيه بقوله "ضرورة العمل على إرساء منهج لساني ، في نقد الأدب العربي يكون فيه النص أو الخطاب الأدبي هو موضوع الدراسة، ويكون منهج الدراسة لغويا لسانيا linguistic بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح "[1]. من أجل علمية تتغيا الموضوعية وتتحرى الدقة، بالفصل بين النص الأدبي والخطاب النقدي لشساعة بون ما بين الخطابين من الناحية النوعية والأجناسية. الأمر الذي دفع سعد مصلوح لأن يصرح بالقول " ذلكم هو جوهر ما ندعو إليه حين نقرر أن الأدب فن ولكن دراسة الأدب ينبغي لها أن تكون علما ، وأنّ استخدام لغة كثيفة المجاز في الدرس النقدي يوشك أن يفسد قضية النقد بالكلية، إذ أنّ من المحالات المعرفية أن يدرس فنّا بفن"[2] . وقد يبدو هذا الموضوع متجاوزا في أيامنا هذه، لكنه وقت نشره (مطلع الثمانينيات) كان من بين الإشكالات التي واجهت النقد الموضوعي

---

(1) سعد عبد العزيز مصلوح: في النص الأدبي: دراسات إحصائية أسلوبية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2010، ص12.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

أين كان الدرس النقدي مكبّا على دراسة العوامل السياقية والمضامين الاجتماعية أوغير قادر على امتلاك الأدوات العلمية الكفيلة بذلك ، خاصة على المستوى الإجرائي.

وقبل التأسيس لعملية النقد الأدبي المبني على منهجية علمية، لا بد من الإشارة إلى أن العلّامة سعد مصلوح قد حدد مواضع الداء سواء، في مجال دراسة اللسانيات من قبل الدارسين العرب مشرحا واقعها أو في مجال دراسة النقد الأدبي، أو من خلال الوقوف عند أسباب القطيعة الواقعة بين الدرسين، والتي يمكن أن ندرجها في النقاط الآتية:

_ انقطاع الصلة بين الدرس اللساني والخطاب الأدبي .

_ نقص الوعي المنهجي بضرورة الربط بين الحقلين المعرفيين لدى جمهرة الدارسين. غير أنّ النقد العربي قد تجاوز هذه المشكلة حاليا ،وإن بدرجات متفاوتة على الأقل على المستوى النظري.

_ حل المشكلات الخلافية بين النقاد لأنّها ذات جوهر لغوي.

_ عدم التأسيس لرؤية لسانية منضبطة تدرس من خلالها النصوص الأدبية.

_غياب التأسيس اللساني لهذه المشكلات .

_ إهدار كينونة النص الأدبي وجوهر الأدبية فيه.

_ عدم التسليم بأهلية النص في أن يكون موضعا للنظر العلمي لذاته.[1]

ويسعى الناقد إلى الإحالة على رصد أسباب القطيعة غير المقصودة بين الحقلين؛ أي بين فريقي النقاد واللسانيين العرب ، مع الاجتهاد في تحديد مظاهر التقارب بينهما للكشف عن مواطن الخلل، فيما أنتجه النقد اللساني أو نقد يسترشد في ممارسته بالتحليل اللساني ، ويتكئ على تصوراته ومقولاته،واستشراف مستقبل هذه الحركة[2] .

ويجمع الباحث هذه الغايات في محورين أساسيين هما: "نقد الذات" ويقصد بها اللسانيين و" مكاشفة الآخر" ويتوجه بها إلى فريق المشتغلين بالنقد الأدبي.

أما على مستوى نقد الذات فيعزو الأمر إلى عدة عوامل منها :

_ ما يصاحب كل جديد وافد من تهيب له وانبهار به.

_ العجز عن ملاحقته في تطوراته السريعة المترادفة.

_ التعصب المدرسي الملازم لتعدد الانتماءات واختلاف المذاهب.

_ تهافت غير القادرين من ذوي المواهب المحدودة على الانتساب إليه.

_ مقاومة البيئات العلمية المحافظة له.

_ شك المشتغلين به في قدرتهم علة تغيير التصورات الراسخة.

---

(1) سعد عبد العزيز مصلوح: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ص 10.

(2) المصدر نفسه، ص 11.

_ مقاومة البيئات العلمية المحافظة له.

_ شك المشتغلين به في قدرتهم علة تغيير التصورات الراسخة.

_ المسلمات الكابحة للعقل الناقد في الثقافة العربية خاصة في المجال اللغوي[1].

والباحث إذ يرصد هذه الأسباب، ويقوم بنقد الذات، فإنما يسعى إلى لفت الأنظار إلى أهمية هذا النوع من الدراسة، انطلاقا من كونه أحد المشتغلين بالحقل اللساني، كما أنه لا يسعى إلى غمط حق المجتهدين على اعتبار أن اللسانيات " هي أخطر العلوم الانسانية مطلقا ، والقيّمة على دراسة اللغة التي هي مجلى عمل العقل ووعاء معارفه "[2]

وهو لا يبرئ نفسه وعمله من الخلل والقصور الذي لا يخلو منه أي إنتاج، هذا الخلل في المكتبة اللسانية العربية اتخذ عدة مظاهر هي:

_ اشتمال هذه المكتبة على كم هائل من " المقدمات" أو "المداخل" إلى علم اللغة أو اللسانيات أو الألسنية أحيانا.

_ عجز اللسانيات العربية وخاصة في العقود الثلاثة الأولى من نشأتها عن عكس خريطة شاملة للمدارس والاتجاهات اللسانية الحديثة في أوروبا ("[3]).

_ لم تتصدّ اللسانيات العربية للمشروعات القومية الكبرى، ولم يستطع المشتغلون بها إقناع المؤسسات العلمية والثقافية المعنية بجدوى إنجاز

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب:دراسة لغوية إحصائية، ص12، 13.

(2) المصدر نفسه، ص14.

(3) المصدر نفسه، ص 15.

الأطلس القومي للهجات العربية، وكتابة تاريخ اللغة العربية (المعجم التاريخي).

_ مشكلة الترجمة ، حيث "حكمها في الكثير من الأحيان طابع الاصطفاء أو المصادفة أو إيثار السهولة، كما أن كثيرا منها يكابد مشقة السيطرة على الفكرة في أصولها"[1].

أما على مستوى المكاشفة ، فإنه يشير إلى الحاضنة الطبيعية التي احتضنت اللسانيات في أوروبا، وربطت بينها وبين بقية العلوم الإنسانية بما في ذلك النقد الأدبي ، على اعتبار أن اللسانيات في أوروبا كان نموها نتاج تطور طبيعي في سياق ثقافي نشط وحافل بالحوار العلمي والجدل الفكري المنتج بين العلوم على الرغم من كونها لم تبد اهتماما بالنص الأدبي في مراحلها الأولى.

_ اختلاف الأمر بالنسبة للعلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي في العربية عن بقية اللغات الأخرى ، فقد كان النقاد واللسانيون العرب في اتجاه التأثير الأوروبي في موقع المنفعل والمستهلك ليس الفاعل المنتج"[2].

_ اتخذ هذا التأثير النقدي طريقه في الثقافة العربية بمعزل عن اللسانيات وهمومها الضيقة إبان النشأة.

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب، ص 16.

(2) المصدر نفسه ص 12.

_ دخول اللسانيين العرب في حالة دفاع عن الذات وعما حصلوا من معارف جديدة. فكان هدفهم ترسيخ هذه المعارف الجديدة والإقناع بها.

_ شعور القائمين بأمر اللغة العربية من أفراد ومؤسسات بالاكتفاء الذاتي وعدم الحاجة إلى الجديد. [1]

لهذا كان من الطبيعي أن ينصرف اللسانيون إلى السعي نحو تحقيق غايتين هما:

_ الجدال مع التراث ومن ينصبون أنفسهم حفظة وحراسا عليه.

_ تقديم اللسانيات (علم اللغة) إلى جمهرة الباحثين والمتخصصين تعريفا بها وإقناعا بجدواها[2].

ويضيف سعد مصلوح في السياق ذاته من خلال المكاشفة التي قام بها (مكاشفة الآخر) التي توجه بها إلى جمهور النقاد حيث انطلق منه في تشخيص الإشكالية في العلاقة بين اللسانيات العربية والنقد الأدبي من خلال:

_ رفضه للمناهج السياقية لعجزها عن تحليل النص الأدبي.

_كما أن أغلب المشتغلين بميدان النقد لم يكونوا لسانيين بالتكوين بل أصبحوا لسانيين بالهواية.

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب، ص 12.

(2) سعد مصلوح: في النص الأدبي، ص 9.

_قيام كثير من الكتب والرسائل الجامعية على مفاهيم لسانية مغلوطة يفتقد أصحابها أوليات المعرفة بطرق التحليل التحليل اللغوي ووسائله.

_ ذيوع صيت هذه الأعمال ونيلها حظا جيدا على مستوى التلقي.

_ هناك من الرسائل العلمية ما يقوم على إعمال طرق تحليلية عاجزة أو مناقضة لما ينتصبون لتحقيقه من غايات علمية.

_ التخفي خلف ألقاب الأسلوبية واللسانية وغيرها واتخاذها مطية للخوض في النص الأدبي دون خلفية لسانية حقيقية.

_ عدم تمكن النقاد من أدوات التحليل اللساني سواء بالطرق الأسلوبية التقليدية أو بطرق التحليل الموسعة على مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

_ طابع الاستعجال والتسرع الذي وسم بعض الأعمال "[1].

وهي في مجملها أسباب تشرّح واقع الساحة اللسانية والنقدية العربية في بداياتها. والتي لا تنفصل عن الصراع الفكري والفلسفي الذي عرفته في مطلع العصر الحديث، حول مسألتين هامتين لم يتم الفصل فيهما ؛ هما العلاقة بالغرب والموقف من التراث ؛ لذلك انقسم اللسانيون والنقاد بين الانبهار بالوافد الغربي وعدم القدرة على مواكبته، مفهوميا واصطلاحيا بله تطبيقيا، والتستّر على ذلك باتخاذ العناوين الفضفاضة مطية لركوب موجة الحداثة. أو عن طريق الاعتكاف داخل قلعة

---

(1) سعد مصلوح : الأسلوب ، ص 18.

التراث واجترار مضامينه انطلاقا من نظرة متعالية تكرس الجمود ، والاعتراض عن أي محاولة علمية لنقده أو إعادة قراءته ، أي ما سماه محمد أركون " الأطر الاجتماعية للمعرفة" [1].

لهذا يميز حافظ اسماعيلي علوي بين ثلاثة اتجاهات كبرى في الكتابة اللسانية العربية تتمثل في :

_ كتابة نقدية عامة.

_ كتابة نقدية خاصة.

_ كتابة نقدية مؤسسة [2].

مع تتبّع خصائص كل اتجاه ونقده مع دراسة عينات من المؤلفات التي تمثل كل اتجاه من الاتجاهات السابقة.

من هذا المعطى يتوجه سعد مصلوح إلى المشتغلين بحقل اللسانيات العربية بالإشارة إلى المجهودات التاريخية الكبرى التي بذلها الرواد الأوائل، لكنهم عجزوا عن تخريج جيل من الباحثين الحريصين على الدرس والتحصيل، مما أدى _ في كثير من الأحيان _ إلى تضييع الموروث والتقصير في تحصيل الوافد .

---

(1) محمد أركون: الفكر العربي، ترجمة عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت ، ط3، 1985، ص 12،13

(2) امحمد الملاخ وحافظ اسماعيلي علوي: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون ،بيروت لبنان، منشورا الاختلاف الجزائر، ط1، 2009.

وهو ما نجده مفصّلا في كتاب قضايا ابستمولوجية في اللسانيات العربية.

وهذا ما دفع مصلوح للتساؤل " أنى لعلوم اللسان والنقد الأدبي _والحال على ما ذكرنا _ أن تجتمع وتتآزر على تحقيق المراد من دراسة النص الأدبي، وهو أخطر مظاهر التشكيل اللغوي وأبعدها أثرا"[1].

ويرى أنّ الأمر لن يستقيم ما لم يلتزم كلا الطرفين بالجدية والصرامة مع التزام كل طرف من اللسانيين والنقاد بالإيمان بأن القيمة الحقيقية تكمن فيما يحسنه المرء، إذ يتضح أنّ هدف الباحث المعلن ينبني على مستويين :

_ الأول تؤطره رؤية نقدية نظرية تتوخى البحث في الإجراءات.

_ الثاني: تتحدد مهمته في تشغيل الآليات والمفاهيم التي استثمرها التراث العربي النقدي والبلاغي والتفسيري. [2]

من جهة أخرى لا يتوانى الأستاذ سعد مصلوح عن التصريح باتجاهه اللغوي ونقده اللساني في مواضع غير قليلة ؛ إذ نراه في إطار الرد على المحاضرة التي ألقاها بالنادي الأدبي بجدة في 6 مارس1982 تحت عنوان " المنهج اللغوي في النقد الحديث"، وكان من بين ردود الفعل التي تلت المحاضرة أن نُسب الباحث إلى النقد البنيوي فكان أن ردّ في جريدة المدينة (7أفريل 1982) بمقال وسمه

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب ص 18.

(2) عبد الرحمان التمارة: اللسانيات والنقد الأدبي: مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي ، مجلة علامات المغرب، ع 25، يناير ، 2006 ص135.

بعبارة صريحة مفادها " لست ناقدا بنيويا ولا في نيتي أن أكون".

واعتماد على كون الباحث ينتمي إلى المدرسة اللغوية المعاصرة، فهو لا يتردد في القول بأنه يؤثر أن " يحسب في عداد اللغويين المتخصصين على أن يعدّ من هواة النقاد " [1]. لذلك فإن حق الدرس اللغوي في معالجة النص الأدبي ثابت ومشروع كحق علم النفس وعلم الاجتماع ، وغيرهما من العلوم. ولعل النقد اللغوي أجدر وأولى من بقية العلوم على دراسة النص الأدبي بحكم صلة القربى التي تجمعهما معا وهي اللغة ، دون إلغاء حق العلوم الأخرى في أخذ حصتها من الدراسة " غير أن امتياز المعالجة اللغوية للأدب على غيرها مستمدة من أهمية اللغة في العمل الأدبي ؛ إذ لا وجود له إلا من خلالها ولا كنونة للأدب إلا بها " [2]. فالمعالجة اللغوية للنص الأدبي تعد مسألة وجود بالنسبة للظاهرة اللغوية في حد ذاتها؛ إذ أنّ كينونة النص مرهونة بوجود اللغة ، فلا نص دون لغة، ولا لغة دون نص وهي العلاقة التي تحكم الطرفين. ومن ثم تبرز أحقية النقد اللغوي وأولويته على باقي العلوم الأخرى؛ ذلك أن " الاتجاه اللغوي يقيس مفارقة لغة الأدب وانحرافها عن مألوف الاستعمال، وهذه الخاصية هي التي تجعل من اللغة لغة أدبية " [3].

---

(1) سعد مصلوح: في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف ص207.

(2) المصدر نفسه، ص209.

(3) المصدر نفسه ص 210.

ومن هنا واعتمادا على المعطيات السابقة " أصبح الاتجاه اللغوي مرشحا لدراسة فنية الأدب كائنة ما كانت العينات التي يفحصها أو اللغات التي تنتمي إليها هذه العينات "[1]. وبهذا المفهوم فالباحث ينظر إلى اللغة باعتبارها كيانا كليا يجري النظر إليه بما هي كلّ متكامل يتم تحليله بمستوياته المختلفة صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا . وهكذا نلاحظ أن الباحث يتبنى الاتجاه الأخير الذي أقره أوستن وارين ورينيه ويليك في جعل دراسة الأدب تتم من خلال منظورين أحدهما خارجي والثاني داخلي هو المنظور اللغوي الأسلوبي.

ولعل من القرائن التي تدعم توجه سعد مصلوح للتأسيس لنقد مبني على أسس لغوية لسانية ما حدث في الندوة الدولية للنقد الأدبي التي انعقدت بكلية الآداب جامعة عين شمس بين 20 _ 24 أكتوبر 1997 م تحت عنوان " هل هناك مكان للنقد اللغوي" ، وبعد تعقيب الباحث على قضية الزمان التي هي نهاية القرن العشرين، عرّج على قضية المكان التي رأى أن المشرفين على تحديد العنوان قد أهملوها ، مشيرا إلى أنّ النقد المراد مدارسته هو النقد الأدبي العربي ، مقدّما سؤالا في صيغة جواب على سؤال الندوة موسوم بـ" وهل هناك مكان لنقد غير لغوي؟" ويوضح ذلك بالقول : ولقد جعلت من هذا السؤال الجواب عنوانا يتصدر هذه الكلمة لنعالج من خلاله المشكل المستعلن للعلاقات الشابكة بين هذين المجالين المعرفيين في مقاربة النص الأدبي" [1].

---

(1) سعد مصلوح : في النقد اللساني ، ص 211.

(2) المصدر نفسه ص نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص226

والهدف من هذه المقاربة هو التدليل " لما في مستطاعنا من البراهين على أهمية قياس الدرس النقدي على قاعدة معرفية عميقة باللسانيات وتقنيات التحليل الأسلوبية المنضبطة " [1].

وقد صاغ هذه البراهين مقلبا عدة أوجه للاحتمالات الواردة وهي كما يلي :

_ اللغوي واللساني: يطلق الباحث كلمة " اللغوي صفة لكل نشاط أو عالم يعالج اللغة وقضاياها، قبل نشأة اللسانيات المعاصرة، وبما يقتضيه العمل العلمي المنجز الذي أسهم فيه علماء العربية في مسار الفكر اللغوي ، حيث ظلّ سؤال البلاغة العربية بما خلفه من ميراث هام يلحّ على الباحثين سواء لدى رواد النهضة من أمثال شوقي ضيف وشكري عياد، أو من المعاصرين وعلى رأسهم سعد مصلوح الذي سعى جاهدا إلى ربط البلاغة العربية القديمة بمنجزات اللسانيات والأسلوبيات المعاصرة، حريصا على محاولة الإجابة عن جدوى البلاغة الموروثة " ومدى قدرتها على مواجهة النص الأدبي الذي لم يعد أدبيا فقط بل اتسع باتساع مفهوم النص الذي يبدأ من المتداول في كل مجالات الحياة ليصل إلى النص الأدبي بجميع أشكاله" [2]. فقد سمح البحث اللساني والأسلوبي باتساع وتعدد مفاهيم النص الأدبي من جهة، وكذلك النقد الأدبي الذي ارتبط بصلات وثيقة بعديد العلوم والحقول المعرفية المتشابكة ؛ إذ " أفاد من نتائج البحث الاجتماعي والنفسي

---

(1) سعد مصلوح: في النقد اللساني، ص226.

(2) أحمد يوسف علي: سؤال البلاغة عند مصلوح ، كتاب جماعي: العلامة سعد مصلوح سيرة ومسيرة، عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 2016.

والإعلامي والسياسي بحيث صارت البلاغة وكأنها علم يطل على كلّ العلوم ويتداخل معها تداخلا بيّنا وكبيرا ، وصارت فكرة التأثير والإقناع محور الدرس البلاغي في كل مجالاته" [1] ، حيث ارتبطت البلاغة الجديدة بنظرية التلقي وأساليب الحجاج.

لهذا وجدنا سعد مصلوح في كتابه " البلاغة العربية والأسلوبيات اللسالنية" بمختلف مباحثه يحاول جاهدا توثيق الصلة بين البلاغة العربية والأسلوبية المعاصرة عن طريق تجديد أدوات البحث ، لذا كان من الضروري تحرير علاقة البلاغة باللسانيات والأسلوبية ليتسنى بسط أدوات هذا المنهج الجديد كما حدث في الكشف عن الجهاز القواعدي للغات ثلاث هي العربية والإنجليزية والروسية والمتمحورة حول نص واحد هو النص القرآني.

إن سعد مصلوح لا يدرس البلاغة الموروثة بعيدا عن منجزات العصر ونظرياته في هذا المجال ، وإنما يحاول أن يعقد نوعا من القران المنهجي بين البلاغة العربية والدرس الأسلوبي اللساني ، هادفا إلى بثّ نسغ جديد في ثقافتنا النقدية المعاصرة بالمزاوجة بين المنجز العربي القديم والجديد الوافد من الغرب من أجل أنه " علينا حين نرهف آذاننا لنسمع أصوات العصر أن نجعل عيوننا وعقولنا على مشكلاتنا؛ إذ لا قيمة عندنا لفكرة تستفاد من ثقافة أخرى بقدر ما تلبي حاجة أو تحلّ مشكلا أو تضيء سبيلا" [2]

---

(1) أحمد يوسف علي: سؤال البلاغة عند مصلوح، ص 37.

(2) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط2 2010، ص09.

وعلى هذا الأساس يكون الهدف من المثاقفة يحمل توجها براغماتيا نفعيا يسعى إلى إحياء ثقافتنا وتجديدها، عن طريق امتلاك الأدوات التي تساهم في تفعيلها. فالثقافة المعاصرة إن لم تساهم في حلّ المشكلات الفكرية التي تتخبّط فيها ثقافتنا عامة ، ونقدنا الأدبي بصورة خاصة هي تكريس للمشكل وتعقيد له فحسب. و الباحث فضلا عن ذلك على أتم الوعي بالمحاولات السابقة، التي سعت إلى تجديد البلاغة العربية لتحريرها من ربقة الجمود الذي وقعت فيه، مفردا للصيغة السكاكية في " مفتاح العلوم" فصلا من كتابه في البلاغة العربية والأسلوبيات المعاصرة ، بالإضافة إلى منجزات حازم القرطاجني الذي خصه بكتاب كامل في مطلع شبابه، وإن غلب على منهجه فيه طابع التحليل التاريخي.

ولعلّ من أهم التساؤلات التي طرحها ذلك التساؤل " المتعلق بكيفية إنشاء علاقة بين مادة قديمة خضعت للمنطق الأرسطي من جانب والنحو والصرف من جانب آخر، وبين علم معاصر قائم على درس لغوي وصفي ودرس نقدي تحليلي"[1]

ويرى سعد مصلوح في كتاب" مفتاح العلوم " للسكاكي وإن عدّ "بداية التأليف التقعيدي هو عندنا من كتب الاتجاه الأصولي التي تؤصل لدراسة الظاهرة الأدبية وهو يشارك في هذه الخاصية كتاب "منهاج البلغاء لحازم القرطاجني " .

---

(1) أحمد يوسف علي: سؤال البلاغة عند مصلوح، الكتاب الجماعي، ص 43.

على اعتبار أنّ " صيغة السكاكي لا تزال أصلح الصيغ للاستثمار وإقامة حوار بين العلم الموروث والعلم المستفاد في مجال الأسلوبيات اللسانية. كما أن صيغتي عبد القاهر الجرجاني والقرطاجني لا تزالان أساسا لإقامة الحوار في مجال الدرس النقدي[1].

ومن الأسئلة التي التي طرحها الباحث حول مفتاح السكاكي :

_ ما مدى مسؤولية السكاكي في كتابه عن تقسيم البلاغة القسمة الثلاثية المشهورة (علم المعاني والبيان والبديع)؟

_ ما مسؤوليته عما نسب إليه من إصابة البلاغة بالجمود؟

_ ما حظّ منتقديه قدامى ومحدثين من التوفيق[2] .

أمّا أخطر سؤالين يختم بها تساؤلاته فهما :

_ هل يمكن أن يصاغ منهج السكاكي صياغة جديدة ينتفع بها الدرس الأسلوبي المعاصر؟

_ ما نوع العلاقة المعرفية بين العلم الموروث والعلم المستفاد في هذا المقام؟

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية واللسانيات المعاصرة ص 10 .

(2) أحمد يوسف علي: سؤال البلاغة عند مصلوح، ، ص 48.

يذهب الباحث أحمد علي يوسف في مقال له ضمن الكتاب الجماعي "العلامة سعد مصلوح عبد العزيز سيرة ومسيرة" إلى أنّ الأسئلة المنهجية التي طرحها العلامة ، هي بمثابة اكتشاف جديد لكتاب السكّاكي جعله صيغة نافعة لإقامة علاقة جديدة بين البلاغة الموروثة والعلم المستفاد كما وضع المفتاح بجوار المنهاج ، حيث تكمن أهمية هذه الدراسة في نقل مصلوح كتاب المفتاح من الاتجاه التقعيدي إلى الاتجاه الأصولي الذي يعالج القضايا الكلية" [1] . وبذلك فهو لا يحمّل السكاكي مسؤولية جمود البلاغة العربية لأنه درس النحو والصرف والبلاغة، بينما انصرف دارسوه من القدماء والمحدثين إلى الدرس الأخير وتقسيماته الثلاثية مما أفضى إلى هذا الجمود " انحصاره في المثل والشاهد واقتصاره على النص الأدبي لا على الكلام بجميع مستوياته" [2] .

وهكذا انتهى سعد مصلوح إلى أهمية الصيغة السكاكية ، وإمكانية إعادة قراءتها لتكون الجسر الذي يستطيع الباحثون من خلاله عقد الصلة بين الأسلوبيات اللسانية وبين البلاغة العربية " مراعيا الاختلافات والتمايزات بين البلاغة العربية القديمة الموروثة وبين الدرس الأسلوبي اللساني المعاصر من حيث المنهج والموضوع والمادة المدروسة"[3].

---

(1) أحمد يوسف علي : سؤال البلاغة عند سعد مصلوح ص 51.

(2) المرجع نفسه ص 51.

(3) المرجع نفسه، ص 52.

أما لفظ اللساني فينصرف إلى كل علم وعلى كل عالم أو نشاط ينتمي إليه بالفلسفة والتأسيس النظري وتقنيات التحليل إلى أي مدرسة من المدارس العلمية التي تصدت للغة وقضاياها في القرن العشرين وما يتلوه .

وهكذا فإن الباحث بعد فحصه للفرق بين مصطلحي اللغوي واللساني وتمييزه بينهما ، يعود مجددا ليعالج السؤال / العنوان " هل هناك مكان للنقد اللغوي؟ " ومن ثم يخلص إلى أن مصطلح " لغوي " يحمل ثلاث دلالات هي :

أ/ أنها وصف للنشاط العلمي السابق على ظهور المدارس اللسانية المعاصرة وبهذا يكون لها المفهوم نفسه الذي اقترحته هذه الورقة لمصطلح "لغوي".

ب / أنها وصف للنشاط العلمي المعاصر ، فتكون مصطلحا مكافئا للمصطلح "لساني".

ج/ أنها وصف يعمّ كل نشاط علمي دارس بع العلماء اللغة في القديم والحديث [1].

ومن ثمّ فقد أورد عدة احتمالات لدلالة النقد اللغوي، منها إحالته على النقد التراثي البلاغي ثم النقد اللساني وهو الترجيح الذي يميل إلى تبنيه باعتبار أنّ علم الأسلوب وأجرومية النص هما أبرز الإسهامات اللسانية في مجال نقد النص الأدبي، وهذا القران المنهجي بين اللسانيات بمختلف

---

(1) سعد مصلوح : في النقد اللساني ، ص 228.

توجهاتها، ومدارسها والنص الأدبي يقوي الصلة بينهما، حيث يعدّ الجسر الرابط بينهما انطلاقا من كون " علم الأسلوب يظل إسهاما لسانيا متميزا ومنضبطا في تقديم حل علمي لجوانب ذات خطر في المشكل النقدي" [1]. كما أنّ الباحث لا يعدّ الدرس الأسلوبي "مرادفا وطبقا للنقد اللساني ، ولكنه شعبة منه، بينهما مطلق العموم والخصوص ، ذلك أنه يتسع للنقد الثقافي الذي قوامه نقد الثقافة في اللغة وباللغة. وهو باب من العلم يمارسه اللسانيون على نحو يخالف ما عليه ممارسوه من النقاد" [2] ويكمن الخلاف بينهما في " الفرق بين مزاج يعمل تقنياته البحثية المنضبطة، ويحرر منظومته المصطلحية ويعتدّ بالاستقراء والاستدلال ومزاج آخر تنزعه نوازع الحرية والتمرد على صرامة المنهج، ويعتدّ بالحدس والموهبة الفردية حتى أنّ منهم من تطوع له نفسه أن يقول إن النقد إبداع على إبداع، وهو قول ضرب الحق بالباطل" [3].

لهذا نجد الباحث لا ينسى التعريج على ما يسميه، بالنقد المتألسن والذي يعود فيه إلى قضية عدم انتمائه إلى البنيوية النقدية _ كما ذكرنا من قبل _ ذلك أنّ " الرؤية البنيوية في النقد ذاتية في جوهرها وإن تدثرت بطيلسان العلمية وجمهرة النقاد البنيويين يقرون أنّ البنية لا وجود متعينا لها في العمل ، لكنها مبدأ أو تصور عقلي لعناصر العمل والعلاقات المهيمنة على دينامية التفاعل بين هذه العناصر" [4].

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي ص 231.

(2) المصدر نفسه ص 232 ، 233 .

(3) المصدر نفسه ص 233 .

(4) المصدر نفسه، ص 235.

أما عن قضية موت المؤلف التي ارتبطت بالبنيوية، في علاقتها بالنقد اللساني فيذهب الباحث إلى " اعتباره شرطا لعلمية التحليل وهو لا يقطع العلائق بين النص والمقام والفاعل في صياغته و تأويله، ويجعل لمتلقي النص نصيبا بالغ الأهمية في تقويم النص وتذوقه معتضدا بالمقاربات السيميائية والهرمينوطيقية والمقاماتية في تحقيق انفتاح التأويل، وهو يمدنا من طرائق التحليل وتقنياته بما هو حري أن يكشف عن جماليات النص ومقومات الأدبية" [1].

كما ينظر الباحث إلى نظريات ما بعد البنيوية التي يرى أنها بدورها " لم تتخلص من إسار اللسانيات حتى وهي في ذروة المخالفة والجدل مع مقولاتها وتصوراتها، ومن ثم صح عندنا إطلاق تسمية المتألسن على هذه النظريات تمييزا لها من النقد اللساني المحض الذي ينهض على أساس علوم تخضع في بنيتها المنهجية وتطورها المنطقي لعلم وتدافع النظريات داخل المجال المعرفي الواحد" [2] . وهذا هو الفرق بين النقد اللساني ذي الصرامة المنهجية والنقد المتألسن الذي لم يستطع التحرر نهائيا من ربقة اللسانيات وإسارها.ويعتقد الباحث أنّ هذا النوع من النقد يمكن أن يكون ضمانا معتمدا لتقديم صيغة علمية لمعالجة النص الأدبي.

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي، ص 236.

(2) المصدر نفسه، ص237.

ويمتاز هذا الضرب من النقد بـ:

_ نظامية المفاهيم.

_تراتب مستويات التحليل.

_منهجية المعالجة.

_الإسهام في صياغة استراتيجية واضحة للنقد.

_ استيفاء شرط الموضوعية بطبيعة الظاهرة المدروسة.

_ قيام الدراسة على النسبية والاحتمال.

_ قدرة الباحث على الحدس العلمي وصياغة الفروض واختبارها [1].وهي المقاييس التي تضمن للنقد علميته.

ويضع سعد مصلوح جملة من الشروط في الباحث المهتم بالمعالجة النقدية للنص الأدبي منها:

_ الموهبة.

_ سعة الثقافة .

_ المعرفة العميقة والصحيحة بعلوم اللسان وبتقنيات التحليل الأسلوبي وما يتصل بها من علوم كاالسيميائية والتأويلية والتداولية (المقاماتية).

---

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي، ص 237.

وإن لم يتقيد الباحث بهذه الشروط فهو من ذلك الصنف الذي " يحج إلى عالم النص وليس له من آلة الحج إلا التلبية" [1] .

في الكتاب النقدي الذي صدر عن سعد مصلوح سنة 2016 ، والذي ساهمت فيه عديد الأقلام النقدية المتخصصة كما تضمن القسم الثاني منه دراسات مهداة إلى الباحث، نجد حافظ اسماعيلي عليوي يفرق بين جملة من المصطلحات ذات الصلة بالنقد اللساني، والتي يمكنها الالتباس معه في آن معا ، انطلاقا من الأبحاث التي قدمها سعد مصلوح في هذا المجال، ومن بين هذه المفاهيم اللسانيات النقدية _ الخطاب النقدي _ التحليل النقدي للخطاب، حيث يشير بالقول " إننا لا نقصد بالنقد اللساني في هذه الدراسة مجال البحث الذي تنضوي تحته تلك الدراسات التي تشتغل بتطبيق النظريات اللسانية في تحليل النصوص الأدبية كما لا نقصد بذلك ما يعنيه مصطلح " اللسانيات النقدية " الذي يشير إلى ذلك الفرع اللساني الذي نشأ في أواخر القرن الماضي، والذي يهدف إلى نقد النظريات اللسانية وبخاصة تيارها الشكلي"[2] وهكذا فالباحث يستبعد هذين الفرعين الهامين من دراسته، مع أن سعد مصلوح لم يهملهما في كتاباته التي امتدت لتشمل نقد النقد ولسانيات النص نظريا وإجرائيا، ومن ثمّ فإنّ الباحث حافظ اسماعيلي يحيلنا على المفهوم الذي يريد " بالنقد اللساني" من خلال التصريح بالقول

---

(1) في النص الأدبي ، ص 238.

(2) حافظ اسماعيلي علوي: النقد اللساني عند سعد مصلوح، الكتاب الجماعي، ص94.

"ما نعنيه بالنقد اللساني هنا المراجعة النقدية للكتب" [1] على غرار ما تنشره الدوريات الأجنبية من مراجعات للكتب ومثاقفات، وهو الأمر الذي صرح به سعد مصلوح " وكنت منذ سن الطلب الأول شديد الحفاية بتتبع الدوريات المتخصصة في اللسانين الإنجليزي والروسي، وراعني ماكانت تحظى به مراجعات الكتب من فائق العناية؛ إذ يسهم فيها الراسخون في كل بابة من بابات هذا العلم الشريف وكنت أجد أثر ذلك حميدا فيما أعقل من فكر ، وما أقوم عليه من عمل، وأعزو إلى ذلك سرّ الحيوية والعنفوان فيما يكتبون وينقدون" [2].

ويعود الباحث حافظ اسماعيلي ليتتبع المفاهيم اللغوية للنقد كما وردت في المعاجم العربية على غرار ما ورد عند ابن فارس والزمخشري وابن منظور.و في بعض المعاجم الاصطلاحية مثل "المعجم المفصل في اللغة والأدب"، ليخلص في الأخير إلى أن يكون النقد اللساني" منطلقا لفحص المعرفة اللسانية استنادا إلى أسس دقيقة لا يمكن أن تكون المقاربة نقدية إلا بها" [3] ، ويذكر من تلك الأسس:

_ وضوح المنهج .

_ الربط بين المقدمات والنتائج

_ اعتماد أساليب التوضيح

_ وجاهة الأسئلة والإشكالات والإجابة عنها بوضوح.

---

(1) حافظ اسماعيلي علوي: النقد اللساني عند الدكتور سعد مصلوح، كتاب سيرة ومسيرة، ص 94.

(2) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات المعاصرة، ص 11.

(3) حافظ اسماعيلي علوي: النقد اللساني عند الدكتور مصلوح، ص 95.

_ الموضوعية في الطرح.

_ نكران الذات.

_ تنوع المرجعيات التفسيرية ، وآليات التحاجج والتناظر المعتمدة في التحليل[1].

أما المراجعات النقدية التي قام بها سعد مصلوح والمتعلقة بمراجعة الكتب والمقالات فتحمل قيمة علمية ومنهجية كبيرة تقوم على أسس ابستمولوجية واضحة، انطلاقا من المداخلات والمقالات والبحوث والمثاقفات التي قام بها منذ ستينيات القرن العشرين .

لذلك فإن الباحث يقسم النقد اللساني لدى سعد مصلوح إلى قسمين كبيرين:

أ/ نقد لساني عام: وهو الذي طرح فيه قضايا عامة في مجال اللسانيات العربية ممثلة في بحثيه:

_اللسانيات العربية وقراءة النص الأدبي.

_ اللسانيات العربية والتراث (حصاد الخمسين).

ب /نقد لساني خاص :

يتبلور من خلال تركيزه على جانب لساني خصه بالنقد والتحليل ويشمل :

---

(1) حافظ اسماعيلي علوي : النقد اللساني عند الدكتور مصلوح ،كتاب سيرة ومسيرة ص 97 .

1_ مراجعات أسلوبية.

2_ مراجعات صوتية.

3_ مراجعات عروضية.

4_ مراجعات معجمية مصطلحية.

5_ مراجعات في نحو الجملة ونحو النص.

أما عن أهمية النقد اللساني فيقرر الباحث أن هناك أمرين لا ينفصلان تتحقق من خلالهما الغاية من النقد اللساني:

_أولهما : وعي المراجع بأهمية المراجعة النقدية التي تساهم في تقدم المعرفة والنهوض بها.

_ ثانيهما: أنّ تحقق الأهداف المرجوة من المراجعة لا يمكن أن يكون إلا بالمكاشفة الصريحة والنقد البنّاء" [1].

إنّ ما يعنينا في هذا الباب هو النقد اللساني العام الذي يرتبط بأوثق الصلات بالنقد الأدبي ويوضح العلاقة الوطيدة بينهما ، ذلك " أنّ مناقشة قضايا النص الأدبي في نظر الناقد سعد مصلوح يجب أن تنهل بالضرورة من من الحقل اللساني" [2].

---

(1) حافظ اسماعيلي علوي: النقد اللساني عند الدكتور مصلوح، ص 101.

(2) المرجع نفسه، ص 106.

أما مبرره في ذلك فهو أنّ معظم الخلافات التي تقع حول النص الأدبي تعود بالأساس إلى المشكلات اللغوية لأنّ " أعمال النقاد لم تستند إلى رؤية لسانية دقيقة هي آمال قد هدرت كينونة النص الأدبي وغيّبت أدبيته. وفي ذلك إشارة إلى القطيعة بين حقلي النقد واللسانيات " [1] كما بينا من قبل.

وينبه الباحث إلى أن سعد مصلوح قد أقام مراجعته على ثلاث نقاط كبرى هي :

_ أهم أسباب القطيعة بين هذين الحقلين الحيويين.

_ مظاهر التقارب بينهما بالكشف عن مواطن الخلل.

_ رؤية استشرافية أساسها تطوير رؤية النقد الأدبي عن طريق " نقد الذات" و"مكاشفة الآخر".

ففيما يخص النقطة الأولى يذهب الباحث إلى أن سعد مصلوح يعزوها إلى:

_ الثقافة الاستهلاكية للنقاد واللسانيين العرب.

_ محدودية قدراتهم على الإبداع والإنتاج.

_ الانبهار بكل جديد.

_ تأثر النقد الأدبي في الثقافة العربية بالتيارات الأدبية في أوروبا تم بمعزل عن اللسانيات [2].

---

(1) حافظ اسماعيلي علوي : النقد اللساني عند الدكتور مصلوح ،كتاب سيرة ومسيرة ص101 .

(2) المرجع نفسه، ص 107.

ولا يختلف الباحث حافظ اسماعيلي عليوي مع ما ذهبنا إليه سابقا في تحديد أسباب القطيعة بين اللسانيات العربية والنقد الأدبي، إذ يعزوها إلى :

_ الثقافة الاستهلاكية للنقاد واللسانيين العرب.

_ محدودية قدراتهم على الإنتاج والإبداع.

_ توجيه اللسانيين العرب لجهودهم إما لدراسة التراث أو تقديم اللسانيات.

ويرى أن سعد مصلوح يحصر أسباب هذا الخلل في المظاهر التالية:

_ افتقار المقدمات والمداخل إلى علم اللغة في عنصري الفرادة والخصوصية(التكرار).

_ ترسيخ رواد اللسانيات العربية لمسلّمات عديدة دون مراعاة قضية تطور العلم باستمرار، حيث تلته اتجاهات ومناهج مختلفة.

_ مشاكل الترجمة العربية ونواقصها في مجال الأعمال اللسانية العربية، مما أدى إلى تشويه الأفكار الأصول.

ونظرا لكون اللسانيات تصنف ضمن أخطر العلوم التي ارتبطت بها بقية العلوم الانسانية، فهي الأساس المنهجي الذي يؤكد عليه سعد مصلوح ، فلا يمكن مناقشة قضايا النقد الأدبي ومشكلاته بعيدا عن عن الحقل اللساني، على اعتبار أنّ المسائل الخلافية بين النقاد تعود في أصلها إلى مشكلات لغوية أساسا، ومن هنا فإن أعمال النقاد التي " لا تسند إلى رؤية لسانية دقيقة هي أعمال هدرت كينونة النص الأدبي وغيبت أدبيته. وفي ذلك إشارة إلى القطيعة القائمة بين حقلي النـقد

واللسانيات" [1]. وهو في هذا الموضع لا ينفي بقية الجوانب الأخرى التي يتوفر عليها النص الأدبي باعتباره " ظاهرة معقدة غاية التعقيد، متعددة المظاهر، ففيه تلتقي روافد فردية ونفسية واجتماعية وتاريخية في نسيج فني لغوي متشابك ذي صبغة معقدة" [2].

ومن خلال هذا المفهوم نجد سعد مصلوح يستقصي ذلك بالتحليل انطلاقا من :

_ أولا : إنّ النص الأدبي نتاج فردي ، لكن هذا النتاج الفردي لا ينفصل عن جملة من العلاقات المتشابكة، تتعلق بسيرة الفرد وعلاقته بإبداعه، مع الإشارة إلى العلاقة بين التكوين النفسي للمبدع وعمله من زاويتي " سيكولوجيا الإبداع" و"سيكولوجيا الشخصية"، وبذلك يقع العمل الأدبي في صميم من مجال الدراسة النفسية.

_ ثانيا: إن هذا النتاج الفردي لا ينتجه صاحبه بمعزل عن تأثيرات مجتمعه وثقافته والعكس ، وحينئذ يكون الكشف عن العلاقة بين ما هو فردي وماهو اجتماعي بعين الخبرة في العمل الأدبي سببا يجعل من النص الأدبي بحثا جيدا من مباحث علم الاجتماع.

---

(1) حافظ اسماعيلي علوي: النقد اللساني عند الدكتور سعد مصلوح، ص101.

(2) سعد مصلوح: في اللسانيات والنقد : أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 2017، ص 21.

_ ثالثا: إنّ علاقة دراسة الأدب بالمنهج التاريخي عن طريق دراسة المتغيرات الثقافية والتاريخية والسياسية التي تؤثر في الإبداع الأدبي.

_ رابعا: إن تعدد المذاهب الأدبية والفلسفية يجعل بعض الباحثين يعتمد أثناء معالجته للنصوص الأدبية مناهج فنية.

_ خامسا: تشارك النص الأدبي مع بقية الفنون الأخرى في جوهر واحد، ومن ثمّ فإنّ العمل الأدبي يدرس _ من هذا الجانب _ مبحثا من مباحث النظرية العامة للفن .

_ سادسا: إن العمل الأدبي فن لغوي، بمعنى أنّ اللغة هي المادة الأساسية له إذ من خلال التشكيل الأسلوبي المنتظم وفق طريقة معينة ينتج النص الأدبي. وعلى هذا الأساس تكون اللغة هي العنصر المشترك بين النص الأدبي، لأنّ اللغة هي موضوع دراستها.

_ سابعا: اللغة نظام رمزي " وبذلك تكون دراسة اللغة على تشعبها وتعدد مستوياتها موضوعا من موضوعات علم الرموز "[1] .

---

(1) سعد مصلوح: في اللسانيات والنقد الأدبي ،أوراق بينية، ص 23.

وهذا التوزيع للنقد الأدبي جعله قاسما مشتركا بين شتى الاتجاهات والتخصصات والمذاهب. غير أنّ الباحث لا ينأى كثيرا حتّى يعود إلى قضية دراسة النص الأدبي من خارجه ومن داخله، معيبا على دعاة المبدأ الأول " جدوى الربط ما بين الأمرين، لأنّ العمل الأدبي هو مستوى مختلف تماما عن حياة الأديب الظاهرة للناس (...) وكثيرا ما أثيرت التساؤلات حول هذا الموضوع.[1]

أما عن دراسة الأدب من الناحية السيكولوجية أو السوسيولوجية أو المضمونية. أومن خلال القيم الفكرية والفلسفية التي يحملها، فهي دراسات للمقام في أصلها. وأما المقال فتابع لها.ومن هنا " نتوقع أن تغبن أدبية النص الأدبي في مثل هذه الدراسات إلى حدّ كبير"[2] . أمّا إذا عدنا إلى دراسة المقال _كما يسميها _ أي دراسة النص من الداخل، فلا بد ألاّ ننسى أنّ العمل الأدبي فن لغوي، وأنه بذلك أحد أهم مباحث علم اللغة.

كما ذهب الدكتور يوسف وغليسي إلى أنّ العلاّمة سعد مصلوح، قد زاوج بين الطرحين القديم والحديث، واللغوي والأدبي، إذ " أسهم إسهاما واضحا في حركية النقد، بما أبدع وأضاف من مبتكرات وآليات إجرائية فردية، وبما طبّق من وسائل منهجية غربية"[3] ؛ بحيث مزج بينهما بطريقة متوازنة وموضوعية، لا على سبيل التلفيق، وإنما وفق رؤية منهجية " متظاهرا إزاءها بروح علمية وسطية مرنـة

---

(1)سعد مصلوح: في اللسانيات والنقد ، ص 27.

(2) المصدر نفسه، ص 33.

(3) يوسف وغليسي: العلاّمة سعد مصلوح ناقدا لسانيا، الكتاب الجماعي سيرة ومسيرة ، ص 427.

يتزاوج فيها الموروث العربي القديم والمكتسب الغربي الحديث دون أن يزاحم أحدهما الآخر"[1].

وكما أشرنا في مطلع هذا الفصل فإن العلامة سعد مصلوح يعدّ من أهم المشتغلين بالجانب الاصطلاحي؛ ويتجلّى ذلك على الخصوص في حرصه على تذييل بعض كتبه بكشاف للمصطلحات؛ إذ نرى أنه يعمد إلى تخريج مصطلحات يراعي فيها جانبين ؛ جانب الدلالة والمطابقة للمدلول الأجنبي، وجانب التأصيل ؛إذ كثيرا ما كان يلجأ لإعادة بعث مصطلحات من التراث النحوي أو البلاغي أو اللغوي، كما لاحظنا ذلك في تفريقه بين مصطلح اللغوي واللساني والمتألسن. وكما سنلاحظه في توظيفه لمصطلحات أخرى في الفصول القادمة.

كما تجدر الإشارة إلى استخدامه لنوع من المزاوجة بين الترجمة والتعريب يعلله الدكتور وغليسي بالتحلي بالوسطية الفكرية واقتفاء خطى أستاذه عبد الرحمان أيوب[2] ، نجد ذلك في مصطلحات الكرونيم (طوليم):chroneme،الحرفيمات:graphemes، الكيموغراف kymograph صوت أنفمي:nasalized، صوتيم: phoneme: الصوتيميات:phonemics، الصوتولوجي : phonology [3].

---

(1) يوسف وغليسي: العلاّمة سعد مصلوح ناقدا لسانيا، الكتاب الجماعي سيرة ومسيرة ، ص 427.

(2) المرجع نفسه ص428.

(3) سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، ط1، 2005، ص 291 إلى 304.

وخلاصة القول، ، فقد أفضى بنا النظر في الأعمال النقدية للدكتور سعد مصلوح، التي هي من صميم نقد النقد ، إلى جملة من النتائج ، يمكن حصرها فيما يلي:

_ ضرورة المزاوجة بين اللسانيات والنقد الأدبي.

_ العناية بالإشكالية الاصطلاحية .

_ وقف أسباب القطيعة بين اللسانيات والنقد الأدبي العربي.

_ ضرورة التزام الصرامة العلمية والرصانة والموضوعية.

_ السعي نحو الرقي بالنقد الأدبي لاستكشاف مكنونات النص، عن طريق تعزيز ارتكازه على اللسانيات، لأنها تمثل الدراسة العلمية للغة.

_ اتخاذ الباحث في نقده اللساني لمدخلين هما الأسلوبية ونحو النص.

_ رفض النقد السياقي لأنه ينأى عن الجوهر الحقيقي للنقص الأدبي، الذي هو في أصله نص لغوي.

_ ضرورة الإفادة من تطور اللسانيات ، وخاصة اللسانيات المعرفية والأسلوبية وغيرها.

_ السعي نحو تفعيل البلاغة العربية، باعتبارها ضربا من النقد اللغوي، مع ربطها بالأسلوبيات المعاصرة.

_ استثمار النظريات التراثية وإعادة بعثها ، من أجل صوغ نظريات جديدة، عن طريق الآليات التي أتاحتها اللسانيات.

الفصل الثاني:

الأسلوبية الإحصائية لدى سعد مصلوح

قبل الحديث عن الأسلوبية الإحصائية في مستواها النظري وكما تناولها الباحث القدير سعد مصلوح، يجدر بنا أن ننظر في الجانب اللغوي لعنوان هذا الفصل حيث يتكون من مركبين؛ الأول هو الأسلوبية نسبة إلى الأسلوب؛ ففي الأدب هو طريقة في معالجة نص كاتب معين، أما لسانيا فهو مجموع إجراءات التعبير المستعملة في الخطاب؛ وهو الموضوع الذي تدرسه الأسلوبية" [1] وبتعبير آخر هو " الذي يصوغ الأعمال الأدبية ويمنحها شخصيتها المميزة ، من أهم الأهداف والوظائف التي تركز عليها النظرية الأسلوبية دراستها للغة الأديب كما يمثلها إنتاجه الأدبي" [2].

يعود الفضل في ظهور الأسلوبية إلى شارل بالي، أحد تلامذة سوسير الذي اصطنع مصطلح الأسلوبية في نوعها التعبيري، أو الوصفي، محددا إياه في نوع من أنواع الخطاب بحيث" كان له الفضل في تسجيل الحدود التي أرادها ضيقة بوعي كامل، إنه ضيق حقل دراسته، وجعله حكرا على الناحية الوجدانية، أي أنه أبعد القيم التعليمية والجمالية" [3] أو هي من زاوية أخرى "الاهتمام بدراسة اللغة مفردات وقواعد، ولم يهتم بدراستها استعمالا خاصا .أو لم يهتم بما يستطيع الفرد أن يفعله في ظروف معينة وغايات محددة " [4].

(1) www:wikipedia

(2) حامد صدقي ومحمد يعقوبي، قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب، مجلة دراسات الأدب المعاصر، شتاء، 1391هـ ، طهران، ع16، ص 82.

(3) بيار غيرو : الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للطباعة والترجمة والنشر، دمشق، ط2، 1994.

(4) المرجع نفسه، ص نفسها.

ليأتي من بعده جملة من الباحثين ويمنحوها تفرعات مختلفة فظهرت الأسلوبية النفسية لدى ليو سبيتزر، أو تلك التي تبناها البنيون أو تلك التي ظهرت عليها بصمات ماروزو أو ميشال آريفي أو بيار غيرو وريفاتير أو غيرهم . ومن ثمّ أمكن التفريق بين الدراسة التي تعنى بالخطاب بشتى أنواعه وتلك التي تجعل الخطاب الأدبي محور انشغالها. لذلك نجد من مفاهيمها الأخرى أن موضوع الدراسة اللسانية هو الأسلوب اللغوي، وموضوع الدراسة الأدبية هو الأسلوب الأدبي .

ويعرف الأسلوب اللغوي نظريا بأنه طريقة التعبير اللغوي، التي تميز تعبير الشخص ، وتلقى اهتماما كبيرا وخاصا لأنها تتضمن اللغة المحكية إلى جانب اللغة المكتوبة المفضلة عرفا "[1] . أما علميا فتعرف بأنها" مجموع كل العناصر اللغوية المستعملة في نص"[2].

وقد تجاوزنا المعنى اللغوي للأسلوب، نظرا لكثرة تناوله من قبل الباحثين، سواء في اللغات الأجنبية أو في اللغة العربية .

أما المركب الثاني فهو الإحصاء statistics; statistique ، حيث ورد ذكره في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى " لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا "[3] وقوله " ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا"[4].

---

(1) فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003، ص19.
(2) المرجع نفسه ، ص نفسها.
(3) سورة الجن الآية 28.
(4) سورة الكهف الآية 12.

وقد عرفه المعجم الفلسفي بأنه عدّ الأشياء وضبطها وهو الأصل في علم الدولة لاقتصاره على دراسة شؤون الدولة من جباية وتجنيد ودخل وتخريج"[1] أو " أن علم الإحصاء هو الذي يبحث في الحصول على قيم معينة تمثل الاتجاهات التي تشير إليها مجموعة كبيرة من الأرصاد والقياسات، وأشهر مقياس إحصائي هو الوسط الحسابي (...) والانحراف الإحصائي الذي يبين مدى بعد القيم الفردية عن الوسط الحسابي" [2].كما يعنى "بمسألة العينات التي تهدف إلى معرفة مدى انطباق الإحصاء الخاص بمجموعة كبيرة من القيم" [3].

أمّا الإحصائي(statistical) فهو المنسوب إلى الإحصاء ، أو المتعلق بالإحصاء تقول المقياس الإحصائي، والطريقة الإحصائية"[4] .

في حين عرف على المستوى الاصطلاحي بكونه "مجموعة النظريات والطرق العلمية التي تبحث في جمع البيانات وعرضها وتحليلها واستخدام النتائج في التنبؤ والتقرير واتخاذ القرار" [5].

---

(1) جميل صليبا : المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، ط1، 1978، ص 45.ص 45

(2) المرجع نفسه، ص نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

(4) المرجع نفسه، ص 46.

(5) محمد عبد السميع طيبة:: مبادئ الإحصاء، دار البداية، عمان ، الأردن ، ط1، 2007، ص 12.

وهو علم قائم بذاته له قواعده وقوانينه الخاصة به ، لكن أهميته تظهر في "استخدامه كمنهاج للبحث في الميادين العلمية المختلفة "[1]. وهو فرع من الرياضيات لكن استخداماته تشمل جل العلوم سواء أكانت علمية بحتة أم إنسانية وفي شتى نشاطات الحياة. وعلى الرغم من عدم وجود تعريف جامع ، ونجد من مفاهيمه الحديثة أنه " العلم الرئيس" للتنبؤ بالمستقبل" أو لصنع استنتاجات حول المجهول" أو لإنتاج ملخصات مناسبة من البيانات وعند جمع هذه التعريفات معا فإنها تغطّي على نحو واسع جوهر هذا المجال"[2].

ومن المصطلحات التي تتداول في مجال الإحصاء مفهوم المجتمع الإحصائي statisticalpopulation " أو مجتمع الدراسة وهو" مجموعة القيم الكلية الخاضعة للدراسة "[3] أي المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحث إلى أن يعمّم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة التي يريد دراستها.

أما العيّنة فهي " مجموعة فرعية من مجموعة القيّم الكاملة الخاضعة للدراسة"[4].

---

(1) عبد العزيز فهمي هيكل: مبادئ الأساليب الإحصائية، المركز الدولي لتعليم الإحصاء، بيروت، لبنان ، ط1، 1966، ص 14.

(2) ديفيد جيه هاند: علم الإحصاء، ترجمة أحمد شكل ومراجعة محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، ط1، 2016، ص10.

(3) المرجع نفسه ص88.

(4) المرجع نفسه، ص نفسها.

بينما عرّف النموذج الإحصائي بأنه " تمثيل أو وصف بسيط لشيء أو نظام يخضع للدراسة"[1].

وعلم الإحصاء قديم في الحياة البشرية، مرتبط بالحاجات اليومية للإنسان. ونلمح آثار ذلك في الحضارات القديمة. وكان للحضارة العربية الإسلامية نصيب من ذلك نذكر منه كتاب الكندي (ت 260هـ) "رسالة في استخراج المعمّى الذي قام فيه بإحصاء تواتر الحروف في لغة ما، و ذلك بأخذ عينة كافية من الكلام المنثور. في تلك اللغة، منبها إلى أنّ النص المعمّى ينبغي أن يكون ذا طول كاف يسمح بانطباق القواعد الإحصائية عليه. وهي قاعدة هامة في مجال الإحصاء.

بينما عرفته أوروبا منذ العصور الوسطى، لكنه لم يأخذ الصيغة العلمية المتعارف عليها إلا في القرنين التاسع عشر(19) والعشرين (20)، حيث تأسّست الجمعية الملكية الإحصائية عام 1834م، وأوّل قسم للإحصاء في جامعة يونيفرسيتي كوليدج في لندن عام م1911.

أمّا الصلة بين اللسانيات والرياضيات فلم تتوطد إلا في الثلث الأول من القرن العشرين، وخاصة في مجال الاحتمالات والإحصاء إذ نشأ " الطابع المنطقي الصارم للتحليل الرياضي من الرّغبة الملحّة، لدى الدارسين اللسانيين في أن يوفّروا لتعريفاتهم الدّقة والوضوح مع الإيجاز قدر المستطاع"[2].

---

(1) ديفيد جيه هاند: علم الإحصاء ، ص 93.

(2) ميلكا إفتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد ص397.

وكان النموذج الأول لذلك دراسة الرياضي الروسي أ.أ. ماركوف A.A.Markov مثالا للدرس الإحصائي لنص:إيفيجينا أونيجينا" لبوشكين. وبعد الحرب العالمية الثانية ، وبفعل تطوير" نظرية المعلومات" التي ارتبطت بتطور أجهزة الاتصال. فظهر مصطلح "اللسانيات الرياضية" الذي شاع استعماله في عدد من دول العالم كالولايات المتحدة وأوروبا واليابان ثمّ الصين؛ حيث يشير إلى " العمليات العلمية التي يتمّ إجراؤها باستخدام الطرق الرياضية في مجال المشكلات اللسانية"[1]. وقد أفاد هذا الربط بين الرياضيات واللسانيات كلا الحقلين. كما برزت أسماء ذاع صيتها في هذا التخصص، مثل يول Yule وروس Ross ومنديلبورت Mondelbort . ويعدّ جورج زيف George Zipf أشهر هؤلاء جميعا؛ إذ أولى اهتمامه للتكرار الذي يرد في الوحدات اللغوية[2].

وقد انتقل هذا الأثر إلى الأسلوبية باعتبارها منهجا لسانيا، يتغيا الوصول إلى معرفة الخصائص الأسلوبية للنص عن طريق الكم لا الحدس؛ إذ يجتهد الباحث في هذا المجال لتحقيق هذا الهدف بتعداد العناصر المعجمية في النص"[3]. ويعود الفضل في لفت النظر إلى أهمية استخدام الإحصاء أداة في البحث الأسلوبي إلى أستاذ الرياضيات بجامعة لندن أوغيستوس مورغان، الذي لمّح إلى أنّه قد يكون من الممكن أن نتبيّن هوية مؤلف كتاب أو قصيدة أو مسرحية من معدّل

---

(1) ميلكا إفتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد ص400.

(2) المرجع نفسه، ص 406.

(3) هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية، ص 58.

طول الكلم المستعمل في ذلك العمل"[1]، لكنّ التفاتته هذه لم تؤخذ بعين الاعتبار في وقتها، وإلى غاية مجيء طوماس مندنهال الذي قام باختبار هذا المقياس وتطبيقه على نصوص في اللغة الإنجليزية، وفي لغات أخرى بغية المقارنة، مع توسعه في دراسة العيّنات المختارة. غير أنّ جهودا مستقلة أخرى، كتلك التي قام بها زيف ويول أدّت إلى اعتماد هذا الإجراء الذي " استند إلى فرضية عمل أساسية، وهي استقلالية الأثر الأدبي وقيامه بذاته في الدلالة على أشياء متعددة كالخصوصية الأسلوبية وتطور الكفاءة اللغوية من الطفولة إلى الكهولة وعلاقة اللغة بالذهن"[2]. على الرغم من أنّ عمل اللاحقين لم يستفد من التجربة الأولى. وتجدر الإشارة إلى أنّ الذين "قاموا بالبحوث الجديدة إحصائيون بالاختصاص يتميزون بالحذر الشديد، لغويون أسلوبيون بالهواية يشتغلون في محيط تدعّمت فيه الدراسات اللغوية ذات المنحى الصريح"[3].

لهذا جاءت تجربتهم أقوى. لتبرز بعدها جهود بيار غيرو ومولر وهردن. وخاصة في العالم الأنجلوساكسوني، حيث تزايد عدد الأطروحات الجامعية التي تبنت هذا

---

(1) المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ،دون ذكر رقم الطبعة ، 2006، ص 162.

(2) المرجع نفسه، ص168.

(3) المرجع نفسه، ص171.

الإجراء، بعد التطور الذي عرفه من خلال الربط بين الأسلوب والإحصاء والحاسوب، إذ اعتمدت الأسلوبية الحاسوبية منذ أواخر الستينيات، كما تمّ تطوير " منهجيات إحصائية وتحاليل بمساعدة الحاسوب في الدراسة التجريبية لمختلف مشاكل الأسلوب، وهي تخصص فرعي من للسانيات الحاسوبية"[1] التي تعرّف بأنها " تطبيق النظريات اللسانية والتقنيات الحاسوبية في معالجة مشاكل اللغة الطبيعية "[2]، لذلك فهي حقل متعدّد الاختصاصات المعرفية يشمل تخصصات الحاسوب والعلم والمنطق[3].

وقد انتقل تأثير الإحصاء الأسلوبي في الدراسات الغربية إلى الدراسات العربية التي اعتمدت الأدوات الإحصائية في البحوث الجامعية، ونذكر من ذلك "خصائص الأسلوب في الشوقيات" لمحمد الهادي الطرابلسي، و" الإيقاع في الشعر العربي: محاولة تحليل وتحديد" لمحمود المسعدي * إذ تعدّان من الدراسات التأسيسة في النقد العربي. وفي هذا المقام يذكر محمد الهادي الطرابلسي في مقدمة كتابه آنف الذكر أنه يرمي من خلال هذه الدراسة إلى ثلاثة أهداف:

---

(1) كاتي وايلز : معجم الأسلوبيات، ص 146.

(2) Frank Richter: Introduction to computational linguistics; Seminar Fur sprachwissenschaft.Eberhards-karls-Universitat Tubingen; Germany.

(3) Anna Espuniya i Prat:Computational linguistics: a brief introduction; 10 Links& Letters1, 1994.

1/ وصف نظام اللغة العربية بالاعتماد على كلام عربي يمثلها ، في طور من أطوارها، لنتبيّن مدى الثبوت في قواعدها واستعمالاتها ومدى التحول، فندرك خصائصها المميزة وإمكانيات التطور فيها.

2/ وصف حياة العربية في النصوص الشعرية خاصة، لنقدّر مدى مساهمتها في خلق الجو الشعري علّنا نوفّق إلى حدود المستويات المختلفة في الكلام ونهتدي إلى وظائف اللغة المختلفة في بلورة هذه المستويات.

3/ وصف حياة العربية في شعر شاعر معيّن هو أحمد شوقي، لنتبيّن الحظ الذي يكون للفرد في إجراء مظاهرها والأثر الذي يتركه الشاعر فيها والطابع الذي تتّسم به هي في شعره، فندرك السبيل إلى إثراء رصيدها العام من ناحية وإلى بناء الأساليب الخاصة المميزة انطلاقا من إمكانيات اللغة المشتركة من ناحية أخرى[1]. وهنا نلاحظ أن هذه الأهداف تسعى إلى محاولة ضبط منهجية الدراسة العلمية للأسلوب مع استقراء دلالات الإحصاء، وانعكاساتها على تاريخ اللغة العربية في طور محدّد ولدى شاعر معيّن، مع الوقوف عند قيم الثبات والتغيّر. ونشير هنا إلى أنّ هذه الدراسة، حاولت تطويع منهج مستحدث لم يعرفه النقد العربي من قبل. وعلى هذا الأساس صرّح الباحث أنه لم يجد " في الدراسات العربية من الأعمال اللغوية

---

(1) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1981 دون ذكر رقم الطبعة، ص 9.

* أنجز المسعدي أطروحته باللغة الفرنسية لنيل شهادة جامعية بباريس سنة 1957 ونشرت سنة 1981، ثم ترجمت إلى العربية ونشرت سنة1996 .

أو النقدية الشاملة أو الجزئية ما يرمي إلى الأهداف التي إليها نرمي ويتوخى الموضوعية التي على أنفسنا نشترط، ولا وجدنا في العلوم الإنسانية علما مستحكم الأصول متبلور الوجه يؤمّن لنا سلامة المنطلق، ولا منهجا يضمن لنا الوصول إلى نتيجة بناءة"[1]. وهذا ما يسم عمله بالريادة منهجيا وعلميا ومصطلحيا.

بالإضافة إلى الأعمال الرائدة لسعد مصلوح في كتابيه " في الأسلوب دراسة إحصائية لغوية" و" في النص الأدبي: دراسات إحصائية أسلوبية " حيث انطلق من قاعدة أساسية تشكل المنطلقات البحثية لديه وهي النقد اللساني _ كما مرّ معنا _ بصرامته المنهجية وقواعده المضبوطة دون الحياد عنها، ذلك لأنه لا يتصور أي إمكانية لفحص النصوص الأدبية، على غير الأساس اللساني الذي استحال عنده عقيدة علمية راسخة. الأمر الذي لم تتوفر عليه اللسانيات العربية؛ حيث أنتجت ظروف التلقي عددا من مظاهر الخلل في التأليف اللساني يذكر منها تشابه المقدّمات والمداخل إلى اللسانيات وعجزها ، خاصة في المرحلة الأولى، عن عكس خريطة شاملة للمدارس والاتجاهات اللسانية الحديثة في أوروبا . إضافة إلى عدم قدرتها على التصدّي للمشروعات القومية الكبرى وعدم انتظام الترجمة كمشروع، إذ عادة ما كانت تخضع للصدفة والاصطفاء وعدم التمكن من الفكرة في أصولها، فكانت النتيجة وجود ترجمات أشبه بتأليف أو تأليف أشبه بترجمة [2].

---

(1) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 9.

(2) سعد مصلوح: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية ص16.

هذه المشكلات هي التي دفعت الباحث لبسط مكامن الخلل على كافة المستويات المصطلحية والمنهجية والمعرفية برفض المناهج السياقية ، كما يرفض أن تتحول العملية النقدية إلى عملية إبداعية موازية للنص الأدبي، تتوسل لغة مجازية كثيفة مستوحاة من ذوق فردي[1] إذ من المحالات المعرفية أن يدرس فن بفن "[2] .

وعلى العموم فهذا الخلل لا يظهر على مستوى تلقي اللسانيات والمشتغلين بها أو على مستوى النقد والنقاد فقط ، وهو ما تناولناه في الفصل الأول تحت مسمى " نقد الذات" و "مكاشفة الآخر" كما عرّفها الباحث، بل هو سمة تسم الثقافة العربية الحديثة في كثير من الميادين تعكس العجز عن التعاطي المعرفي مع العصر.

أما الغاية من هذه الجهود المضنية فهي حمل النقد العربي على" ارتياد آفاق علمية رصينة تكفل للمشتغلين بالنص القدرة على تشخيص النصوص بمنظومة من الإجراءات الموضوعية والوسائل المنهجية التي تحقق (...) علمية النقد[1]. ويشهد عدد من الدارسين على أن أبحاثه المتنوعة ساهمت في التمهيد لحل كثير من الإشكالات التي تعترض النقد العربي، نظرا لما اتسمت به رؤيته من عمق ووضوح وموضوعية، بدءا بالإشكالية الاصطلاحية؛ حيث وظف جهازا اصطلاحيا ذا صلة وثيقة بالمنهج أو الإجراء الذي عالجه، لذلك فقد استعمل مصطلح "الأسلوبيات"

---

(1) يوسف وغليسي : العلاّمة سعد مصلوح ناقدا لسانيا، الكتاب الجماعي: الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح سيرة ومسيرة ، عالم الكتب القاهرة، ط1 2016 ص416.

(2) سعد مصلوح : في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة ط4، 2010، ص7.

(3) سعيد أكنبي : سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية : قراءة في مشروعه لتوطين العلم، الكتاب الجماعي سيرة ومسيرة ص202.

"stylistics" بدلا من المصطلح المتداول في الدراسات النقدية العربية" الأسلوبية". و" الأسلوبيات الإحصائية" " stylostatistics " و"تشكيل أسلوبي" "stylization" و" تشخيص أسلوبي " "stylistic diagnosis" و" متغير أسلوبي" stylistic variable" و " طراز إحصائي" " model statistic" و"خاصية يول" Yule's characteristic" و" معادلة بويزمان" " Busman's formula" و" عيّنة " أو " نموذج " "sample" و" سمة مائزة " "discriminator " و "مفارقة" departure"[1].

وقد انتظمت أعماله النقدية في سلسلة من البحوث والمقالات، التي تفرقت في أزمنة مختلفة على مجلات ودوريات علمية، ثم تآلفت

ضمن كتب ستة هي:

1 _ الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية.

2_ في النص الأدبي : دراسات إحصائية أسلوبية، _ وهما من بواكيره _ ويكاد الكتابان يشكلان وحدة متكاملة بحكم طبيعة المعالجة الإحصائية للأسلوب التي انتظماها .

3 – في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية المعاصرة.

4 – في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف .

---

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي، ص من 230 إلى 235.

5 – في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومثاقفات.

6– في اللسانيات والنقد: أوراق بينية".

كما صُدّرت هذه الكتب بمداخل نظرية، حيث اختص كتابا: "الأسلوب" و"النص الأدبي" بميدان الأسلوبية الإحصائية ، وآليات اشتغالها أثناء تطبيقها على النصوص الأدبية. هذه النظرية التي لا يمكن الحديث عنها _ في البحث العربي المعاصر _دون الاعتراف بريادة الدكتور سعد مصلوح لها _ فهو يكاد يكون الوحيد المتبنّي لها المتحمس للدفاع عنها، وهو المتمكن من شروطها المطبق لمنهجها متجاوزا المقولات التي حكمت بموتها، متّفقا مع ما ذهب إليه أولمان في كون الأسلوبية " هي أكثر أفنان الألسنية صرامة، على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه و مصطلحاته من تردّد ، ولنا أن نتنبّأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي

والألسنية معا"[1]، لأنّها تتكئ على دراسة ثابت من ثوابت النص الأدبي وهو الأسلوب.

ويعزو المختار كريّم سرّ هذا الاهتمام إلى طبيعة التكوين العلمي للدكتور مصلوح ، سواء في دار العلوم، التي اشتهرت بالجدية والرصانة أو في روسيا حيث دأب على مطالعة المجلات التي تعنى بالجانب اللغوي .

---

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1994، ص177، نقلا عن عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب ، ص 30.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يعود السبب إلى واقع الخطاب النقدي العربي والدرس الأسلوبي منه على وجه الخصوص بما اعتراه من فوضى في التناول والمعالجة، ناهيك عن إغراقه إلى غاية الثمانينيات من القرن العشرين في تبني المناهج السياقية مع هيمنة التفسير الإيديولوجي بمصطلحاته ومناهجه ، التي أهدرت كينونة النص الأدبي ، إيمانا منه أن " الأدب فنّ ولكن دراسة الأدب ينبغي أن تكون علما منضبطا "[1] .

هذا العلم المنضبط يحتاج " إلى أن تكون له فلسفة وموضوع ومنهج يشتمل على معايير موضوعية للقياس والوصف والاستنباط . ومن ثم لابدّ لدراسة الأدب من استيفاء هذه الشروط العلمية، لكي تكون جديرة بأن تحتّل مكانها بين العلوم الموضوعية التي تحظى بالاحترام.

وبهذه الرؤية العلمية أراد الدّكتور مصلوح إحداث خلخلة في حقل دراسة الأدب العربي من خلال إعادة النظر في منهجيته ؛ بتقديم خطاب أراد به إحداث ما سمّاه بالصدمة المنهجية للنقاد التقليديين (من النقاد السياقيين، و النقّاد غير المتمكنين من النقد الجديد) وللسانيين الذين لم يموضعوا المعالجة العلمية للنقد موضعها. وبسبب أخذ بعضهم بالمظاهر والعناوين البراقة ورغبتهم في الشهرة السريعة. وبالتالي إهمال جوهر النص الأدبي، حيث " تحتشد في كتاباتهم أسماء أعلام الفرنجة ومذاهبهم (...) أمّا النص العربي فيتوارى عنده بالحجاب [1].

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية ص26 .

(2) المصدر نفسه، ص 10.

أمر آخر شغل الدّكتور مصلوح، لأنّه خلق فوضى كبيرة في الدرس النقدي العربي، تمثل في الإشكالية المصطلحية وما يعتري لغة الخطاب النقدي من غموض، تعددت أسبابه منها، عدم اطلاع النقاد على مادة العلوم اللسانية في مظانها الأصلية، "بالنظر إلى ارتباط الخطاب النقدي الجديد بالقاموس الألسني"[2] وما واجهه من كثافة المصطلحات وجدّتها وتعقيدها. يضاف إلى كل ما سبق ظروف تلقي اللسانيات ذاتها، وما واجهته من عوائق، لكي تستوطن تربة الثقافة العربية، فضلا عن قضية النزاهة العلمية وأمور أخرى تتعلق بالترجمة "وما تشكله المسلمات الكابحة للعقل الناقد بصفة عامة، وما يتصل بعمل هذا العقل في المجال اللغوي بصفة خاصة" [2].

كل هذه المعوقات حالت دون تحقيق الغاية المرجوة من النقد. لذلك فإن الهدف من دراسات الدّكتور مصلوح النظرية منها والتطبيقية على السواء، هي المساهمة في تمهيد السبيل للخروج بدراسة النص الأدبي "من النفق المظلم، إلى صياغة عربية القسمات لملامح الحداثة الراشدة، التي تتغيا بها ترسيخ المعالجة العلمية المنضبطة[3].

---

(1) يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ص11.
(2) سعد مصلوح: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، 13 .
(3) سعد مصلوح: في النص الأدبي : دراسات أسلوبية إحصائية ص 11.

وهو إذ أسّس لاختيار المنهج الإحصائي الأسلوبي في ممارسته النقدية، فلإيمانه بجدواه وعظيم أهميته في حلّ كثير من عقد القضايا النقدية العالقة على مستوى النقد العربي، ولعدم القدرة على تطبيق هذا المنهج من لدن النقاد وما لحقه من قصور، جعل كثيرا منهم يخفق في تحقيق مسعاه ذلك أن المشكلة لا تقتصر على الأداة الإحصائية وحدها ولكنها تمسّ ثلاث ركائز من البحث هي: لغة البحث ومنهجه وأدواته. وهي عناصر متداخلة في أكثر من موضع مثلت خلاف سعد مصلوح مع غيره . ومن أهم مظاهر هذا القصور توجه عناية الباحثين نحو الإحصاء دون استقراء دلالته بتقديم "عشرات الجداول الإحصائية يضمنونها نتائج بحوثهم، ومع ذلك تأتي عديمة الجدوى خالية من كل تحليل ذي قيمة للبيانات" [1] . وهو ما يفضي – عادة – إلى إبراز الجانب الكمّي دون أن يؤدي إلى دلالة معينة على مستوى النتائج والوظيفة ؛ إذ أن أهمية هذا الإجراء تظهر " إن هو اعتمد رؤية منهجية علمية دقيقة تتجاوز العدّ المجرد، إلى التعامل مع الإحصاء بوصفه أداة فعاّلة لإدراك كنه الوقائع الأسلوبية واستخلاص قوانينها" [2] ، لأنّ علم الإحصاء الحديث " لا يدور حول الحساب، وإنما يدور حول الاستقصاء" [3].

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية 21.

(2) أحمد يوسف: القراءة النسقية:سلطة البنية ووهم المحايثة ص286.

(3) ديفيد جيه هاند: علم الإحصاء، ص 18.

وقد اختلف الباحثون حول مدى كفاءة الإحصاء لمعالجة النصوص الأدبية باعتبارها ظاهرة معقدة ؛ إذ يذهب بيار غيرو إلى أن وجه الاعتراض غالبا هو أنّ " الأسلوب واقعة فردية نوعية، ولتعقيدها من جهة أخرى، لا يمكن تصنيفها في أية فئة مجردة وكمّية للتحليل الإحصائي" [1]. على عكس المؤيدين للإحصاء الأسلوبي الذين يرون فيه " الأداة لكل العلوم الإنسانية، التي اتخذت من دراسة الظواهر النفسية والنوعية ذات الأصل الفردي موضوعا لها، حيث أكدوا أن هذه العلوم تسمح تحديدا برصد الفرد ضمن الكتلة، التي تسمح بقياس فرادته، وهذا صحيح في التعميمات والتجريدات" [2] متكئين على منجزات اللسانيين ، الذين التفتوا إلى كفاءة الإحصاء ، ومدى أهميته لمعالجة الظواهر اللسانية ورأوا أنّ " العلاقات المتبادلة بين الوحدات اللغوية في منظومة الكلام هي علاقة قابلة للقياس"[3]، ويعود الفضل في ذلك إلى علماء الرياضيات، حيث كان " استعمال المنهج الإحصائي وحده هو الذي أضفى على رصد الظواهر الأسلوبية صفة الموضوعية والانضباط في أتمّ صورها" [4] . بالإضافة إلى ترسيخ بعض المبادئ الأخرى، على غرار المبدأ الذي يحكم توزيع الكلمات، كما أتاح ذلك الفرصة لجلاء الغموض في عدد من المشكلات، من بينها تعيين مؤلف النص وتحديد التاريخ الزماني لنص من

---

(1) بيار غيرو : الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2 ، 1994 ص133.
(2) المرجع نفسه ص 133.
(3) ميلكا إفتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل ص405.
(4) المرجع نفسه ص 410.

النصوص . وهذا الجانب له أهميته بالنسبة للسانيين والأسلوبيين و المؤرخين والمختصين في تاريخ الأدب[1]. وقياسا على ذلك انخرطت الأسلوبية في اعتماد هذا الإجراء، فسميت الأسلوبية الإحصائية وهي التي " تنطلق من فرضية إمكان الوصول إلى الملامح الأسلوبية للنص عن طريق الكمّ"[2].

وقد حقّق هذا النوع من الدراسات، نتائج على درجة كبيرة من الأهمية لأنها قائمة على أساس كمي عددي قابل للمراجعة والبرهان عليها . ومن بين المستويات اللغوية التي حظيت بقدر من الدراسة طول الكلمات والجمل وتوزّع الكلمات المتكررة وتكرر أنواع محددة من الألفاظ وتوزّعها وتكرار الصيغ النحوية والبنى النحوية[3] حيث ظهرت هذه الخصائص على المستوى التطبيقي في دراسات فوكس (fuks) وميل (Miles) ودولوجيل (Dolezel) وانكيفيست (Enkivist) الذين عنوا بدراسة العناصر السابقة ثم مقارنة هذه العلاقات الكمية مع مثيلاتها في نصوص أخرى.

ويتفق الدّكتور مصلوح مع بيار غيرو، في كون الإحصاء الأسلوبي حقلا مناسبا، لقياس الظواهر الأسلوبية التي " تبدو في الواقع ميدانا انتقائيا للتحليل

---

(1) ميلكا إفتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل ص410.

(2) هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية ، ص 58.

(3) فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة: خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص 39.

الأسلوبي، وليس فقط لأن الوقائع فيها تلاحظ موضوعيا، وتخضع للحساب، ولكن لأن اللغة هوية إحصائية و"مجموعة من البصمات"، والاستعمال المعمم تقريبا لهذه اللغة أو تلك هو الذي يخلق قيمته الأسلوبية" [1] . وهو المذهب نفسه الذي يعتنقه العلامة على الرغم من أنه تأثر بأسلوبيات ريفاتير REFFATAIRE وانكيفست (Enkivist)، كما يذهب إلى ذلك المختار كريّم. وهذا الرأي يحتاج إلى تمحيص وإلى دراسة مستقلة ليس هذا مجالها.

وعلى الرغم من أهمية الإحصاء الأسلوبي ومزاياه، في معالجة كثير من القضايا المرتبطة بالظواهر الأسلوبية ، وفي تحقيق الموضوعية والعلمية للدراسة الأسلوبية فهي " لا تساهم في تحديد القرابة الأدبية وحسب، بل تعمل على تخليص ظاهرة الأسلوب من الحدس الخالص لتوكل أمرها إلى حدس منهجي موجّه" [2] فإنها لقيت قدرا من النقد من قبل معارضيها استنادا إلى أدلة وثيقة الصلة بظاهرة الأسلوب في حد ذاتها، وبالظاهرة الأدبية التي تتسم بالفرادة والتنوع في الوقت نفسه، لذلك " أخذ على المفهوم الرياضي للأسلوب ضيقه الناتج عن اتجاهه الوضعي، كما أخذ على مثل هذه المناهج عجزها عن وصف الطابع المنفرد والخاص للأعمال الأدبية بشكل دقيق"[3]. لذلك يؤكد غيرو على كون النصوص الأدبية واقعة "ضحية لاتجاهين" فمن جهة أولى يخلط الإحصائيون غالبا بين الكم

---

(1) بيار غيرو: الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي ص133.

(2) هنري بليث : البلاغة والأسلوبية ، ص 60.

(3) المرجع نفسه ، ص 59، 60.

والنوع (...) ولم ينجحوا (...) في تحديد العلاقة الوظيفية بين المستويين، ولهذا السبب شكلت تحليلاتهم جداول حزينة من العوامل والانزياحات العددية لا يظهر معناها، وإذا ظهر كان مفرطا وساذجا في نظر كل أولئك الذين يكرهوا أن يقنّنوا القيم الجمالية في مجرد علاقات كمية"[1]. ذلك أنّه لا يستطيع كشف الجمال الأسلوبي كما أوضح فيلي ساندريس على لسان بعض المنتقدين. أمّا هنريش بليث فيرى أنّه " يمكن للإحصاء أحيانا أن يكمل مناهج أسلوبية أخرى بشكل فعّال"[2]. مما يعني أنّ الإحصاء الأسلوبي وحده غير كاف . ولعلّ هذا الموقف هو الذي دفع صلاح فضل إلى الاعتراض على كتاب " الأسلوب" للدكتور مصلوح، متحفّظا على هذا الإجراء.

وقد ردّ عليه الدكتور سعد في مقاله: "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب: ردّ على صلاح فضل في كتابه " في النقد اللساني". متوقفا عند الاعتراضات الآتية:

1. المنهج الإحصائي أشد غلطة وبدائية.

2. قد تضفي الحسابات العددية نوعا من الدقة الزائفة على بيانات متشابكة أشد سيولة من أن تخضع لهذه المعالجة.

3.ومن نقط الضعف الخطيرة في الدراسة الإحصائية للأسلوب أنها لا تقيم حسابا لتأثير السياق، مع أننا نعرف من الدراسات التطبيقية أن السياق له دور

---

(1) بيار غيرو: الأسلوبية ، ص 134.

(2) هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية ، ص 60.

حاسم في التحليل الأسلوبي.

4.عدم قدرة الإحصاء على دل الباحثين على الخصائص الأسلوبية الجديرة بالقياس.

5. قد يكون تحديد جملة من الأرقام المتعيّنة مجرد ملاحظة عادية لا تحتاج إلى برهان.

6. عجز معظم الباحثين الأسلوبيين عن إجادة التكنيك الإحصائي.[1]

وقد خصّ كل اعتراض برد مؤسس وملاحظ موضوعية نورد منها المثال التالي المتعلق بالاعتراض الثالث الخاص باستبعاد السياق، حيث يقول الدّكتور مصلوح :" ولقد قام حساب معامل بويزمان الذي أقمت على أساسه كتابي " الأسلوب دراسة لغوية إحصائية" (...) على اعتبار الفروق بين الرسالة المنطوقة والمكتوبة وبين الفصحى واللهجة، وبين الذكورة والأنوثة، وبين صغر السن وتقدّمه، وكذلك على اعتبار الفروق من جهة الجنس الأدبي ونوع الخطاب وسمات الشخصية" [2]. وهو المذهب ذاته الذي ذهبه المختار كريّم، في تعليقه على كلام صلاح فضل، اخترنا منها الملاحظة القائلة بأنّ " هذه الإحصاءات لا تستطيع أن تدلّ الباحثين في الأسلوب على الخواص الأسلوبية التي تستحقّ الإحصاء لأهميته [3].

---

(1) صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، دار الشروق ، القاهرة، ط1، 1998. ص 228 ، 229.

(2) سعد مصلوح: في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف ص 172 _ 182.

(3) صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص197.

معتضدا إلى رأي الدّكتور مصلوح وبوصفه _ المختار كريّم _ أحد المتحمسين للإحصاء الأسلوبي؛ إذ يصف كلام صلاح فضل بأنه " كلام دائري (إذ الإحصاءات لا تستطيع أن تدل على ما يستحق الإحصاء) فيختلط الأمر لأن المستدل به يصير مستدلا عليه ، أو كأننا نقوم هكذا بعمليات إحصائية يفترض منها أن تدلنا رأسا عما ينبغي أن نقوم به من عمليات إحصائية" [1]. وهو هنا محق فيما ذهب إليه ؛ إذ أن مهمة الباحث تتلخص في البحث عن الخصائص الأسلوبية المائزة للقيام بعملية الإحصاء وتأويل دلالاته. وهناك مواضع كثيرة في كتاب "الأسلوب: مبادئه وإجراءاته" تعترض على رؤية الدكتور مصلوح وقد تم الرد عليها من قبله في المقال المشار إليه سابقا. كما تضمن كتاب المختار كريّم نتفا من تلك الرّدود في كتابه " الأسلوب والإحصاء" تدور كلها على الرد على صلاح فضل وتثمين الإجراء الإحصائي الأسلوبي.

وبغض النظر عن تأييدنا أو معارضتنا للإجراء الإحصائي الأسلوبي، فإنّ ذلك لا يعفينا من الاعتراف بما بذله الدّكتور مصلوح "في تلك المحاولة الشاقة العملاقة التي لا عهد للنقد العربي بها ، ومن الجناية على مثل هذا الجهد الجبار – في تقديرنا– أن يحكم عليه صلاح فضل بطابع المصادرة على المطلوب، إذ يقوض أساسه أصلا من باب قيامه _ في نظره _ على أساس مسبق من لغات أخرى أو عصور ما لا تنطبق على العربية في عصرنا" [2] .غير أنّ هذا المبرر مردود على صاحبه، لأنّ المسألة لا تتعلّق باللغة ، وإنّما بالقدرة على التحكم في المنهج والوعي بآلياته وإجراءاته، ثم إنّ العربية آنئذ، كانت بحاجة ماسة إلى منهج يتّسم

---

(1) المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء ص 191.

(2) يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ص 189.

بالصرامة والموضوعية لتحريرها من الحشو الذي لحقها تحت تأثير المناهج السائدة. أضف إلى ذلك أنّ المناهج الحديثة كلها مستنبتة في ثقافتنا، وكانت اللغة العربية هي وسيلة ذلك، فما معنى ألا يكون الإحصاء أحد هذه الإجراءات؟

ولهذا يؤكد الباحثون المؤيدون للإجراء الإحصائي الأسلوبي ،على أهمية ارتباط الدراسة الكمية بالجانب التأويلي، ذلك أن وظيفة الإحصاء قد "تجاوزت عملية الحصر والتعداد الإجمالي للمفردات وأقسام الكلام وأنواع الجمل، وغير ذلك لتعطي مزيدا من البيانات القابلة للتوظيف في مجال الكشف عن أدق خصائص النص على المستويات التحليلية المختلفة كافة" [1]. وهو ما نادى به بيار غيرو وسعد مصلوح لكون الإحصاء الأسلوبي يحمل دلالات ويسعى لتحقيق غايات.

ونلاحظ أن إيمان الدكتور مصلوح بالإحصاء الأسلوبي يسعى لتحقيق غايات بعيدة المدى يرتبط بعضها بالنقد العربي وواقعه وبعضها بأوضاع الثقافة العربية، وبعضها بمسار النقد العالمي من منطلق أن الأسلوب هو جوهر الأعمال الأدبية. وهو الخاصية الفارقة بين الخطاب الأدبي وغيره من أنواع الخطابات الأخرى. ومن هنا يظهر أن توجه العلاّمة سعد مصلوح "نحو الأسلوبيات الإحصائية – بما هي منهجية علمية قادرة بوسائلها الموضوعية وإجراءاتها المنضبطة، على تحقيق المرجو من عقلنة التذوق وعلمية النتائج – إنما هو استجابة لمطالب واقع

---

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية،ص46.

الثقافة النقدية العربية المغرقة في الذاتية"[1] ، دون تجاهل للجهود المضنية التي تستغرقها المعالجة الإحصائية للأسلوب "من تضحيات بالزمن والتحمل على ركوب المرتقى الصعب والتّجلد في مشقات الإجراءات الإحصائية والصبر على مؤونة التحليل والاستنباط"[2] . وقد ظهر هذا العنت لدى كثير من رواد الإحصاء الأسلوبي إلى إعلان ذلك كما هو الحال مع أوغستوس ذي مورجان AUGUSTUS DE MORGAN وولهالم فوكس WILHELM FUKS . و لعلّ هذا ما دفع المختار كريّم إلى القول بأن "الأعمال التطبيقية المعتمدة الإحصاء تقوم على ضرب من الغربلة الدقيقة التي تستخرج من الركام الهائل بعد تنظيمها وزبدتها، وتبقى في مكتب الباحث ملفات عظيمة لو بطبعها لشغلت أحيانا آلاف الصفحات، فعمل الإحصائي شبيه في هذا الصدد بعمل مصفي التّبر من الوحل ومن مختلف الفلزات الغريبة "[3]، إضافة إلى ذلك فإن الأمر في النقد العربي يزداد عسرا وتعقيدا " إذ تكون المسألة أشدّ مراسا وأصعب معالجة، إذا أضفنا إلى ما سبق مطالب أخرى، ينبغي على الوسيط المعرفي الذي ينتصب لاستزراع بذور هذا المنهج في ثقافة جديدة التوفر على استيفائها، وهذه المطالب في جوهرها الوعي المستوعب للتراث اللغوي في الثقافة المستفيدة واستيعاب شديد التحصيل والتفصيل لخصائص لغة العلم المكتسب واستكشاف الخواص الأسلوبية المستكنة وراء البنى الظاهرة في بنية اللغتين (...) ومن ثم تكييف البنية اللغوية في الثقافة المستوردة لمقتضيات المقاييس الأسلوبية المستهدفة بالفحص والتشخيص وتطويعها لإجراءاتها"[4].

---

(1) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية: قراءة في مشروعه لتوطين العلم، كتاب الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح سيرة ومسيرة ، ص 213.

(2) المرجع نفسه ص 216.

(3) المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء، ص 226.

(4) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية، ص217.

ناهيك عن عجز أو تراخي المؤسسات، عن تقديم الدّعم المطلوب لإنجاز مشاريع على قدر كبير من الأهمية. وقد كانت كل هذه المعطيات نصب عين الدكتور مصلوح، حيث جعل منها ورقة طريق تحدّد رؤاه المنهجية وغاياته وأدواته، وهو يشرع في مقارباته. غير أنّ المسألة المعقدة التي تواجه الباحث الإحصائي، تتمثل في مدى قدرته على تقديم بيانات دقيقة ، ومامدى صحة هذه البيانات التي تتأسس عليها التأويلات والدلالات التي تتبني عليها نتائج الدراسة ، ومن ثمة تأكيد أو نفي الفرضيات المقدّمة.

وعلى الرغم من ريادة الأستاذ مصلوح للإحصاء الأسلوبي في النقد العربي وإيمانه الراسخ بجدواه، واختياره له عن وعي وقصدية مؤسسة على رؤية منهجية واضحة، فإنه لا يدّعي أنه الاختيار الأوحد أو المنهج الكامل " ذلك أن المنظور الإحصائي في معالجة النص الأدبي لا يعدو حتى الآن، أن يكون أداة منهجية وليس منهجا، ولا يزال الطريق أمامه طويلا لكي يغدو نظرية من نظريات الدرس الأدبي"[1] . وهو المذهب الذي ذهبه الدكتور يوسف وغليسي في عدّ الإحصاء مجرد إجراء أو منهج مساعد، بل إن الأسلوبية ذاتها ليست منهجا قائما بذاته، مستوفيا لضوابطه المنهجية (...) كما أنها ليست علما مستقل الاختصاص" [2]. فضلا عن أنّ علم الإحصاء ذاته واسع وفي تطور مستمر وهو ليس " عبارة عن

---

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي، ص 12.

(2) يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 187.

حقيبة من الأدوات ويتمثّل دور الإحصائي أو مستخدم الإحصاء في اختيار أداة واحدة تتناسب مع مسألته ثمّ تطبيقها" [1]، مما يوحي بالانفصال بين الطرق الإحصائية لأنّها " تفشل في إيصال حقيقة أنّ الإحصاء كلّ متصل مبني على مبادئ فلسفية عميقة، بحيث تكون أدوات تحليل البيانات. مرتبطة ومتّصلة" [2]. ولعلّ هذا هو لبّ الإشكالية ، إذ عادة ما يعتمد الإحصاء الأسلوبي على عناصر منفصلة أو جزئية دون ربطها بالكيان النصي، ومن هنا تعجز عن تحقيق غاياتها ؛ ذلك أن الظاهرة اللغوية التي تستعمل كخاصية مائزة لها وظائفها داخل الكيان النصي.

ومثلما أشرنا في – السابق – فإن أبحاث الدّكتور مصلوح غالبا ما تصدّر بمداخل نظرية، يلقي من خلالها الضوء على الإجراء أو المنهج المراد دراسته في منابته الغربية، ثم يطعمها وفق رؤيته الخاصة بما يمكن أن يستثمر في التراث، فيحدث بذلك نوع من التلاقح بين الثقافتين، أو بالأحرى بإضفاء نوع من الأصالة على الثقافة المستقبلة، وتحريرها نسبيا من التبعية المطلقة للثقافة المنتجة.

وهذا ما نجده في كتابي "الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية " و"في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية" إذ يقول في شأنهما: "ونحسب أننا تجاوزنا بكتابنا

---

(1) ديفيد جيه هاند: علم الإحصاء، ص 27.

(2) المرجع نفسه، ص نفسها.

السابق (الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية) طور الاستدلال بجدوى الاتجاه الأسلوبي الإحصائي لنحاول بهذا الكتاب، أن ننتقل من طور الاستدلال له إلى طور الاستدلال به واستعانته في حل مشكلات نقدية مهمة بوسائل أسلوبية لسانية منضبطة" [1]. و قد تجاوز النقد العربي هذه المرحلة الآن، وصار من نافلة القول الدعوة إلى الارتكاز على النقد اللساني، ولكنّ ذلك لا يعفيه من كثير من الهنات التي تتطلب الضبط والمراجعة والنقد وذلك بتفعيل آلية نقد النقد، التي التزمها الدكتور مصلوح في بعض مؤلفاته النقدية منها " في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف"، شملت مسائل في النقد اللغوي وعلم العروض والاختلاف الحضاري والتنوع الثقافي، وكلها قراءات لمنجزات غيره من النقاد كمسألة البديل العروضي التي طرحها كمال أبو ديب، والرد على صلاح فضل في شأن كفاءة الإجراء الإحصائي الأسلوبي، ولا شك أنّ نقد النقد بات قضية أساسية لمساءلة النظريات الوافدة وأسلوب تلقيها والمطبّات التي وقعت أثناء عملية التلقي. فضلا عن الأدوات الإجرائية المعتمدة عند التطبيق ومدى وفائها للمنهج .

وقد حدّد في كتابه "الأسلوب" الآليات التي يمكن الاشتغال من خلالها على موضوعة الأسلوب بمحاولة الإجابة عن الأسئلة التالية: ماذا نحصي؟ وكيف نحصي؟ ولم نحصي؟ وكانت هذه الأسئلة بمثابة خارطة الطريق التي سار عليها في بحثه.

ومن أهم القضايا التي عرض لها في الكتابين قضية الأسلوب واختلاف مفاهيمه، وهي مسألة طرحت قبل شارل بالي مؤسس الأسلوبيات التعبيرية التي

---

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي:دراسات أسلوبية إحصائية ص 11.

أشعّ بها على الكون فأثّر في التفكير النقدي الذي كان سائدا آنذاك، وتحول الاهتمام من اللغة إلى الأسلوب"[1]. وبذلك انشغلت الدراسات النقدية بمسألة الأسلوب الذي يمثل جانب الكلام، وإن كانت مسألة غير متفق عليها، إذ أنّ الشكلانيين والأسلوبيين" استدلوا على أنّ الأعمال الأدبية لا تحتاج بالضرورة إلى أن يتم اعتبارها ككلام لكن كنوع لنظام اللغة، لسان قائم بذاته"[2] فأجريت عليه "دراسات وصفية، وتشريحات معمقة اصطدمت بتحديات الأسلوب وعناده، إذ بدا لهم أنه جسم غريب ذو مزاج خاص خارج عن التجريد والضبط، لأنه يولد خارج النظام"[3].

ويعزو سعد مصلوح هذا الاختلاف إلى تباين زوايا النظر، بين الاتجاهات النقدية في نظرتها إلى الأسلوب، تارة بالنظر إلى المنشئ بوصفه اختيارا وتارة إلى الرسالة بما هي شفرة لغوية أو إلى المتلقي من حيث هو طائفة من المثيرات والمنبهات[4].

وقد عدّد فيلي ساندريس ما يقارب الثلاثين تعريفا وردت في النقد الغربي في كتابه:" نحو نظرية أسلوبية لسانية" منطلقا من التعريف العام الذي أجمعت عليه معظم التيارات والذي يرتكز على خلفية لسانية بكونه"اختيارا بين إمكانات لغوية يقدمها النظام اللغوي للكاتب"[5].

وفي سياق هذا الاختلاف عرّفه جورج موليني بأنه " طريقة متميزة وفريدة وخاصة بكاتب معين"[6] " أمّا بيار غيرو فيرى بأنه: "وجه للملفوظ ينتج عن

(1) رابح بوحوش: المناهج النقدية، ص 77، 78.

(2) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ص 408.

(3) رابح بوحوش: المناهج النقدية، ص78.

(4) سعد مصلوح: في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية ص 16.

(5) فيلي ساندريس : نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 41.

(6) جورج موليني: الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط1، 1999، ص66.

اختيارات التعبير وتحدده طبيعة المتكلم أو الكاتب ومقاصده"[1] دون أن ينكر أن هذا المفهوم فضفاض، لأنه يتضمن مقياسين هما التعبير ومنحاه، والمتكلم وطبيعة مقاصده. لذلك يضيف تعريفا آخر بقوله أنّه "طريقة في الكتابة ، وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية، من أجل غايات أدبية، ويتميز في النتيجة من القواعد التي تحدّد معنى الأشكال وصوابها[2]. وهو بتعبير آخر: "يهتم باللغة الأدبية وحدها وبعطائها التعبيري" [3] إذ نلاحظ أن التعريف ينصب حول عمل المنشيء ودوره في الصياغة الأدبية، على اعتبار أن الظاهرة اللغوية ظاهرة شائكة ومعقدة سواء داخل اللغة الواحدة، أو ضمن مجموعة من اللغات، وهو الأمر الذي ركز عليه جاكبسون في حديثه عن أدبية الأدب مركزا على أهمية الرسالة ووظائفها، وهو جوهر موضوع الشعريات ؛ حيث عني ريفاتير" بتطوير الجهاز الذي يدمج العامل الأهم في التواصل اللساني أي المتلقي، ولم يكن لدى جاكبسون من مسألة سوى تشفير الرسالة والرسائل"[4] .

بالمقابل جاءت نظرية القراءة لتعنى بالقارئ ودوره في تأويل النص، إذ تتفاعل من خلال هذه القراءة وتتداخل ثلاثة حقول هي:

---

(1) بيار غيرو: الأسلوبية ص 139.

(2) المرجع نفسه، ص 17.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

(4) Stéphane Sarkany: Pierre Guiraud et Pierre kuentz ,la stylistique, clncsiect,Paris, 1970, collection: Initiation a la linguistique,Serie A. Avril 1973, p 128.

1. النص نفسه باعتباره مجموعة من الدوال القابلة للتأويل.

2. نص القارئ أو القارئ باعتباره نصا.

3. لقاء النص وقارئه، أي عمل الدلالة [1].

ومن نافلة القول إنّ من أول الشروط لتحقيق التفاهم أن يكون المرسل والمستقبل كلاهما على علم بالشفرة اللغوية . وينبه الدكتور مصلوح إلى أن الخلاف لا يكمن ضمن المفهوم العام وحده . بقدر ما يكمن في مسألة التنوع الذي يتصف به السلوك والشفرة اللغويين، حيث تنازعتهما: "عوامل جغرافية محلية، وانتماءات اجتماعية موحدة Group Affiliations وانتماءات اجتماعية متقاطعة Cross Affiliations في خطوط ودوائر متداخلة ومتخالفة حتى يبلغ التنوع مداه مشكّلا ما يسمى بلهجة الفرد Idiolect ، وهي مجموعة السمات المميزة للسلوك اللغوي عند فرد بعينه[2] . وقد حاولت النظرية اللسانية الحديثة أن تفسّر ذلك، عن طريق جملة من الثنائيات المعروفة مثل اللغة والكلام عند دوسوسير والأداء والكفاءة لدى تشومسكي، غير أنّ كاتي وايلز تذهب مذهبا مخالفا؛ إذ ترى أنّه " من السهل تحديد أصل "نظام" اللغة وكيف، ولا من اليسير دائما تمييزها من كلام (parole)، يبدو أننا جميعا نلج لسان (langue)، لكن من المحتمل أنّه مكتسب أوّلا من اتصالنا بالاستعمال الفعلي

---

(1) م. أوتن: سيميولوجيا القراءة، ترجمة الطاهر روابنية، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها جامعة وهران، ع 4، 1994، ص288.

(2) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص19.

(كلام parole) في توافق مع قدرتنا للغة (langage)التي تكون في طور البناء"[1]، كما أنّ لغويين مرموقين من أمثال جاكبسون وباختين" لا يفضلون تعارض(كذا) أو ثنائية هنا ، لكن علاقة جدلية"[2] . مع العلم أن النظرية اللسانية اعتنت باللغة المثالية. دون الانتباه إلى خطر هذه المقولة " كأن يكون لها (اللغة المثالية) شكل "خالص" (لسان langue) الذي يتعكر " يلوث" عندما يتحول إلى كلام parole"[3]. و لأنها لم تضع في اعتبارها مجمل الفروقات، التي تحمل دلالات هامة على المستوى الأسلوبي، وافترضت الوحدة والتجانس، فقد وجّهت اهتمامها إلى دراسة العام والمشترك، تحت ما يسمى باللسانيات التقريرية . وبالمقابل شغلت التنوعات والفروق اهتمام اللسانيات الاحتمالية، وهي التي تنتمي إليها الأسلوبيات اللسانية. والتي يميزها اتجاهان، هما مدرسة الأسلوبيات التقليدية (شارل بالي) والمدرسة الجديدة (جاكبسون) التي اشتقت من الاتجاه البنيوي[4]. ويرى الباحث أن المدرستين تشتركان في تعريف الأسلوب بأنه "الصيغة المميزة للنص"[5] . بيد أن وجهة نظريهما مختلفة، بحيث "تبحث الأولى عن مصدر تعريفاتها من دراسة الخواص الأسلوبية للنظام أو الشفرة Code ، على حين تلتمسه الطائفة الثانية في وصف البنى الداخلية للرسالة Message " [6]. ولعل هذا التعقيد

---

(1) كاتي وايلز : معجم الأسلوبيات، ص 207، 208.

(2) المرجع نفسه، ص 408.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

(4) سعد مصلوح: في النص الأدبي، دراسات أسلوبية إحصائية، ص 20.

(5) المصدر نفسه،ص نفسها.

(6) المصدر نفسه، ص نفسها.

ناشئ عن نقاط تقاطع بين عدة حقول معرفية كالاتجاهات اللسانية منها التقريرية والاجتماعية والنفسانية مع النقد الأدبي بمدارسه المختلفة.

وهنا يركّز الناقد مصلوح على أهمية المعالجة الإحصائية للأسلوب، التي تنوعت طرقها ومسائلها. وهو – برأي الباحث– الحل العلمي والمنهجي لمعالجة ظاهرة التنوع اللغوي معالجة منضبطة، بل إن الإحصاء أشد حاجة بالنسبة للأسلوبيات اللسانية لأنها "تقارب السلوك اللغوي، بما هو ظاهرة متنوعة فحسب. بل تقاربه أيضا بما هو استعمال لغوي متميز بالقياس إلى غيره" [1].

لذلك وبناءً على ما سبق، فقد تخيّر الدكتور مصلوح مفهوما للأسلوب يتناسب والمنظور الإحصائي، بحيث يشترك فيه علماء اللسان والنقاد، إذ أنه "واحد من تجليات التنوع في السلوك القولي. إلا أن ما صدقات هذا التنوع عند اللساني أوسع منها عند الناقد" [2]. بالنظر إلى الغاية التي يصبو كل فريق لتحقيقها، فغاية اللساني هي الكشف عن أسرار الظاهرة اللسانية، وما سوى ذلك تال وتبع بينما يمثل النص الأدبي برمته المادة التي يشتغل عليها الناقد[3] . لهذا يمكن القول بأن التقاطع بينهما يكمن في مجالي الوصف والتشخيص. وهكذا فقد انتهى الباحث إلى تقديم مفهومين للأسلوب يتواءمان وطبيعة المعالجة الأسلوبية الإحصائية هما:

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي، ص23.

(2) المصدر نفسه ص24.

(3) المصدر نفسه.

1. الأسلوب مفارقة Departure أو انحراف Deviation عن أنموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه معيار أو نمط Norm.

2.الأسلوب اختيار Choice أو انتقاء Selection بسمات لغوية من بين قائمة من الاحتمالات قائمة في اللغة [1].

لكن الإشكال المطروح في المفهوم الأول ، يتعلق بماهية النمط أو النظام الأصلي الذي ينحرف عنه الأسلوب، وما هي محدداته؟

أمّا بتعبير المختار كريّم فالأسلوب في ماهيته إنما "يتشكل باستعمال اللغة استعمالا يجعل الإحصاء أداة فاعلة في تبيين خصائصه"[2] . بيد أنّ هذا التعريف يتماشى مع المنظور الإحصائي، وهو لا يخدم مناهج المقاربات الأخرى.

والملاحظ أنّ الباحث سعد مصلوح يرجح المفهوم الثاني لاعتبارات عدة أهمها؛ أن الاختيار يفتح المجال لتجميع مفردات الظاهرة الأسلوبية وضم شتاتها في منظومة بحثية، كما أنّ هذا الاختيار بدوره يتأرجح بين نوعين هما الاختيار النحوي* والاختيار المقامي الذي يرتبط بالسياق.

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص 24، 25.

(2) المختار كريّم : الإحصاء والأسلوب ص 195.

* ويقصد بالنحو هنا "قواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية والصرفية والدلالية ونظم الجملة.

من جهة أخرى فإن الاختيار هو " إحدى وجهات النظر الخاصة بالأسلوب (style) هي النظر إليه على أنه يشمل اختيارا، ينظر للمؤلف الأدبي على أنه يختار سمات انطلاقا، من المصادر الكاملة للغة التي تكون تحت تصرفه"[1]، ولا يتوقف عمل الاختيار عند هذا الحد بل يتحكم فيه " جزئيا وبشكل محتمل من قبل حاجات النوع (genre) والصورة (form) والفكرة أو المحور (theme)[2].

لذلك يذهب الدكتور مصلوح إلى أنه من الضروري الانتباه إلى أمرين لا مناص منهما:

1.الأسلوب مفهوم احتمالي في جوهره، وهو بهذه الصفة مستحق لأن يكون موضوعا للمعالجة المختلفة.

2.إن الأسلوب بما صدقاته لا يمكن تحليله تحليلا شافيا إلا في ضوء التحليل الشامل للغة المعنية [3]. وهذا الأخير لا يمكن أن يتأتى بيسر، لأن التحليل الشامل للغة المعنية ليس في متناول الباحث الإحصائي الفرد، وإنما يحتاج إلى عمل جماعي مؤسس.

كانت هذه بعض المقولات النظرية التي ضمّنها الدكتور مصلوح كتابه "في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية" حاول من خلالها تقديم تصوره للمعالجة الأسلوبية الإحصائية، والإجراء الذي يقترحه.

---

(1) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات، ص112.

(2) المرجع نفسه ، ص نفسها.

(3) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص 26.

أمّا على مستوى النقد التطبيقي من خلال النماذج المختارة، فتمثّل أوّلا في التمييز بين المتغيرات الأسلوبية والخواص الأسلوبية؛ حيث يعرّف الأولى بكونها "مجموعة السمات (بالمفهوم الأوسع للمصطلح) التي يعمل فيها المنشئ بالاختيار أو الاستبعاد أو بالتكثيف أو بالخلخلة وباتباع طرق مختلفة في التوزيع يشكل بها النص. وحينئذ تصبح المتغيرات الأسلوبية سمات مميزة Stylistic Features أو موائز Discriminators"[1] . أي أن المتغيرات الأسلوبية ترتبط بعمل المؤلف. أما الثانية (الخواص الأسلوبية) فتتعلق بعمل الناقد الأسلوبي الإحصائي، مع العلم أن هذه المقترحات هي عبارة عن اجتهادات شخصية من الدكتور مصلوح وأمثلة قدّمها من أجل توضيح طريقة المعالجة، لقدرتها على تحقيق عنصر الملاءمة للبحث الأسلوبي الإحصائي. ويذكر منها المتغيرات الشكلية وينطوي تحتها مثلا التمييز بين الشعر والنثر، وتوزيع الأبيات وفنون البديع وأنواع الجناس وطول الكلمة والجملة وغيرها .أما المتغيرات الصوتية فيذكر منها التوزيع الصوتي لفئات الصوتيمات والفونيمات وأنواع المقاطع والوزن العروضي ونظام القافية، وقائمة طويلة من المقترحات المتعلقة بهذا المستوى. لتليها المتغيرات الصرفية، التي تشمل حسب رأيه أقسام الكلم والصيغ الصرفية. بينما يذكر مما ينطوي تحت المتغيرات التركيبية؛ المركبات النحوية وأنواع الجمل ومباحث علم المعاني في البلاغة والمجاز بالحذف وغيرها.

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي ، ص 27.

ويذكر من أنواع المتغيرات الدلالية الوحدات المعجمية والمعجم النوعي والمفردات الدخيلة، لينتهي بمتغيرات ما فوق الجملة بما في ذلك طول الفقرات وتوزيعها هرمية البنية المنطقية للنص، الربط بين الجمل[1] . وهذه مجرد أمثلة أوردناها وقد أسهب الباحث في ذكر الخصائص التي يمكن دراستها.

ولا يلزم الباحث أن يقوم برصد جميع هذه المتغيرات، وإنما هي عبارة عن قائمة اختيارات ليس الغرض منها الحصر، بقدر ما أريد لها أن تحدد بعض الموائز، على اعتبار أن " كل خاصية لغوية هي مائزة Distinctive أو فضلة Redundant هي متغير أسلوبي بالفعل وخاصية أسلوبية بالقوة " [2] بناء على كونها تصلح موضوعا للمعالجة الإحصائية الأسلوبية ،الهدف منها التشخيص الأسلوبي الذي يمثّل القاعدة الأساسية للوقوف على اختيارات المؤلف وطريقته في تشكيل نصه تشكيلا أسلوبيا.

ونلاحظ أن الناقد قد أتى على جل الموائز، التي يمكن أن تتوفر في أي نص أدبي. وقد أردف شرط تحديد المتغيرات الأسلوبية بما سماه الطراز النحوي وضرورة تحديده، اعتمادا على التصور الخاص للباحث الإحصائي. بالإضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار قضية ارتباط التشكيل الأسلوبي بثلاثية المعنى والمقام والمقال.

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية ، ص 29، 33.

(2) المصدر نفسه، ص 33.

لذلك جاء بعض الدّارسين من بعده وأسسوا تطبيقاتهم – على الخصوص– بناء على ما اقترحه. مع العلم أنّه أفاد من المنجز الغربي في هذا المجال لدى الأسلوبيين كإشارته إلى ظاهرة التكرار، وطول الجمل وما إليها. كما تجلى ذلك لدى ماروزو الذي تميزت جهوده "بعملية التركيز على على نواح محددة من الأسلوب كتركيزه على المحسوس والمجرّد والمجمل والمفصّل والحقيقة والمجاز كما اهتمّ بنوع خاص بقواعد تنظيم الكلمات، والإيقاع والحركة في الجملة واستعمال الصيغ والكلمات واختيارها والقواعد الهرمونية والصوتية، وركّز بشكل واضح على الناحية الوظيفية لجزئيات التركيب (...) واللغة المكتوبة والمنطوقة والأسلوب النثري والقواعد الشعرية"[1] . ونشير في هذا المقام إلى أنّ الناقد لم يتوقف عند هذه الخصائص المعطاة، بل قدّم خصائص من اجتهاده ناتجة عن إلمامه ومدارسته للبلاغة والنصو واللسانيات العربية.

وهذا لا يعني أن قائمة المتغيرات الأسلوبية تختار بعشوائية، بل هي نتيجة لتأمل وفحص دقيق، كما أنها ليست قائمة نهائية؛ إذ يتسنّى لكل باحث إجراء تعديلات في العلاقات بين وحداتها، وفي الوقت ذاته يستحيل على المؤلف الواحد سواء أكان ذلك في نص واحد أو مجموعة من النصوص أن يوظّف كل المتغيرات.

وبالمقابل ينبّه الباحث إلى صعوبة تشخيص الخصائص المائزة، فضلا عن

---

(1) محمد عبد المطّلب: البلاغة والأسلوبية، ص 177، 178.

تفاوت المستويات النصية المختلفة من حيث قابليتها للتشكيل الأسلوبي.

ولعلّ الأسلوبية الحاسوبية ستساهم في حلّ بعض هذه المشاكل كتلك الدراسات التي تعنى " بقياس الأسلوب (stylometry) البحث في السمات متعدّدة التنوّع المجانسة اللغوية (collocations) وطول الكلمة وطول الجملة في نصوص مختلفة لتحديد صناعة الكتابة (author ship)[1]

ولأن النّص الأدبي حقل مشترك، بين عمل المؤلف الذي يقوم بفعل التركيب والباحث الذي يضطلع بفعل التحليل، إذ يعمل الأول على استخدام متغيرات أسلوبية يتشكل بواسطتها النص، والثاني يدرس هذه المتغيرات ويحللها، وهو ما يسمى بالتشخيص الأسلوبي Stylistic Diagnosis ، حيث يسعى الأول إلى إنتاج النص و يتغيا الثاني " الكشف عن الهوية الأسلوبية للنص" [2] . من خلال امتلاكه جملة من التقنيات والإجراءات التحليلية والمنهجية، حتى يتمكن من استكشاف "أجدر المتغيرات الأسلوبية بأن تكون خصائص أسلوبية مائزة للنص" [3]؛ أي تلك التي عمل فيها المؤلف على محاور الاختيار والتوزيع، ليتمكن من الوقوف عند هذه المكونات سواء بالاستبعاد أو الاختيار، "والاختيار الأسلوبي لا يمكن أن يكون اختيارا كيفيا أو اعتباطيا، وإنما اختيارا من دائرة محددة من إمكانات التعبير

---

(1) كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات ص 147.

(2) سعد مصلوح: في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ، ص 44.

(3) المصدر نفسه، ص نفسها.

اللغوية التي تناسب صياغة الفكرة المحدّدة وهذا ما يجعل الاختيار الأسلوبي يأتي في علاقة ترادفية نسبيا"[1].

ويهدف التشخيص الأسلوبي من منظور مصلوح إلى تحقيق غايات ثلاث هي:

1.الوصف الإحصائي لأسلوب النص بهدف الكشف عن الخصائص الأسلوبية المائزة.

2.التحليل الإحصائي للنص.

3.الحكم التقويمي (نعوت الأسلوب)[2] .

مع إمكانية استغناء الباحث عن العنصر الأخير، بخلاف العنصرين الأول والثاني الذي يشكل كل منهما الأرضية الأساسية للدراسة الأسلوبية التي تمر بمراحل ثلاث – كغيرها – من مراحل البحث العلمي – وهي مرحلة الفرض والاختبار والاستنتاج.

ويمكن للباحث أن يختار عيّنات أو مجتمعا إحصائيا، أو مدونة باستخدام مقاييس متنوعة نحو قياس كثافة المتغير الأسلوبي والنسبة بين متغيرين أسلوبيين والنزعة المركزية وغيرها. وبهذا يكون قد استوفى الإجابة النظرية عن الأسئلة الثلاث التي طرحها في البداية. وتتضح إجابة السؤال كيف نحصي؟ من خلال الجانب الإجرائي.

---

(1) بيار غيرو: الأسلوبية ص133.

(2) سعد مصلوح : في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية ، ص45.

وقد علّل الباحث أسباب اختياره لمقاييس إحصائية دون غيرها، إذ يقول عن الاعتبارات التي جعلته يعتمد معادلة بويزمان مثلا :

- مايز بين الأساليب النثرية من خلال مجتمعات إحصائية كاملة (سير ذاتية، روايات، مسرحيات).
- مايز بين كتّاب من العصر نفسه (العصر الحديث).
- تعدد الأجناس الأدبية التي طبّق عليها إجراءه[1].

وقد تناولت دراسته التطبيقية نماذج متباينة المقاييس توزعت كالتالي:

1/ معادلة بويزمان : دراسة نماذج في الأساليب النثرية.

2/ مقياس جونسون :قياس خاصية تنوع المفردات.

3/ مقياس يول: تحقيق نسبة النص إلى المؤلف.

4/ مقياس لاندون: في التشخيص الأسلوبي للاستعارة.

5/ حاشية أسلوبية على لغة الخطاب النقدي.

وكما هو معلوم فإنّ الناقد مصلوح لا يقدّم أعماله النظرية إلاّ تمهيدا لجانبها التطبيقي، الذي يمثل الغاية الأولى لبحثه. من أجل اختبار فروضه ومنهجيته ووضعها على محك التجربة، وتجلىّ ذلك على وجه الخصوص في مجال مقاربته للإحصاء الأسلوبي، فكانت أعماله بمثابة "خارطة الطريق في كل درس ينهض به

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص 45.

(...) ابتداءً من إعماله معادلة بويزمان على فنون النثر الأدبي العربي الذي هو – في حدود علمنا – محاولة علمية أولى في الثقافة العربية تستند إلى وسائل موضوعية منضبطة في تشخيص أساليب القول بحيث تناول أنماطا متعددة من ألوان الكتابة العلمية والأدبية، ثم الشعرية والنثرية " [1] أين فحص العلاقة بين الأساليب ومنشئيها ودور العمر والجنس وعوامل أخرى في ذلك، كما وقف مع بعض أنواع المجاز كالاستعارة لدى عدد من الشعراء، لينتهي إلى فحص لغة الخطاب النقدي لدى كوكبة من النقاد للوقوف على خصائصها، وهذا ما سنحاول استقصاءه على المستوى الإجرائي.

أولا: معادلة بويزمان لتشخيص الأساليب:

ظهرت معادلة بويزمان في إطار البحوث السيكولوجية ؛ حيث قام العالم الألماني أ. بويزمان بصياغة فرضياتها وتطبيقها على بعض النصوص في اللغة الألمانية سنة 1925. وهي معادلة تستخدم "لقياس الخصائص وتشخيص لغة الأدب تشخيصا كميّا"[2] وتتأسس على فرضية أنّه يمكن تمييز النص الأدبي بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير هما التعبير بالحدث (Active Aspect) والتعبير بالوصف (Qualicative Aspect)، أي بإحصاء الكلمات الدالة على

---

(1) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية قراءة في مشروعه لتوطين العلم كتاب سيرة ومسيرة ص 217.

(2) سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص 73.

الحدث وتلك الدالة على الصفة، في نص من النصوص، ثمّ قياس نسبتها. بحساب ناتج قسمة عدد الأفعال المتحصل عليها على عدد الصفات (عدد الأفعال÷ عدد الصفات) ويحمل الناتج دلالة معينة مفادها ، أنّه كلما زادت القيمة كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما نقصت كانت أقرب إلى الأسلوب العلمي[1]. وعلى الرغم من برهنة الدراسات التي قام بها فريق من العلماء الألمان على صحة الفرضية التي وضعها بويزمان، فإنّها لم تسلم من النقص والغموض وخاصة على مستوى مصطلحي قضايا الحدث وقضايا الوصف. لذلك عمل الباحثان ف. نويباور و ش. أوف أنسبروك على تبسيط المعادلة باستخدام عدد الأفعال بدلا من قضايا الحدث وعدد الصفات بدلا من قضايا الوصف" [2] والتي تختصر باللغة الإنجليزية (var) ويقابلها في العربية (ن ف ص) أي نسبة الأفعال إلى الصفات. وقد طبّقها الدكتور مصلوح لأول مرة في العربية ،بعد جملة من التعديلات التي أجراها لتتلاءم وطبيعتها ؛ حيث استعبد في تطبيقاته جميع الأفعال الناقصة والجامدة وأفعال الشروع والمقاربة، وأما بالنسبة للصفات فقد أهمل منها تلك الواقعة جملا بما في ذلك الجامد المؤول بالمشتق، كالمصدر الواقع صفة والاسم الموصول بعد المعرفة واسم الإشارة الواقع بعد معرفة وكل الصفات الواقعة جملة أو شبه جملة[3].

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص75.

(2) المصدر نفسه ، ص77.

(3) المصدر نفسه، ص 78.

وفي هذا المقام علّق المختار كريّم "بأن الباحثين الغربيين درسوا نسبة الأفعال إلى النعوت، الأمر الذي يطرح بعض المشاكل في اللغة العربية ذلك أنه يوجد لدينا" مصطلح النعت ومصطلح الصفة، والأول نوع من الثاني في مجال التركيب فإذا عممنا أطلقنا مصطلح الصفة وإذا خصصنا ذكرنا ما إذا كانت الصفة نعتا أو بدلا أو توكيدا. أما في مجال الصرف، فمصطلح صفة استعمل لتسمية قائمة من المشتقات هي أسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والمبالغة والتفضيل والمرة والهيئة" [1] . وقد أجاب الدّكتور مصلوح عن ذلك من خلال ذكر سببين:

1. إن إعراب هذه الجملة صفة هو عبارة عن تصور نحوي، أي مقولة منهجية، وليست حقيقة من حقائق اللغة.
2. إن الجملة تتركب من عناصر قابلة للتصنيف مما يعّقد عملية الإحصاء.

كما اعترض ناظم حسن على هذه الدراسة في كتابه " البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر" من خلال النقاط التالية:

_ إنّ محاولة مصلوح في تطبيق معادلة بويزمان لم تنظر إلى خصوصية اللغة العربية عبر ذلك الفصل القصير والسريع.

_ هذه المحاولة لم تقدم المسوّغات الكافية لشرعية تطبيق تلك المعادلة.

---

(1) المختار كريّم : الأسلوب و الإحصاء ،ص197.

_ جلّ ما قام به مصلوح هو تشذيب مفهومي التعبير بالحدث والتعبير بالوصف، ليتجاوز معيار انتماء الكلمات إلى المظهر الأول أو المظهر الثاني [1].

ونلمس في هذه الاعتراضات تقزيما لمحاولة سعد مصلوح، دون تقديم الحلول الإجرائية، أو على الأقل تدعيم الدراسة إن لم يكن معارضا لها بتصورات نظرية أو منهجية ، يمكنها إثراء هذا الجانب. بيد أنّ الناقد لا يكتفي بذلك بل يصفها بأنها " محاولة تبسيطية تسهّل الإجراء وتسطّح المعالجة في الوقت نفسه" [2] وسنرى مدى تهافت هذه الفكرة الأخيرة ، عند المعالجة التطبيقية والنتائج المتوصل إليها. أمّا عن انحصار المحاولة في الزاوية الضيقة لافتقارها إلى الأساس النظري[3] فالأساس النظري هو معادلة بويزمان التي عرّف بها مصلوح وقدّم فرضياتها ، ثمّ محاولة تكييف بعض قواعد اللغة العربية معها. مماّ يكشف عن وعي الباحث بأدواته الإجرائية وبغاياته، ولعلّ هذا ما دفع الدكتور وغليسي لوصفه بأنه عمل أثبت فيه " كفاءة تطبيقية عالية وصبرا تقنيا (إحصائيا) رهيبا (من الطبيعي ألا يخلو من مخاطر)"[4]. وبغض النظر عن الانتقادات، التي وجهت لعمل الدكتور مصلوح فإنّ اختباراته هي التي تبرهن على نفي أو إثبات ما ذهب إليه.

---

(1) حسن ناظم: البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص52.

(2) المرجع نفسه، ص نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

(4) يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ص 188.

لذلك ومن أجل معرفة تأثير عاملي العمر والجنس ، على مدى عقلانية وانفعالية اللغة، طبّق المقياس المذكور على السيرة الذاتية والكتابة الذهنية، لدى كل من العقاد وطه حسين، فأخذ عينة من كتاب "الأيام" بأجزائه الثلاثة، وعينة من "مستقبل الثقافة في مصر" لطه حسين وعينة من "حياة قلم" للعقاد، حيث تقوم فرضيته على أن (ن ف ص) تتناقص كلّما تقدم الكاتب في العمر، وبمراجعة النسب المسجّلة في كتاب "الأيام" وهي على التوالي:(4,6_ 3,8_3,4)[1] نلاحظ الفرق الضئيل بين الجزأين الثاني والثالث، وهو ما يفسره الباحث باحتمال وصول هذه النسبة، مع التقدم في العمر إلى نوع من الاستقرار، عكس ما حصل مع الجزء الأول، حيث الفارق واضح بينهما وبالتالي صدق الفرضية. وعلى النقيض من ذلك، فإن الفرضية الثانية تقوم على توقع أن تكون السيرة الذاتية، باعتبارها جنسا أدبيا قوامه القص والسرد الشخصي والحديث عن الذكريات المؤثرة، على الكاتب منذ طفولته الباكرة إلى أن استوى كهلا مجرّبا، أن تتميز باتجاه (ن ف ص) فيها نحو الارتفاع النسبي في مقابل النصوص التي يكتبها الكاتب ليعالج قضية علمية أو اجتماعية [2].

وهو ما نلمسه عند ملاحظة الفرق بين كتاب (الأيام 3,9) وكتاب "مستقبل الثقافة في مصر" بـ (2,00) .مما يكشف عن اختلاف (ن ف ص) بين السيرة الذاتية والكتابة الذهنية.

---

(1) سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص86.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

أما إذا انتقلنا لحسابها لدى كاتبين مختلفين وفي الجنس الأدبي ذاته وهو السيرة الذاتية ،نجد أنها بلغت في الأيام (3,9) . أما المدى فبلغ (16,1) . بينما بلغ في " حياة قلم" (1,8) والمدى (3,3)[1].

ويفسّر الناقد ذلك باختلاف الأسلوبين، إذ أن أسلوب "الأيام" أقرب إلى الطابع الأدبي الانفعالي، وهو أكثر حساسية واستجابة لتنوع الموضوع. بينما تظهر في "حياة قلم" آثار الموضوعية والعقلانية وهذا يعني أن المقياس المطبق يصلح "مؤشرا لتشخيص أسلوبي الكاتبين من حيث درجة الموضوعية، وخاصيتا الانفعالية والذهنية وكذلك من حيث السهولة والصعوبة"[2].

ومن أجل اختبار فرضيتي ارتفاع نسبة الكلام المنطوق مقابل انخفاضها في الكلام المكتوب، وارتفاعها في الشعر مقابل وانخفاضها في النثر ، درس عيّنات من مسرحيات أحمد شوقي الأربع وسجّل نسب (ن ف ص): " مصرع كليوباترا" :7,6 "مجنون ليلى": 7,8 "الست هدى": 10,9، "أميرة الأندلس":0.5 [3] وانتهى إلى هذه النتائج تصديقا لفرضية ارتفاع (ن ف ص) في الشعر على النثر . وهذا ما تجسّده مسرحية "الست هدى " التي "كتبت شعرا، وبكونها أقرب المسرحيات الأربع من العامية ومن لغة الحياة اليومية"[4] كما أنّ مسرحية " أميرة الأندلس" سجلت انخفاض (ن ف ص) لأنها المسرحية النثرية الوحيدة.

---

(1) سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص89.

(2) المصدر نفسه، ص90.

(3) المصدر نفسه ص95.

(4) المختار كريّم: الأسلوب والإحصاء، ص196.

وخصّص الدراسة الأخيرة للأسلوب في الرواية ، متخذا من روايتيّ "بعد الغروب" لمحمد عبد الحليم عبد الله، و"ميرامار" لنجيب محفوظ نموذجين لدراسته الإحصائية، مستقصيا نسب (ن ف ص) في الأجزاء السردية والحوارية والشخصيات، فكانت النتائج المسجّلة مصدقة لفرضياته المتمثلة في ارتفاع (ن ف ص) في الأجزاء الحوارية مقابل انخفاضها في الأجزاء السردية. وفي ارتفاعها لدى نجيب محفوظ مقابل انخفاضها لدى عبد الحليم عبد الله. ويعلل الباحث ذلك بكون الحوار عند محفوظ أكثر تركيزا ، على عكس عبد الحليم عبد الله ذلك أنّ أسلوب نجيب محفوظ، أكثر اتساقا مع المعايير المميزة للغة السرد والحوار[1] على عكس ما يلاحظ من اختلاط الأسلوبين عند عبد الحليم عبد الله الذي انعكس واضحا أيضا في اضطراب هذه العلاقة[2]. وعلى الرغم من صدق الفرضيات، بتأكيد النتائج المحققة، فإن المختار كريّم يشكّك في موضوعية المقياس، متسائلا إن كانت لا توجد حدود عامة تتحرك فيها الأجناس، وحدود يتحرك فيها الكتّاب "ونحن نرى أنه ما لم يتوفر لنا الجواب المقنع على هذا يبقى المقياس مجرد إيهام بالموضوعية، لأنه لا يمكن أن تتحدث عن قانون ، أو حتى عن مقياس مؤشر ذي وزن، ما لم تكن له سلطة وامتداد وثبات ما في القيم وعمومية في التطبيق"[3]. وهذه الملاحظة قد تكون صحيحة، لكنها ستقودنا إلى إعادة الإحصاء من جديد ، وهو ما أكّد الباحث على صحته, وهي أيضا ملاحظة كثيرا ما وجهت للإجراء الإحصائي لا في مجال الأسلوب وحده ، وإنما في مجالات أخرى بعيدة عنه.

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية ، ص 135.

(2) المصدر نفسه ، ص نفسها.

(3) المختار كريّم: الأسلوب والإحصاء، ص 199.

ونجد الرّد على ذلك لدى سعيد أكنبي عالمي، الذي توقف عند ثلاث ملاحظات:

تتعلق الأولى بتعدد العوامل المؤثرة في نسبة المقياس، من حيث الارتفاع والانخفاض مما يفتح الباب للتأويلات، إذ يرى الباحث أن "ذلك التعدد لا يخرج هذا المقياس من المقاييس الأسلوبية الإحصائية المنضبطة بحال"[1] . بالإضافة إلى أنه عند تطبيق هذا المقياس على اللسانيين الألماني والإنجليزي أدى إلى صدق تأثيرها ، خاصة إذا علمنا أن دراسة النصوص الأدبية ، يتطلب من الباحث مجهودا مضاعفا لتوفرها على سياقات معقدة ، مثلما هو الحال مع فنّي الرواية والمسرحية؛ إذ من واجبه الوقوف عند مختلف العوامل التي تحكم النص المدروس من أجل تحقيق دقة التفسير. الأمر الذي قاد العلامة سعد مصلوح للحديث عن عامل آخر يتحكم في تغيير المقياس وهو عامل الجنس إذ : " تميل قيمة (ن ف ص) إلى الارتفاع عند النساء ، في مقابل ميل واضح إلى انخفاضها عند الرجال" [2] . غير أنّ هذه الفرضية الأخيرة لم تخضع للاختبار.

أمّا الملاحظة الثانية فتجلّت في قول المختار كريّم بأنّ كثرة وظائف المقياس مبددة للثقة في المؤشر؛ والتي ينفيها سعيد عالمي ، ولا يرى في المقياس ما يعيبه طالما أنه أثبت صلاحيته، من جهة عرضه على قياسه معاملات الصحة (validity) والثبات (reliability) والارتباط (correletion) وما دامت الصحة العلمية لوظائفها ثابتة أيضا ،من جهة عرضه على الميزان المستقيم من إجراءات

---

(1) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية : قراءة في مشروعه لتوطين العلم. من الكتاب الجماعي: الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح سيرة ومسيرة. ص 222.

(2) سعد مصلوح: الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية، ص 82.

الفحص الأسلوبي الإحصائي بكل ما اشتمل عليه منهجه وأدواته ووسائله المنضبطة من فرض واختبار وتشخيص"[1] .

أما الملاحظة الأخيرة فتتعلق بوجود حدود تتحرك فيها الأجناس وأخرى يتحرك فيها الكتّاب. وتبدو هذه الملاحظة الأخيرة ذات أوجه:

_ قضية الانفعالية والعقلانية عند المنشئين مرتبطة بالطبيعة البشرية.

_ تحقيق الثبات يستلزم أن تكون السّمات الأسلوبية عادات وثوابت وهذا لا ينطبق على الأسلوب لاعتماده على اختيار شكل تعبيري تنتج عنه سمات أسلوبية.

_ تخضع عملية الاختيار في التشكيل الأسلوبي لعوامل برغماتية ذاتية وموضوعية [2] تعمل في اتجاهين متعاكسين وتكون النتيجة، إما أن يضعف بعضهما بعضا، أو أن يلغي أحد الاتجاهين أثر الاتجاه المضاد.

ونضيف ملاحظة أخرى جديرة بالتسجيل تتمثل في الوعي الذي يمتلكه الدّكتور مصلوح، ففي تطبيقه لمعادلة بويزمان ذكر أن "فرضية بويزمان" القائلة بثبات هذه النسبة عند المنشئ بقطع النظر عن الموضوع الذي يتناوله تبدو غير صحيحة[3] .

---

(1) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية ص 223.
(2) المرجع نفسه، ص225.
(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

وبيان ذلك أن للموضوع أثرا على قيمة المعادلة حتّى في أسلوب كاتب معين، وهذا " دليل واضح على أن الشيخ لم يكن في استثماره منهجية الأسلوبيات الإحصائية في دراسة النصوص العربية تبعيا يقبل فروض المقاييس الأسلوبية على علاتها، وإنما كان متابعا بصيرا واعيا يضع تلك الفروض على محكّ من الفحص المستوعب والاختبار الدقيق"[1] . حيث يترجم ذلك بالقول " وإننا على يقين من أنه مقياس دقيق إلى حد بعيد، وإننا بذلك قد أثبتنا أن صدقه على الأدب العربي، لا يقل عن صدقه على غيره من آداب، كما أنه مقياس واعد متعدد الوظائف وبسيط في آن معا" [2]. وقد اعترف المختار كريّم ببساطة المقياس، لكنّه شكك في موضوعيته _ كما أسلفنا _ سواء لدى سعد مصلوح ، أو لدى فريدريك أنتوش الذي اعتمد عليه سعد مصلوح، مع أنّ الباحث لم يشر إلى هذا المصدر. غير أنّ واقع التجربة لا يثبت ذلك ، حيث اقتفت جلّ الدراسات الأسلوبية الإحصائية التي ظهرت بعد 1980 تاريخ صدور كتاب "الأسلوب دراسة لغوية إحصائية " أثر الدكتور مصلوح ، دون أن تكلف نفسها عناء العودة إلى المصادر الأصلية. ولعل هذا ما دفع حافظ اسماعيلي علوي إلى إبداء ملاحظة حول عدم تصريح مصلوح بالأصول النظرية والمنهجية [4] التي اعتمدها، وإن كانت ملاحظته هذه موجهة لكتاب بعينه.

---

(1) سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص 87.

(2) سعيد أكنبي عالمي : سعد مصلوح رائج الأسلوبيات الإحصائية في العربية ص 219، 220.

(3) سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص140.

(4) امحمد الملاخ وحافظ اسماعيلي علوي: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات ، ص 190.

ولعلّ من الصعوبات التي تواجهنا عندما نخوض خاصة في الإحصاء الأسلوبي لدى سعد مصلوح هو اعتماده على مصادر غير معروفة.

ثانيا : مقياس جونسون (خاصية تنوع المفردات) :

عرّف الباحث الأمريكي فيكتور فيلاريال(Victor Villarreal) مقياس جونسون بأنه " مقياس يشمل اختبارات القراءة والرياضيات واللغة المكتوبة والمعرفة الأكاديمية"[1] وتشمل الاختبارات الأساسية للمهارات من حيث الطلاقة والممارسة[2] وقد تمّ وضع هذا المقياس سنة 1977 من قبل الباحثين اللذين نسب إليهما . و هو أحد أهم الاختبارات الأكثر انتشارا في العالم "، حيث " تبيّن أنّ الاختبارات المعرفية والتحصيلية الخاصة به تتنبّأ بشكل مرتفع بكل من الجوانب التحصيلية الخاصة بالقراءة والكتابة والحساب"[3] ، وقد تطور عن نظرية كاتل وهورن وكارول.وعرف نسخا عدة كان آخرها النسخة الرابعة المعتمدة الآن.

وقد وظّفها الدكتور مصلوح لتحليل ومتابعة قضية قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب، والتي تدخل في "ميدان الإحصاء المعجمي، وهو أعرق فروع الدراسة الأسلوبية الإحصائية وأشدها تأصلا وتنوعا في الغايات والمناهج[4] حيث يعد المعجم الذي يوظفه مؤلف ما (كاتب أو شاعر) أحد أهم المؤشرات الدالة على الخواص الأسلوبية المتوفرة لديه والتي تنبني عليها صناعته، ذلك أن فحص الثروة اللغويةvocabilary richness عند مؤلف ما، من أهم الملامح

---

(1) Victov Villarreal:Schrank,F.A. Mather, N&McGrew,K.S(2014)Wood ckock-johson Iv tests of achievement.Rolling Meadows. Journal psycoeducational Assessment ;2015.vol 33(4)p391.

(2) Ibid.

(3) بشيرأبو حمور، جيهان مطر، حنان الحموز: دراسة استطلاعية لتقنين النسخة العربية لاختبارات الوودكوك جونسون المعرفية والتحصيلية (WJIII) في الأردن، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 42، ع 2، 2015، ص 500.

(4) المختار كريّم: الأسلوب والإحصاء، ص206.

المحددة لأسلوبه، لأن المفردات ما هي إلا " الخلايا الحية التي يتحكم المنشئ في تخليقها وتنشيط تفاعلاتها على نحو يتحقق به للنص كينونته المتميزة في سياق النصوص ، وللمنشئ تفرّده بين المنشئين" [1] .

وقد عمد الباحث إلى تخيّر ثلاثة أعمال نثرية لأعلام من رواد النثر العربي الحديث هي: "وحي القلم" للرافعي و "عبقرية محمد" للعقاد و"الفتنة الكبرى، عثمان" لطه حسين. ليكتشف بوسائل التشخيص الأسلوبي الإحصائي نسبة الثراء المعجمي فيها، حيث أوجد الباحث صيغة خاصة به لتحديد الكلمات الخاصة بالإحصاء، ليظهر ما تنطوي عليه أساليب هؤلاء من فروق فردية في حجم الثروة اللفظية، وطرائق استخدامها عند تشكيل النص وما يستتبع ذلك، من كشف العلاقة بين نسبة تنوع المفردات ارتفاعا وانخفاضا في تلك النماذج، ووصف الأسلوب بالصعوبة والتعقيد أو السهولة والوضوح [2]. وقد أخذ الباحث هذه الأهداف من زاويتين هما حجم الثروة اللفظية وطرق توظيف هذه الثروة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ليست، هي الخاصية الوحيدة أو الحاسمة في مجال التمييز بين الأساليب.

أما الخطة التي وضعها أساسا منهجيا لعمله فتتمثل في:

- تحديد العينات التي أجري عليها البحث.
- عرض المقياس وطريقة تطبيقه على العينات.

---

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي ص89.

(2) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية ص 227.

- طرق حساب نسبة التنوع.
- نتائج القياس.

- ملاحظات على نتائج القياس.
- العلاقة بين خاصية التنوع وصعوبة الأسلوب.

فبعد تصديرموجز، تحدّث فيه عن أهمية المعجم وأثره في التشكيل الأسلوبي ثم إبراز دور التشخيص الأسلوبي في إبراز بعض الخصائص الأسلوبية، كالفروق الفردية على مستوى المعجم أو تباين الأسلوب بين التعقيد والصعوبة والوضوح والسهولة، أتى إلى تحديد العيّنات، التي أشرنا إليها من قبل والاعتبارات التي راعاها لبناء هذا الاختيار– مع أنها من الشروط التحسينية لا غير – مع عرض مفصل للمقياس وطريقة تطبيقية على العيّنات ، ثم طريقة حساب نسبة التنوع وصولا إلى الملاحظات والنتائج، التي حققتها الدراسة وملاحظة مدى تطابق الفرضيات مع النتائج. مع العلم أنه طبق مقياس و. جونسون ، الذي يعتمد في هذا المجال على إمكانية "إيجاد نسبة لتنوع المفردات في النص أو في جزء منه، إذا ما حسبنا فيه النسبة بين الكلمات المتنوعة (أي المختلفة بعضها عن بعض) والمجموع الكلي للكلمات المكونة له" [1]، بحيث تشكل تلك الكلمات المختارة أنماطا types والمجموع الكلي للكلمات التّحققات tokens. أما نسبة التنوع فهي types-tokenratio واختصارها TTR. والتي تحسب بقسمة المجموع الكلي للأنماط على عدد التحقّقات[2] :عدد الأنماط .

التحقّقات

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي ، ص 94.

وفي هذا المقام تبرز الصعوبة والعمل الشاق الذي تولاه الباحث والذي _عادة_ ما تتولاه مؤسسات ومراكز بحث في الغرب.

وبتطبيق الدّكتور مصلوح لهذا المقياس عن طريق جداول ونسب ومنحنيات بيانية أبان من خلالها عن كيفية العمل ، وإبراز نسب التناقص في عينات التنوع أو التراكم، مسجّلا جملة من الملاحظات ، متوصلا إلى النتائج التالية:

1. أن كتابات العقاد والرافعي على قدر من التنوع ودرجة ملحوظة من الصعوبة والتعقيد مقارنة بكتابات طه حسين.

2. التقارب بين العقاد والرافعي من جهة، والتباعد بينهما وبين طه حسين من جهة أخرى، في نسبة التنوع يعود إلى الفرق بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة إذ أن أسلوب العقاد والرافعي أسلوب كتابي. أما أسلوب طه حسين فأسلوب يقع وسطا بين المكتوب والمنطوق.

3. التقارب الشديد في نسبة التنوع بين العقاد والرافعي والتباعد بينهما وبين طه حسين مؤثر موضوعي، على أن هذه الخاصية غير صالحة لتمييز حاسم بين أسلوبي العقاد والرافعي، وتصلح لذلك بين أسلوب كل منهما وأسلوب طه حسين[1]. هذه النتيجة الأخيرة جعلت الدكتور مصلوح ينبّه إلى ملاحظة غاية في الأهمية في مجال فحص الأساليب وكشف التمايز بينها ، هي أنها تقدم دليلا جيدا على أن هذه الخاصية وحدها ليست كافية ، وهي ليست حيزا حاسما بين أسلوب العقاد وأسلوب الرافعي، بل لابدّ من خواص أخرى قادرة على تحقيق هذا التمييز.

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص110، 111.

دون أن يحدد ما هي هذه الخواص، تاركا إياها للتجربة والاختبار وتطبيق المقاييس الأخرى المقترحة من طرف الباحثين.

على مستوى آخر، وفي إطار نقد النقد يوجّه الأستاذ المختار كريّم بعض الملاحظات حول هذا البحث تتمثل في:

_ قلة العيّنات مقارنة مع تلك التي درسها الباحثون الغربيون على غرار ما فعل غيرو في دراسته للخصائص الإحصائية للشعر الرمزي لدى مجموعة من الشعراء* . ضف إلى ذلك أن كثيرا من الكلمات يندرج ضمن ما سماها الحدود الرسمية لا اللغوية، إذ رأى وجوب تحاشي ذلك "لأنه يوقع في التناقض في معاملة الوحدات (...) فحرف الجر المستقل يعد أحيانا ، ولا يعد لأنه التصق بوحدة أخرى (في فيه،على، عليه) . وكذا الحال في أدوات العطف وفي وحدات كثير من النواسخ والموصولات. ولهذا فبعض الشروط التي بنى عليها سعد مصلوح عملية العدّ غير مقنع، لأنه لا يتحكم فيه مبدأ لغوي صريح.

_ بحث سعد مصلوح لا يتنزّل في حقل دراسة حجم الثروة اللفظية بل في فرع منه وهو منسوب التنوع عند الكتاب. [1] وقد رأى الباحث سعيد أكنبي أن هذه الملاحظ تدخل في إطار الشروط التحسينية، وليس ضمن شروط الصحة، لذلك فقد أجملها في نقطتين، تتعلق الأولى منهما بالشروط الإجرائية الضابطة لماهية الكلمة– وقد أشرنا إلى ذلك سابقا – من خلال إدراج مصلوح الكلمات النحوية

---

* الشعراء هم بودلير ورامبو وأبولينار وكلودال وفاليري.

(1) المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء ص208، 209.

ضمن القائمة، مع رفض المختار كريّم لذلك، بسبب الأثر المحايد في تبيّن الثراء المعجمي عند المنشئين، وقد نظر إليها سعيد أكنبي عالمي على أساس أنها تحمل " إضافة تحسينية للطرائق الإجرائية عند اختبار المقياس في دراسة خاصية التنوع "ومرد ذلك أن المفردات النحوية تقع في دائرة الكلمات المغلقة ذات القوائم المحدودة closed group of words في جميع اللغات الإنسانية، وتتسم بكثرة التردد والتكرار في النصوص [1].

والواقع أن مصلوح قد نبّه إلى هذه النقطة في فاتحة عرضه للأسس الإحصائية التي اعتمدها في عد الكلمة وهي أسس خاصة به وحده ولا تلزم أحدا، كما أن مصطلح الكلمة ذاته من المسائل الخلافية بين اللسانيين، لذلك تبنّى هذا التعريف على إطلاقه "وفي الكتابة تظهر الكلمة على هيئة مجموعة من الحروف تتصل خطّا، ويفصل بينها وبين ما سواها فراغ أوسع نسبيا"[2] .

أما الملاحظة الثانية فترتبط بحجم العينات، والتي يراها أكنبي عالمي وثيقة الصلة بالملاحظة الأولى ويصنفها ضمن الشروط التحسينية، وليست من شروط اللزوم أن يعتمد الباحث في إحصائه على مجتمعات إحصائية كاملة بل تكفي عينات منه[3].

---

(1)سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية العربية، ص 229.

(2) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات إحصائية أسلوبية ص 94.

(3) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائي، ص 230

ويخلص الباحثان كلاهما إلى الإشادة بالجهد الجبار، الذي بذله الدكتور مصلوح وببصيرته النقدية النافذة، التي تأسست على فروض دقيقة، وانتهت إلى نتائج صحيحة ومهمة في الكشف عن خاصية تنوع المفردات، وبالتالي كانت أحكامه سليمة، لهذا انتهى المختار كريم ووافقه سعيد أكنبي عالمي إلى القول: "هذه ملاحظات أبديناها بمناسبة النظر في البحث الثالث من أعمال سعد مصلوح التي نظرنا فيها وهي تشير إلى قضايا ذات صلة بالمجال الذي اشتغل فيه سعد مصلوح يبقى – في شروطه وظروفه عملا مؤسسا من جهتين: أولهما أن هؤلاء الباحثين الغربيين ينطلقون من أعمال إحصائية؛ إما جاهزة أو يتلقون لإنجازها أموالا هامة من مؤسسات. وفي كل الأحوال فهم ينطلقون من مكاسب يؤسسون عليها في حين أن سعد مصلوح في عمله هذا، وأعماله الأخرى كان يهدف إلى أن يقدم نماذج لطرق في البحث، مغايرة للمعهود وهو لذلك يسير ما استطاع إلى ذلك سبيلا كي يستجلب الراغبين في استثمارها، فهو محكوم بالإمكانيات المتاحة له لإنجاز بحوثه، وبإمكانيات قارئه" [1] . وهو الفرق بين من يراكم العلم أو المنهج ومن مازال في مرحلة التأسيس له.

---

(1) المختار كريّم: الأسلوب والإحصاء ،ص 209.

ثالثا: مقياس يول (تحقيق نسبة النص إلى المؤلف):

دأب الدّكتور مصلوح على طريقة خاصة ، في دراسة الخاصية الأسلوبية المتعيّنة ، متخذا من مقولات الأسلوبية الإحصائية إجراء يسترشد به انطلاقا من نماذجه وأنماطه، جاعلا من قضية نسبة النص إلى المؤلف _ قديما وحديثا _ موضوعا لمعالجته، بالنظر إلى احتكام دارسيها على الذوق تارة والمراس تارة أخرى، دون إعمال آليات علمية تضع هذه المسألة على محك الاختبار والقياس. ويعدّ هذا البحث أول " محاولة علمية في العربية يعمد إلى تقديم حلول موضوعية لمشكل نقدي يقع في صميم التحديات العلمية ، التي تواجه دارسي الأدب والنقد واللسانيين على اختلاف ثقافاتهم وتباين مشاربهم واتجاهاتهم"[1] نظرا لحاجة هذه المشكلة إلى الحلّ وانتشارها في الحياة الأدبية. ويدخل ضمن هذا الإطار مشكل الوضع والانتحال والسرقات الأدبية وما شابهها.

وقد اختار الباحث شعر شوقي نموذجا لمعالجته، متخذا من الشوقيات الثابتة والشوقيات المجهولة النسبة والقصائد الروحية*، موضوعا للبحث الأسلوبي الإحصائي، معتمدا مقياس يول الذي " اقترحه لتمييز البصمات الأسلوبية للمؤلفين.

---

(1) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية، ص 233.

*القصائد الروحية منشورة في كتاب رؤوف عبيد" عروس فرعون وقصائد جديدة من عالم الغيب من إملاء روح أمير الشعراء أحمد شوقي على وسيطة الإلهام السيدة حرم الدكتور سلامة سعد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1971.

سماه الخاصية the characterisitc "[1] من أجل الإجابة عن السؤال الذي جعله إشكالا لطرحه : هل يحتمل أن يكون شوقي الذي هو بالقطع صاحب الشوقيات الثابتة هو نفسه صاحب الشوقيات المجهولة والقصائد الروحية؟.

كما أراد أن تتوافر في هذا المقياس صفة الموضوعية، بحكم كونه مقياسا لفحص المادة المدروسة" [2]. بالإضافة إلى ذلك فهو يتوفر على صفة الصحة، لصلاحيته لقياس خاصية تكرارية المفردات. بالنظر إلى أهميتها في التشكيل الأسلوبي.

وتقوم فكرة هذا المقياس على فئات من المفردات " ذات التكرار المتباين ، تختلف عادة باختلاف المنشئين، وينشأ عن هذه الحقيقة أن يختلف التوزيع التكراري frequency distribution لفئات المفردات فهناك فئة من الكلمات ترد في النص مرة واحدة ، وفئة من الكلمات ترد في النص مرتين، وأخرى ترد ثلاث مرات وهكذا"[3] وقد ركز الباحث جهده على الأسماء، وضبط قائمة منها أثناء عملية الإحصاء وهي الاسم العام والمصادر واسم المكان والزمان والآلة والهيئة والمرة ، وأسماء الأعداد والموازين والمكاييل والمقاييس والجهات والأوقات، مستبعدا طائفة أخرى من الأسماء كاسم الفاعل واسم المفعول واسم التفضيل

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص127.

(2) المصدر نفسه ، ص نفسها.

(3) المصدر نفسه ، ص128.

والصفة المشبهة وصيغ المبالغة وغير ذلك. وباتباع خطوات معينة للوصول إلى التوزيع التكراري للمفردات وبعد عمليات ضرب مختلفة تصاغ المعادلة التي يجري على أساسها حساب الخاصية بحيث:

$$\text{ك} = 10000 \times \frac{\text{مج}_2 - \text{مج}_1}{(\text{مج}_1)^2}$$ (1).

(ك) ترمز للخاصية، وقد اعترض المختار كريّم على استعمال هذا الرمز، بناء على أنّ حرف "ك" يقابل اللفظ الإنجليزي characterisitc لذلك اقترح الرمز (خ) الحرف الأول من خاصية.

وقد طبّق الناقد هذا المقياس من خلال جمع المعطيات حول ما اختاره من نماذج من الشوقيات الثابتة ، بناء على تشابهها مع الشوقيات المنسوبة، وبعد عملية الإحصاء جعل نتائج كل قصيدة في جدول، مع تحديد معادلة الخاصية ونتيجتها.

أمّا على مستوى التحليل فقد اعتمد فيه على حساب المدى،ثم النسبة المتوسطة. وعلى هذين المؤشرين وعنصري التشابه أو الاختلاف في الموضوع وفي الشكل بنى بقية العناصر؛ ونعني بها تحقيق نسبة الشوقيات المجهولة وتحقيق نسبة القصائد الروحية، مشكلة تداخل الخصائص الأسلوبية بين المؤلفين، مدعما كل ذلك بمنحنيات بيانية، وضّح من خلالها المدى؛ وهو حساب الفرق بين أعلى قيمة وأقل قيمة " وجعل المدى في الشوقيات الثابتة معيارا تقاس عليه بقية القصائد، فظهرت

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي، ص 130، 132.

فيه كل الشوقيات الثابتة في مدى هو المدى المعياري باعتبار ثبوتها [1]. هذه الطريقة في الإحصاء جعلت المختار كريّم يثير عدة ملاحظات هي:

1/ حجم العيّنات غير كاف.

2/ بناء تحليل الخاصيات على مؤشري المدى بين أصغر قيمة وأكبر قيمة واعتماد المدى بين العيّنات من نفس المجموعة، للدلالة على المبدع، عكس ماذهب إليه بول بنّات Paul Bennett والذي لا يعبّر عن تعداد المبدعين، بل عن اختلاف الأغراض ومواضع التركيز ودرجاته.

3/ لحساب المتوسط الحسابي سلك سعد مصلوح مسلكا غير مناسب؛ إذ أنّ طريقته في الحساب لا تعبّر عن الخاصية، بقدر ما تعبّر عن القيمة المتوسطة للقيم " ولقد لاحظنا أنّ بول بنّات لم يتحاش خاصيات الفصول وهي تقابل القصائد عند سعد مصلوح فحسب ولكنه أوضح مغالطتها "[2] في دراسته لمسرحية شكسبير "يوليوس قيصر " . يقول بول بنّات " إننا وإن حسبنا خواص الفصول منفردة لسنا في وضعية تسمح لنا بحساب خاصية المسرحية باعتبارها كلاّ " [3] ويضيف أن " السبب في عدم تمكننا من استخراج خاصية المسرحية باعتبارها كلاّ، بأي إجراء جمعي متوسطي يعود إلى أنّ الكلمة التي قد استعملت مرة في الفصل (1) ، قد تستعمل مرتين في الفصل (2) . وتصير بالتالي من الكلمات التي استعملت ثلاث

---

(1) المختار كريّم: الأسلوب والإحصاء، ص 212.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

(3) Paul Bennett :the statistical Measurement of a stylistic trait in Julius Cesar and As you like it; vol 8; No1 (Winter 1957) p33.

مرات في كامل المسرحية"[1] . ويمكننا الإجابة عن بعض هذه الملاحظات من خلال العودة إلى ما أوضحه الدكتور مصلوح نفسه، والمتعلق بدقة المقياس وحجم العينات ؛ إذ يمتاز هذا المقياس بميزة ذات أهمية كبيرة في تحليل الأساليب ، فقد صاغه صاحبه بحيث لا تتأثر نتائجه الإحصائية بطول العمل المدروس، ومن ثمّ أصبح من الممكن مقارنة أعمال تختلف في طولها من غير أن تتأثر المقارنة إحصائيا " [2] إذ "تقوم العملية الفعلية لتشكيل النماذج على اختيار لا نهائي"[3]. لأن هناك _ عادة _ أكثر من تقدير ثابت من النماذج"[4].

أما بخصوص النصوص المجهولة المؤلف فيقول : " ويزيد من أهمية هذه الميزة أنّ النصوص التي تثير عادة مشكلات حول أشخاص مؤلفيها تفرض نفسها على الباحث على ما هي عليه، فلا حيلة له في اختيار الطول المناسب للعمل ، بل عليه أن يتقبلها كما هي. ومن هنا كان هذا المقياس من أكثر المقاييس توافقا مع طبيعة النصوص غير المعزوّة، وطبيعة المشكلات التي تثيرها"[1]. مع أنّ ملاحظة المختار كريّم كانت تركز على ضرورة تتبع خطوات يول في الإحصاء الأسلوبي.

---

(1) Paul Bennett :the statistical Measurement of a stylistic trait in Julius Cesar and As you like it; vol 8; No1 (Winter 1957) p33.

(2) سعد مصلوح: في النص الأدبي ، ص 127.

(3) De terence c Mills : A statistical biography of George Undny Yule. A Loater of the world. wwwCambridge scholars.com.p 438.

(4) Ibid ; p 437.

(5) سعد مصلوح: في النص الأدبي، ص 127.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الدكتور مصلوح قد أدخل إلى النقد العربي المعاصر مقياسا ، أو معاملا ، يمكن أن يحقق الموضوعية والانضباط في الدراسات النقدية، تاركا المجال مفتوحا أمام الباحثين والأكاديميين لتناول موضوعات أخرى بمقاييس مختلفة ، ويقترح لذلك:

_ فحص القصائد التي تقع فيها قيمة (ك) خارج المدى المعياري.

_ فحص القصائد المتداخلة من الأضرب الثلاثة.

_ تحديد القصائد المشكوك في نسبتها بناء على نتائج القياس.

_ فحص عينات كافية من الأشعار الثابتة النسبة إلى شعراء آخرين من جيل الشاعر أو طبقته، الذين قد ترشحهم الفروض لأن يكونوا مصدرا للشعر غير المنسوب، وإجراء الموازنات الضرورية ، التي يمكن على أساسها إقامة حكم موضوعي في القضية.[1]

ولاشك أنّ مثل هذه الدراسات ستساهم في حلّ عدد من الإشكاليات المطروح على مستوى النقد الأدبي العربي، أو تميط عنها اللثام على أقل تقدير.

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص 176.

رابعا: مقياس لاندون (في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة):

في هذا المبحث ينتقل بنا الدكتور مصلوح، إلى معالجة إحدى الظاهرات اللغوية التي شغلت بال القدامى والمحدثين، هو موضوع الصورة الشعرية الذي تجسده الاستعارة. غير أنّ طريقة تناوله من قبل السابقين كانت تعتمد الذوق والرؤية الذاتية.

لذلك فإن هذه الدراسة تتغيا تعزيز منظومة المقاييس ، التي تتكئ على مؤشرات موضوعية في دراسة لغة النصوص الأدبية. على أساس أنها وسيلة منهجية منضبطة ، يمكنها أن تخرج الدرس الأدبي من العموميات [1]. كما أنها بمثابة مراجعة تسعى لإخراج الاستعارة من دائرة النظرة التقليدية التي احتكرتها البلاغة، باعتبارها موضوعا من موضوعات علم البيان. مع أنها تدخل في كثير من الاختصاصات مثل الفقه والتفسير والمنطق وعلم الكلام والفلسفة. بحيث يمكن لهذه الحقول المعرفية ، أن تقدم إضاءات لجوانب مختلفة، تتجاوز بها التعريف المدرسي والقواعد التعليمية التي ثبّتتها البلاغة، فضلا عن الإفادة من منجزات الدرس اللساني المعاصر ، الذي قدّم أبعادا جديدة وثرية في طرق المعالجة وهي كذلك محاولة لعقلنة التذوق.

ومن أجل تفعيل آلية المعالجة الأسلوبية الإحصائية، في مجال الاستعارة تخيّر الباحث ، ثلاثة نماذج من دواوين كل من الشعراء محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وأبي القاسم الشابي. معللا أسباب هذا الاختيار بكون هؤلاء الشعراء

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية ص 186.

الثلاثة لهم مكانة بارزة ودور في تطور الشعر العربي.

أمّا الهدف من إجراء القياس الإحصائي فهو اختبار المسائل الآتية:

_ كثافة اللغة الاستعارية.

_ تمايز الشعراء في استخدامها تبعا لخصائصها الدلالية والنحوية.

_ توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية.

_ معايير التمييز بين الخصائص.[1]

وقد اعتمد على منجزات جورج لاندون ، في دراسته للاستعارة في لغة الشاعر الإنجليزي ولفريد أوين ، بتبني طريقته في المعالجة وتعريفه للاستعارة باعتبارها " مركبا من عنصرين علاقتهما مثيرة" [2] ثمّ تصنيفها، حيث قسّم المركبات اللفظية الاستعارية من جهة النقل الدلالي، إلى التجسيمية والاستحيائية والتشخيصية. أمّا من ناحية التركيب النحوي فقسّمها إلى المركب الفعلي والمركب المفعولي والمركب الوصفي ثم المركب الإضافي الذي زاده الدكتور مصلوح[3]. وتتمّ آلية الكشف عن الاستعارات _ لدى لاندون _ بتفكيكها إلى سلسلة من الجمل البسيطة، مستثمرا طريقة النحو التوليدي في تعريف الجملة من أجل عمل

---

(1) سعد مصلوح : في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية، ص225.

(2) المختار كريّم : في الأسلوب والإحصاء ،ص 200.

(3) المرجع نفسه، ص نفسها.

هذا التفكيك؛ بحيث قارب الباحث حوالي ألفي بيت من النماذج المذكورة آنفا ، ثمّ صنف المركبات اللفظية، بأنواعها الاستعارية وغير الاستعارية، ثم أنواع المركبات اللفظية الاستعارية التجسيمية والاستحيائية والتشخيصية. والأمر نفسه بالنسبة للمركبات النحوية (العلية والمفعولية والوصفية والإضافية). كل هذا من أجل الوقوف عند مدى تحقق كثافة الاستعمال الاستعاري[1] عكس ما ذهب إليه لاندون الذي كانت غايته " المقارنة وتشخيص التطور في تخير أنواع الاستعارات عبر الزمن، وتبعا لتطور المؤثرات والمشارب إلى جانب تبين خصوصية كل شاعر على حدة"[2].

ويشير المختار كريّم ، إلى أنّ الدكتور مصلوح انطلق من النتائج التي انتهى إليها لاندون، الذي لم يستطع الإجابة عن بعض الأسئلة، بحكم دراسته لشاعر واحد وتدور حول تباين كثافة استعمال أنواع الاستعارات وكثافة مركباتها. وبالتالي طرح التساؤل: هل يعود ذلك إلى الشاعر المدروس أم إلى خصائص الشعر الإنجليزي في فترة الشاعر أم من خصائص الشعر عامة؟[3] وفي ذلك إشارة إلى ضرورة توسيع دائرة الدراسة للإجابة عن الأسئلة المطروحة، وقد لفت الباحث سعيد أكنبي عالمي إلى أنّ الدكتور مصلوح قد تجاوز ذلك وهو ما أشار إليه المختار كريّم في البداية، بتوسيع دائرة بحثه إلى " الكشف عن التطور التأريخي للغة الاستعارة في الشعر العربي، يمثل كل مرحلة من مراحلها أشعار

---

(1) سعد مصلوح: في النص الأدبي، ص 195، 197.

(2) المختار كريّم: الأسلوب والإحصاء، ص 200.

(3) المرجع نفسه، ص 201.

أولئك الأعلام الثلاثة واستظهار الفروق الأسلوبية الفردية لأعيانهم والخصائص الأسلوبية المائزة للاتجاهات والمذاهب الشعرية والميزة بينهما وبين أسلوبية اللغة"[1] . وسجّل المختار كريّم جملة من الملاحظ منها:

_ المصطلح : حيث اختلف المختار كريّم مع الدكتور مصلوح في بعض الاستعمالات، لما رأى في بعضها من قصور عن أداء المفهوم الدقيق للمعنى الذي تحيل عليه. ومن ضمن هذه المصطلحات collocation الذي ترجمه الدكتور مصلوح بـ " المركب اللفظي". أمّا المختار كريّم فاقترح مصطلح " الضميمة" بحجة أنّ "المركب اللفظي " ينصرف إلى المجال النحوي، وهو يشير إلى الأبنية المجردة ، بينما (collocation) مكوّن لغوي مجسد وليس مجرّدا. وحسب رأينا فإنّ مصطلح " الضميمة " غير متداول.

_ كان من الأنسب بالنسبة للعلاقة الوصفية عند لاندون أن تصنّف في العربية إلى علاقة نعتية وعلاقة بدلية وعلاقة حالية أو تمييزية. اعتمادا على الموروث النحوي في كل ما يدخل ضمن إطار الوصف.

_ الاستعارة : حيث يذكر المختار كريّم أنّ الدّكتور مصلوح اكتفى بمفهوم لاندون للاستعارة ، القائم على علاقة الزوجين أو المفارقة الدلالية. فهو يوافق مصلوح في كون الاستعارة اختيار" معجمي مثير للدهشة" ويعارضه في كونها تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي اقترانا دلاليا ينطوي على تعارض _ أو عدم انسجام _

---

[1] سعيد أكنبي عالمي :سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية ص233.

منطقي، ويتولّد عنه بالضرورة مفارقة دلالية (...) وما تحدثه هذه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها" الاختيار المنطقي المتوقع"[1]. ووجه الاعتراض كامن في عبارة "الاختيار المخالف للمنطق "، وفي ظنّه استعمال العبارة " الاختيار المخالف للمألوف" بدلا عن ذلك. ولكننا _بدورنا _ لا نرى عيبا في القول "مخالفة المنطق"، لأنّ التركيب الاستعاري يتضمن فعلا اختيارا غير منطقي، والشواهد على ذلك كثيرة، لأنها تعتمد على علاقات غير منطقية أي مجازية مفارقة للحقيقة، خاصة مع وجود القرائن اللغوية المانعة لذلك.

كما أضاف ملاحظة أخرى ؛ إذ كان من المستحسن الاعتماد على التصنيفات العربية في مجال الاستعارة. بينما اكتفى مصلوح بتلك التي ذكرها لاندون. مع أنّه توجد أنواع من التركيب الاستعاري في الاستعمال اللغوي العربي ، لا تنضوي تحت هذه المسميات.

وعلى الرغم من هذه الملاحظ ، فإنها لا تقدح في المنهج، ولا في إنجاز الدكتور مصلوح الذي تبنّى" المقاييس وطرق التوضيح التي اختارها لاندون واستخدمها بقدرة كبيرة، ولكنّه لم يلتفت إلى وجه من وجوه القيس التي نراها مفيدة، في تمايز الشعراء واعتمدها لاندون نفسه في بحثه، وهو قيس الكثافة المجازية"[1]. والواقع أنّ الدكتور مصلوح تناول كثافة اللغة الاستعارية ، وهي

---

(1) المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء ص 201، 203.

(2) المرجع نفسه، ص 204.

جزء من اللغة المجازية، حيث عالج في مبحثه عينات من دواوين الشعراء الثلاثة. أين خلص إلى أنّ كثافة اللغة الاستعارية مع توزيع الأنواع الدلالية على الأنواع النحوية.

ولا شك أنّ الباب مفتوح أمام الباحثين لمعالجة الموضوع، بالمقياس ذاته أو بمقاييس أخرى. بالإضافة إلى ذلك فقد ختم مبحثه بسؤال مفتوح، أمام الدارسين من أجل بلوغ إجابة يقينية. والسؤال هو : هل للاختلاف بين الشعراء الثلاثة دلالة عامة ترتبط باختلاف نزعاتهم بين إحيائية خالصة وإحيائية مجددة ونزعة رومانسية، أم أنها فروق أسلوبية مميزة لأعيانهم من سائر الشعراء " [2] مؤكدا على ضرورة توسيع دائرة النماذج الشعرية. وهو مشروع موسّع، يتضمن مادة كثيفة ، و يتطلّب جهودا مضاعفة، أو عمل تضطلع به المؤسسات الجامعية أو غيرها، ولكنه سيميط اللثام عن كثير من مظاهر التجديد والتحول في مسار الشعرية العربية عبر تاريخها ، والوقوف عند العوامل الموضوعية التي تحكم ذلك.

---

(1) المختار كريم: الأسلوب والإحصاء ص 204.

(2) سعد مصلوح: في النص الأدبي دراسات أسلوبية إحصائية، ص 223.

خامسا: حاشية أسلوبية على لغة الخطاب النقدي:

في هذا المبحث يرتاد الدكتور مصلوح أفقا جديدا، في الدراسة الأسلوبية الإحصائية، بمعالجة موضوع في لسانيات نقد النقد، أو ما سمّاه بـ "أسلوبيات لغة النقد". وهو حقل لم تفتح مغاليقه بعد ، من خلال هذا النوع من المنهجية في الدراسات النقدية الغربية ،بله في الدراسات النقدية العربية.

وتطرّق فيه إلى إشكالية اللغة الشارحة، التي يستخدمها النقاد. وخصائص الواسطة الاتصالية التي يوظفونها، وما حظها من العلمية ومدى توظيف المصطلح النقدي, بالنظر إلى ما اعترى هذه اللغة من شوائب ، قد تجانب خاصية الصرامة العلمية المتواضع عليها والوظيفة النقدية المنوطة بها ، في هذا المجال عن طريق إعمال "أدوات البحث الأسلوبي اللساني في نماذج متنوعة من الخطاب النقدي العربي"[1] ، وهي ظاهرة قائمة ولا مجال لإنكارها، وإننا نتساءل إن كان سبب وجودها هو قلّة الوعي بالوظيفة المنوطة بالناقد؟ أم عدم التحكم في المناهج؟ أم أنّ هناك أسبابا أخرى؟ مع العلم أن الدكتور مصلح تناول عينات متباينة من حيث الزمن، ومن حيث تبنيها للمناهج النقدية.

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية :آفاق جديدة ص 194.

ومن أجل اختبار هذه اللغة الشارحة، طبّق الدكتور مصلوح أربعة مقاييس على العينات المختارة، من أجل الكشف عن الخصائص الآتية :

1_ خاصية كثافة الاستشهاد عند كل من محمد النويهي وعباس محمود العقاد ويوسف خليف وطه حسين.

2 _ خاصية كثافة المجاز عند العقاد والنويهي وأدونيس وكمال أبو ذيب.

3_ خاصية تنوع المفردات عند طه حسين والنويهي وأدونيس.

4_ خاصية القابلية للتلخيص واكتفى في هذا المقام بالعرض النظري دون التطبيق.

ويشير الباحث إلى أنّ هذه " الورقة لا تحاكم ناقدا متعيّنا، ولا اتجاها متعيّنا، وإنما تنصرف إلى أسلوبية النص النقدي وخصائصه الأسلوبية، لعلها تستطيع بوسائل بسيطة ومباشرة أن تستكشف بعض المؤشرات الكمية الدالة فيها، وهي لا تتحيز في ذلك إلاّ إلى الرؤية اللسانية التي تعتصم بها "[1].

---

(2) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص196.

ففي مجال البحث عن الخاصية الأولى، المتمثلة في العلاقة الكمية بين المضمون والعبارة، من أجل قياس كثافة الاستشهاد، الذي يبرز الجانب التحليلي في النص النقدي اعتمد المعادلة التالية:

$$\text{كثافة الاستشهاد} = \frac{\text{كمّ الشواهد}}{\text{الطول الكلي للنص}}$$

متخذا من السطر وحدة للقياس. مع أنّ السطر ليس وحدة للقياس، بل الكلمة هي وحدة القياس، ولعلّ اعتماد الباحث على السطر يرجع إلى الصعوبة التي تنتج عن اعتماد الكلمة، خاصة قبل ظهور التقنيات الحديثة التي من شأنها مساعدة الباحث على إجراء هذا الإحصاء.

أمّا عن دواعي استعماله لهذا المقياس، فتتلخص في ما لاحظه في الساحة النقدية العربية من كثرة استخدام الشواهد، مما ينأى بها عن موضوع التحليل ، وإن كان ذلك قد استعمل بدرجات متفاوتة بين النقاد " بيد أنّ همّنا الأول هنا هو استظهار وجودها والتماس الطريق إلى قياسها واستيقاظ الأنظار من خلال ذلك، إلى ظاهرة من ظاهرات تباعد بين لغة الخطاب النقدي والصبغة العلمية"[1] .

_ ويعمد في المقياس الثاني، الموسوم بمقياس كثافة اللغة المجازية إلى الكشف عن انتشار ظاهرة اللغة التصويرية figurative language

---

[1] سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص 198.

_التي هي خاصية من خصائص اللغة الأدبية _ في النصوص النقدية ، ويعزو شيوع هذه الظاهرة إلى "ضيق ذرع الناقد بالعبارة العلمية القادرة على حمل المضمون النقدي أو عجزه عن اللّحاق بها والتقاطها "[1] سواء لدى النقاد التقليديين أو لدى النقاد المتألسنين الذين نأوا بدراساتهم عن المقاييس العلمية المضبوطة، التي تتطلبها العملية النقدية. وقد صاغ معادلة كثافة

المجاز على الوجه التالي:

كثافة المجاز = عدد المركبات اللفظية المجازية

مجموع المركبات اللفظية في النص

وقد سلك فيها المسلك الذي اتبعه في المبحث الرابع الذي عالج فيه " التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة".

_ وكذلك الأمر بالنسبة لمقياس تنوع المفردات، فقد سبق وأن تناوله أيضا في المبحث الثاني، مع فارق هام، هو أن الأول تناول خاصية تنوع المفردات لدى المنشئين، بتطبيق مقياس جونسون ، حيث وقف عند ثلاثة مسائل هي: دلالة تنوع المفردات ، وكيفية تصرف الكاتب في ثروته المعجمية، والكشف عن تمايز الأساليب. ، ثم خاصية علاقة تنوع المفردات بصعوبة الأسلوب. أمّا في هذا المبحث فغايته هي الربط بين قضية ارتفاع نسبة التنوع أو انخفاضها وما اقترح

---

[1] سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 199.

له مصطلح " الفضفضة" الذي يقابله في الإنجليزية Redundancy .[1]

بحيث تكون نسبة تنوع المفردات = عدد المفردات المتنوعة

مجموع الكلم

_ القابلية للتلخيص: ويكون ذلك باللجوء إلى ملخصات يقوم بها ذوو الاختصاص. ثم يتخيّر منها الباحث ما استوفى " الشروط حقّها ثمّ يحسب نسبة الطول بين النص وكل تلخيص على حدة ، ثم يحسب متوسط النسب هو المؤشر"[2]. وقد أرجأ الدكتور مصلوح تطبيق هذا المقياس إلى دراسة لاحقة نظرا لتعدّد جهاته وتعقّد محدداته.

وبناء على ما سبق فقد انتهى إلى النتائج الآتية:

_ عمق التحليل يطّرد اطرادا عكسيا مع كثافة الاستشهاد، وعلمية العبارة النقدية تطّرد اطرادا عكسيا مع كثافة المجاز.

_ محدودية المضمون واتساع العبارة يرتبطان ارتباطا وثيقا بزيادة نسبة التنوع في المفردات والعكس.

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص 203.

(2) المختار كريّم: الأسلوب والإحصاء ، ص 218.

_ قياس القابلية للتلخيص يمكن أن يكون مقياسا واعدا في تشخيص العلاقة الكمية بين المضمون والعبارة.

_ يمكن لمقياسي نسبة التنوع في المفردات، والقابلية للتلخيص أن يكونا أداة منضبطة في الأسلوبية الإحصائية، لإعادة فحص بعض المقولات البلاغية.

_ كثافة الاستشهاد وكثافة المجاز، وانحسار دائرة المضمون واتساع العبارة هي من الظاهرات التي تدخل الضيم على لغة النص النقدي، وتنأى به أن يكون علما منضبطا [1] .

وكما دأب المختار كريّم على إبداء ملاحظه ، فقد بيّن من خلال نقاط توضيحية، ما يتفق فيه مع الدكتور مصلوح، تتعلّق في مجملها بمضمون البحث، الذي يعدّ في نظره " أنموذجا من الفصاحة النقدية وأقرب مكاسبه تحويله ، بأدوات بسيطة للغاية العديد من انطباعات قراء الكتابات النقدية إلى حقائق ملموسة وخاصة في المقياسين الأولين"[2] أي كثافة الاستشهاد ومجازية اللغة. أمّا ما يعترض عليه فهو المقياس الثالث الذي يراه غير مناسب ، والمتعلق بالنسبة المطلقة لتنوع المفردات، والتي يدلّ انخفاضها على زيادة فرص التكرار الذي يفضي _ بدوره _ إلى اتساع العبارة على حساب المضمون.

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص 212.

(2) المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء، ص 218.

وهنا يسجل المختار كريّم تردّد الدكتور مصلوح، أمام هذا المقياس مع تفضيل تركه، لا تعزيزه بمقياس "القابلية للتلخيص" . مع اعتراضه على حساب العناصر النحوية _ كما أوضح ذلك في مقياس تنوع المفردات في المبحث الثاني الذي درس فيه عيّنات من أسلوب طه حسين والعقاد والرافعي.

لذلك يخلص المختار كريّم في تقييم موضوعي للبحث ، أوجزه في أنّه " ثمرة نضج واكتمال وسائل بسيطة، في متناول كلّ مشتغل باللغة ونتائج صلبة، ويكفي فيه أن تنخرط في قراءة البحث لتقتنع بجدوى الطريقة وصدق النتائج. ونعتقد أنّ هذه القوة الإقناعية تزداد متانة بالتخلي عن مقياس التنوع اللفظي والاستناد إلى مبدإ التلخيصية"[1] الذي لم يختبر بعد. ويمكن للباحثين والنقاد إثراء هذا المقياس وتطبيقه على نصوص متنوعة لاختبار جدواه وفاعليته.

---

(1) المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء ، ص219.

سادسا: مؤشرات لغوية إحصائية في عناوين الصحافة العربية المعاصرة:

يدخل هذا المبحث في مجال المقاربة اللسانية الإحصائية لاستكشاف أبرز ما تشتمل عليه عناوين بعض الصحف العربية(في أقطار مختلفة). وقد حدّد الباحث لذلك غايات ثلاث هي:

1/ ما تشتمل عليه عناوين هذه الصحف من ظواهر.

2/ معالجة هذه الظواهرإحصائيا لتحديد نسب شيوعها في العيّنة المختارة للدراسة.

3/ استظهار دلالات هذه النسب وما تفضي إليه من نتائج تكون أساسا لاختبار فروض علمية تسهم في تطوير العمل على هذا المشروع الطموح.

ونشير هنا إلى أنّ بوادر هذا المشروع بدأت عند اختبار الباحث لمعادلة بويزمان وحساب قيمة (ن ف ص) في جملة من الأساليب النثرية، وإشارته إلى أهمية المادة التي توفرها الصحافة المعاصرة لمثل هذا الاختبار، حيث يمكنها أن تمدّ الباحث " بمؤشرات هامة في مجال تشخيص الأساليب الصحفية"[1]. ولأن المادة المتاحة أثناء تأليف كتاب " الأسلوب " الذي تضمن هذه الدراسة ، فقد اكتفى الباحث بدراسة عدد من جريدة " الندوة " وآخر من" الشرق الأوسط" السعوديتين(1980) . اعتمادا على فرضية انخفاض قيمة (ن ف ص)

---

(1) سعد مصلوح : الأسلوب ، ص91.

إذا ما قورنت بالصحافة قبل هذه الفترة، بالنظر إلى الميل نحو زيادة استعمال الصفات على الأفعال. وانتهى إلى ملاحظتين هامتين هما:

_ انخفاض قيمة (ن ف ص) في الأسلوب الصحفي مقارنة مع غيره من الأساليب الأدبية.

_ تجانس الأسلوب الصحفي في الصحف السعودية (وربما العربية) من حيث هذه الخاصية[1].

وبالمقابل أرجأ دراسة تطور الأسلوب الصحفي تاريخيا لمناسبة أخرى متاحة، أو لغيره من الباحثين الجادين.

ولعلّ هذه الإشارة الموجزة ستكون بمثابة القاعدة التي انطلق منها لدراسة عناوين الصحف العربية، وقد تخيّر لذلك ثلاثة عناوين هي على التوالي: "الأيام" السودانية و" الأهرام " المصرية و" الفجر الجديد " الليبية ؛ حيث قام الاختبار على اختيار اثني عشر إصدارا (1977) لكل منها أي بمعدل عدد في الشهر الواحد، عن طريق الاختيار العشوائي، مع تحديد تاريخ الخامس عشر(15) من كل شهر أو الإصدارات الأقرب إليه[2].اعتمادا على أحد وجهي الصفحة. مع استبعاد العناوين الإعلانية، وعناوين الأعمدة الثابتة (ما لم يقدم صاحبها عنوانا خاصا بكل حلقة)، وعناوين الأدب الإبداعي.

---

(1) سعد مصلوح : الأسلوب ص92.

(2) سعد مصلوح : في تاريخ العربية: مغامرات بحثية،عالم الكتب،ط1، 2017، ص170.

وقام التصنيف من خلال زاويتين هما :

_ نوع الخطاب.

_ المباني النحوية.

موضحا جملة من الإجراءات المتخذة عند عملية الإحصاء، كتحديد تعريف العنوان الصحفي والسطر والجملة، اعتمادا على الشكل الظاهري الذي أخذه العنوان أي " كل ما يتصدر المادة الصحفية من سطور تكون دليلا لها، ويكون ببنط طباعي مغاير للبنط الذي تظهر به هذه المادة"[1]، مع الإشارة إلى أنّ التطابق بين هذه العناصر الثلاثة ليس أمرا حتميا.وبناء على هذه المعطيات شرع الباحث في توزيع العناوين الصحفية بحسب أنواع الخطاب من خلال جداول تتضمن نوع الخطاب وعدد العناوين ثم احتساب النسبة المئوية في كل جريدة. ليشرع في تحديد أنواع العناوين الصحفية تحليلا لغويا من حيث تصنيف أنواع الجمل في العنوان الصحفي بين الجملة والإسناد من خلال تقسيم الجمل إلى :

1_ جمل تشتمل على علاقة إسناد واحدة.

_ جمل تشتمل على علاقات إسناد متعددة.

مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات الجملة العربية التي تنقسم إلى جملة اسمية وأخرى فعلية، بحيث قسمها إلى أربعة أشكال و يتفرع عن كل شكل أضرب، دعّمها بنماذج وأمثلة؛، إذ يمثّل كل شكل علاقة إسنادية معينة.

---

(1) سعد مصلوح : في تاريخ العربية : مغامرات بحثية، ص172.

_ الشكل الأول : ويمثل الجملة الاسمية ذات الإسناد الواحد.

_ الشكل الثاني: ويشمل الجمل الفعلية ذات الإسناد الواحد.

_ الشكل الثالث: الجملة الاسمية ذات الإسناد المتعدد.

ولسنا ندري لم تخلى عن الشكل الرابع المتعلق بدراسة الجملة الفعلية ذات الإسناد المتعدد، مع أنه أشار إليها عند وضع الفرضيات.

وانطلاقا من هذه التقسيمات شرع في تصنيف العلاقات الإسنادية بناء على تصنيف الإسناد إلى ظاهر وخفي.

وعليه فقد قام بالمعالجة الإحصائية لأنواع الجمل في العنوان الصحفي بدءا بالعنوان الصحفي بين الاسمية والفعلية والحياد . ثمّ نسبة شيوع الإسناد الواحد والإسناد المتعدّد في الجملة الاسمية.وبعدها تحديد نسبة شيوع أنواع المسند في الجملة الاسمية ونسبة شيوع نماذج الجملة الفعلية الواقعة مسندا في الجملة الاسمية. مع معالجة إحصائية لأنواع الإسناد، كل هذا من خلال جداول تحدد النسبة المئوية لكل عيّنة من العيّنات المختارة ، من كل جريدة من الجرائد محل.

ونلاحظ مدى العنت والمكابدة التي عاناها فريق العمل ، خاصة في مرحلة الإحصاء وتحديد العيّنات .

وقد خلص في النهاية إلى جملة من الملاحظ والنتاج نذكر منها:

_ تقدّم الخطاب السياسي والرياضي والاقتصادي على جميع أنواع الخطاب الأخرى. ويكشف هذا المؤشر على السمة الغالبة على المادة الصحفية كما ذهب إلى ذلك الباحث.

_ لنسبة شيوع المباني النحوية دلالة على أمرين:

أ/ الكشف عن خصائص العربية المعاصرة من خلال لغة الصحافة المكتوبة.

ب/ الاسترشاد بما يتوافر من معلومات حول نسبة الشيوع في تعليم العربية وتعلمها وبوجه خاص لغير الناطقين بها[1].

_ تشكل الجمل الاسمية أكبر نسبة شيوع في العناوين الصحفية.

_ الاتجاه إلى الإسناد المتعدد أقوى من الاتجاه إلى الإسناد الواحد.

ويمكن تفسير هذا الأمر بتأثر الأساليب العربية وجملها بالأساليب الأجنبية نتيجة الترجمة والاحتكاك، مع مراعاة طبيعة اللغة الصحفية التي تتوجه إلى طبقات اجتماعية كثيرة ومتباينة الثقافة.

_ عدم كفاءة التقسيم المعروف للجملة بين الاسمية والفعلية لأنّ الاختبار أورد نوعا محايدا.

_ التجانس بين الصحف الثلاث في نوع الخطاب وفي المباني النحوية.

وعلى الرغم من هذه النتائج المحققة مبدئيا فإن العلامة سعد مصلوح لا يقدّم حكما قاطعا، بل ينظر إلى ما توصل إليه على أنه مجرد فروض تنتظر الاختبار سواء بنفييها أو إثباتها أو تعديلها، بتطبيقها على "عيّنات جيدة التمثيل من المادة الصحفية التفصيلية في الصحف الثلاث، ثم في صحف المناطق الأخرى "[2] .

---

(1) سعد مصلوح : في تاريخ العربية : مغامرات بحثية، ص 206.

(2) سعد مصلوح : في تاريخ العربية : مغامرات بحثية ، ص 209.

لتوسيع العينات ودراسة مجتمعات إحصائية بكاملها، حتى تكون الأحكام موضوعية.

وخلاصة القول، إنّ الدكتور مصلوح أرسى القواعد المنهجية للدراسة الموضوعية للنصوص الأدبية، بإعمال آليات الإحصاء الأسلوبي، محددا الضوابط التي تؤطر هذا المنهج، متكئا على منجزات الدرس اللساني الغربي، وما تفرّع عنه من أسلوبيات. ومنها الأسلوبية الإحصائية على وجه التحديد، في مستواها النظري والمقاييس التي اعتمدت فيه. كاشفا عن وعي حاد أثناء إعمال المنهج على المستوى التطبيقي، مختارا عيّنات من النصوص الأدبية والنقدية العربية الشعرية والنثرية، مكيّفا أدواته لتتماشى وطبيعة اللغة العربية بل ومتخطيا ذلك إلى ابتكارات جديدة من شأنها أن تحلّ بعض الإشكاليات العالقة في النقد العربي، كما أن هذه المساعي تهدف إلى تمهيد الطريق أمام الباحثين لتحقيق هذه الغاية. الأمر الذي دفع الدكتور سعيد أكنبي عالمي أحد تلامذة العلاّمة مصلوح، ومن متتبعي نهجه إلى القول : "ما كان سلوك شيخنا هذه السبيل إلا ترويضا لمسائل المعالجة الأسلوبية الإحصائية وإجراءاتها وتسهيلا لصعابها، تحقيقا لاستحواذ شدّاة الباحثين واستدراج عقولهم لتوجّه نحو استثمار منجزات الأسلوبيات الإحصائية في دراسة النصوص"[1]. وبذلك فالمجال مفتوح أمام الباحثين، لإجراء مزيد من الاختبارات واختبار كثير من المقاييس ، التي من شأنها إخراج النص النقدي العربي من مآزقه. و هذا ما أكّد عليه هنريش بليث أنّه " كلما كانت المقاييس المعتمدة في

---

(1) سعيد أكنبي عالمي: سعد مصلوح رائد الأسلوبيات الإحصائية في العربية ص 228.

التحليل الإحصائي متنوعة كانت النتائج دقيقة، وكلما كان المتن المحلل واسعا كانت الإحصاءات أكيدة "[1].

ومن هنا نلاحظ أن الإجراء الأسلوبي الإحصائي بمقاييسه المتعددة يتسع لتحقيق عدة غايات . كما أنّ صلاحيته للتطبيق على مختلف أنواع الخطاب من شأنه أن يقدّم حلولا للإشكالات التي يتخبط فيها النقد العربي .

---

(1) هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية ص 95.

الفصل الثالث:

الجغرافية الأسلوبية لدى سعد مصلوح

من المآزق التي يعاني منها النقد العربي بشقيه؛ الحديث والمعاصر اعتماده الكلي على الوافد من النظريات والمناهج الغربية ، دون امتلاك القدرة الكافية على استيعاب هذا المنجز وامتصاصه والتعامل معه وفق الوعي اللازم ، الذي تتطلبه طبيعة الثقافة المستقبلة ومدى قابلية جهازها الاصطلاحي والمفاهيمي والإجرائي لاستقبال مثل هذا الوافد الذي أنتجه سياق ثقافي وتاريخي منسجم مع ذاته، متباين مع الآخر.

لذلك ألفينا تداخلا كبيرا أوقع النقد العربي في فوضى على مستويات عدة، حتى أصبحت جلّ المساعي استنساخا للمادة النقدية الوافدة ، مع كثير من القصور في المعالجة المنهجية أو الاصطلاحية أو حتى المفهومية؛ حيث تكاتفت جملة من الأسباب لتصنع هذا الواقع النقدي. فضلا عن عجز آلية نقد النقد عن التصدي لشتى المنجزات، وقيامها بالدور المنوط بها على مستوى المراجعة والنقد.

وعلى الرغم من هذا الواقع ، الذي يعيه المختصون من النقاد واللسانيين والمهتمين على حدّ سواء، خاصة في ظل التراكم الهائل،فإنّ الاستثناءات تظلّ قائمة، لا تصنعها سوى الفوارق الفردية والقدرات الذاتية ، التي تكشف عن كيفية تشرب الثقافة الغربية وآليات توطينها داخل النسيج الثقافي العربي بوساطة الحوار المثمر معها، والذي يؤدي إلى التجديد والإبداع.

و ضمن هذا السياق يندرج المشروع التأسيسي الرائد في مجال النقد اللساني للعلامة سعد مصلوح وهو ما اصطلح عليه " الجغرافية الأسلوبية" بوصفها فرعا من فروع الأسلوبية لم توجد بعد.

وقبل الخوض في دراسة المشروع المعروض أمامنا ، ارتأينا تسجيل ملحظين هما:

_ إنّ هذا الفرع الأسلوبي جديد لم تكتب له شهادة الميلاد بعد.

_ أنّه تشقيق لعلم من علم بناء على منجزات الجغرافية اللغوية.

فأمّا الملحظ الأول فنستشفه من لدن صاحبه ،وهو يخوض هذه التجربة الرائدة إذ يقول في هذا المقام: " إذا جاز للباحث أن يحدد هيئة بعينها وتاريخا بعينه لميلاد الجغرافية اللغوية بماهي علم يختص استراتيجية ومناهج وإجراءات لا يشركه فيها غيره _ فإنّ القطع في أمر الجغرافية الأسلوبية هو ضرب من المحال، بل لدينا من الأدلة اليقينية، ما يؤكّد أنّه مجال معرفي لم تحرر له شهادة ميلاد بين العلوم اللسانية، والذي يمكن أن يقال في حق المكتبة الغربية هو أنّ ثمة تفاريق وأشتاتا من الملاحظ تشعّثت في أكثر من موطن. ربما يكون لها إذا أعيد جمعها وتنظيمها وتنميتها دور في تحديد قسمات هذا العلم. أمّا مكتبة اللسانيات العربية ، فإنّ حظّها من الدرس الجغرافي اللغوي جدّ قليل، ومن الدرس الجغرافي الأسلوبي في حكم العدم"[1] .

وتأسيسا على ماورد يمكن استنباط جملة من الملاحظ هي:

_ كل تأسيس لعلم أو فرع علمي يحتاج إلى استراتيجية ومناهج وإجراءات تميزه عن غيره.

---

(1) سعد عبد العزيز مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ، ص 173.

_ عدم وجود علم مؤسس _ بناء على ما ذكر _ فيما يخص الجغرافية الأسلوبية.

_ التأسيس لهذا النفي مبني على أدلة يقينية من قبل الباحث، دون أن يذكرها أو يخوض فيها، سواء لعدم ملاءمة المقام أو لغيره.

_ هذا العلم هو بالضرورة فرع من فروع اللسانيات (وهو المنهج العلمي الذي يؤمن به الباحث إيمانا راسخا).

_ وجود أشتات متفرقة له في المكتبة اللسانية الغربية، يمكن أن تنتظم وتُرتَّب لتحدد ملامح هذا العلم.

_ قلة حظ المكتبة اللسانية العربية من دراسات تعنى بالجغرافية اللغوية بله الجغرافية الأسلوبية.

لهذا يمكننا القول _ بشيء من الحذر _ إنّ هذا الفرع العلمي أو على الأقل خارطة طريق هذا العلم ومصطلحه وآفاقه انتظمت على يد العلامة سعد مصلوح، في بحث له نشر في مجلة " عالم الفكر " الكويتية في المجلد رقم (22) المتضمن العددين الثالث والرابع (3، 4) تحت عنوان " من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية " ثمّ أعيد نشره في كتاب " البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة " في طبعته الأولى سنة 2006. حيث قدّم الدكتور مصلوح مشروعه المبتكر في بضع وأربعين صفحة، بناء على تصور منهجي نظري مؤسس ، يقوم على تصورات نظرية وإجرائية ترتكز على محددات بعينها أساسها الوعي ووضوح الرؤية.وهو بذلك يتفرّد بهذا الإنجاز لا على مستوى النقد العربي فحسب، بل على مستوى خارطة النقد العالمي. الأمر الذي دفع الدكتور وغليسي _ من باب الاعتراف بالتميّز والفرادة

_ إلى وصف هذا المنجز بأنّه على " قد كبير من الإبداع المعرفي والعبقرية الفردية الخلاّقة" [1] .

أمّا الملحظ الثاني، فهو أنّ هذا العلم ينبني على قاعدة تراثية تتمثّل في تشقيق علم من علم، احتذى فيه صاحبه بمقولة السيوطي في مقدّمة كتابه " المزهر في علوم اللغة" الذي ورد فيه : " هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه، وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقسيم والأنواع" [2] . وقد أشرنا إلى ذلك لنوضح أهمية التراث وموضعته من لدن الباحث _ كما مرّ معنا في الفصول السابقة _ وكذا تناسل وانفتاح العلوم على بعضها .

وإذا كان الميدان الأثير لباحثنا هو الأسلوبية ، وخاصة في فرعها الإحصائي، فإنّه قد استثمر معارفه الواسعة في هذا الميدان ، من أجل التأسيس لهذا المشروع مفيدا من منجزات الدرس الجغرافي اللغوي، الذي قطع أشواطا معتبرة في ميدانه وقدّم خدمات هامة للدّراسات اللسانية (في اللسانيات الغربية) ؛ إذ يقول الباحث " والعلم الحادث الذي نحاول أن نكسب له الشرعية المعرفية في الوجود هو ما نقترح على تسميته الجغرافية "الأسلوبية" وصلا لنسبه بالجغرافية اللغوية"[3]. مع العلم أنّه يميز بين ما هو لساني ينتسب إلى العلم والمنهج، وبين وماهو لغوي

---

(1) يوسف وغليسي : الدكتور سعد مصلوح ناقدا لسانيا، كتاب الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح : سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة ، عالم الكتب، القاهرة ، ط1 ، 2016 ، ص 426.

(2) جلال الدين السيوطي : المزهر في علوم اللغة ، المكتبة العصرية بيروت ، ط1 ، 1987، ص1.

(3) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة ص153.

ينصرف إلى الظاهرة المدروسة في الكلام أو اللغة المعينة [1].

ونرى أنّ الجغرافية الأسلوبية _ مثل كل فرع معرفي _ تكتسب شرعيتها من جملة من القواعد العلمية هي:

_المنظومة المصطلحية.

_ المرجعية العلمية.

_ الإجراء.

_ الغاية.

فأمّا على مستوى المصطلح فقد حدّد الدكتور مصلوح الجهاز المصطلحي للجغرافية الأسلوبية وعيا منه بأهمية التحديد الاصطلاحي في ترسيخ المفاهيم ودقة دلالتها " لتغدو اتفاقا لغويا طارئا بين طائفة من مخصوصة على أمر مخصوص في ميدان خاص"، ويمنحه الاستقلالية الذاتية عن بقية الفروع المعرفية الأخرى. عن طريق هذه المحدّدات الخاصة"[2].

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة ص162.

(2) يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ص22.

وإذا كان الدّكتور مصلوح قد اعتمد الجهاز الاصطلاحي الذي اعتمدته الجغرافية اللغوية، فإنّه استعمل توصيفات خاصة للفصل بين حدود الفرعين، على أساس التفريق بين ما هو لغوي عام وأسلوبي خاص؛ إذ يتعلّق الأول باللغة ، أمّا الثاني فيرتبط بمستوى من مستويات اللغة ، أو مكوّن من مكوّناتها، وهو الأسلوب أو الظاهرة الأسلوبية _ ومثلما أشرنا في الفصول السابقة _ فإنّ مصطلح الأسلوب هو أحد المفاهيم الإشكالية التي واجهت الدرس النقدي، ومن ثمّ تعددت تعريفاته، بناء على تعدّد زوايا النظر إليه ، بوصفه نمطا تعبيريا فرديا عصيا ، مخترقا للقواعد، أساسه الانزياح عن المعيار.

أمّا عن كون هذا الفرع تشقيقا عن فرع سابق له، فهذا لا يعيبه؛ إذ أثبتت التجربة البشرية وتاريخ العلوم الثقافات والحضارات أنّ كل تجديد هو حوصلة لتراكم معرفي، في حقل من الحقول أو في جميع الحقول. وليس من مواطن القصور اشتقاق علم من علم، فاللسانيات مثلا تمحضت عنها الأسلوبية . والأسلوبية تفرعت إلى أسلوبيات، فما الضير في إضافة فرع أسلوبي جديد يحظى بالتأسيس المنهجي والمنظومة المعرفية المقنعة.

وقد قدّم الدكتور مصلوح _ على مستوى الإجراء _ الركائز التي يقوم عليها مشروعه، مبرزا كيفية تطبيق آلياته، متخذا المنتج الفكري والأدبي والفني العربي ميدانا للدراسة والتمثيل، من أجل أن يبرهن على مدى كفاءة منهجه. وهو وإن لم يقدّم نماذج تطبيقية ، فلأن الأمر بالنسبة للثقافة العربية يأخذ وضعا خاصا وثيق الصلة بواقع الدراسات اللسانية العربية، وعدم جاهزيتها لاختبار مثل هذا المشروع الضخم، لأنّه في الأساس يعتمد على منجزات سابقة تفتقر إليها المكتبة اللسانية العربية، أقلها الأطلس اللساني والمعجم التاريخي.

لذلك فإنّ الغاية من هذا المشروع ، هي إنجاز الأطلس اللساني ومن فروعه الأطلس الأسلوبي الذي يعدّ التجسيد الحقيقي للمشروع، فضلا عن البرهنة على وجود دور واعد للجغرافية الأسلوبية في تشخيص الأساليب [1] وفي مجالات أخرى سنعود إليها لاحقا.

وإذا كانت الجغرافية الأسلوبية هي العلم الموازي للجغرافية اللغوية _ كما ذهب الدكتور وغليسي _ والقائم على أكتافها، فإننا سنتغيا تتبّع جملة من المسائل ، هي بمثابة خارطة طريق، نستدل بها ، ونستقصي من خلالها هذا التوازي، كما حدّدها الباحث، تتعلّق بـ:

1_ المفهوم .

2_ الركائز .

3_ الغاية .

4_ الآفاق.

أولا : في المفهوم والموضوع:

ظهرت الجغرافية اللغوية بعد تطور دراسات النحو المقارن ، الذي أفضى إلى ظهور علم اللهجات، حيث أولت أبحاث نهاية القرن 19 _بوجه خاص _ اهتمامها إلى الدراسة الجغرافية تطبيقا وتعميقا لملاحظات شوخاردت حول

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص 188.

الميزة المتنافرة للغة الإنسانية. أمّا جان بيير روسلو فقد برهن بطريقة علمية، بأنّ أعضاء مجموعة متكلّمة واحدة تملك تلفّظات مختلفة، ومن جيل إلى آخر . وهذه الفوارق النطقية يمكن أن تبدو حتى بين الأعضاء لعائلة تابعة لعدة أجيال[1] . بالإضافة إلى جهود النحاة الجدد الذين أكدوا على ضرورة الدراسة اللهجية. أما دوسوسير فقد أفرد الفصل الرابع من كتابه الشهير "محاضرات في اللسانيات العامة " للجغرافية اللغوية محددا مجالاتها ، متناولا تنوع اللغات وتعدد التنوع الجغرافي، وتعايش اللغات في بقعة معينة واللغات الأدبية واللهجات المحلية، وأسباب التنوع الجغرافي ودور عامل الزمن في حدوث هذه التغيرات"[2].

لذلك فقد عرّفها القاموس الموسوعي لعلوم اللغة بالقول " نستطيع إطلاق تسمية الجغرافية اللغوية على دراسة جميع التنوعات المرتبطة بالتجذر الاجتماعي والمكاني لمستعملي اللغة"[3] . ومن ثمّ فقد اتجهت الجغرافية اللغوية لدراسة أثر التغير البيئي على الاستعمال اللغوي"[4] بالإضافة إلى أثر العوامل المختلفة الزمانية والمكانية والاجتماعية والثقافية التي أدّت إلى حدوث هذا التنوع داخل الجماعة اللغوية الواحدة . و ينتج عن ذلك أضرب من تنوعات الكلام تتراوح بين التنوع اللهجي dialect سواء أكان اجتماعيا أو محلـيا

---

(1) عبد الجليل مرتاض: التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة ، الجزائر، ط1 ، 2009، ص 133.

(2) Ferdinand de saussure : cours de linguistique générale; edition Bally et Sechehaye; 1971, djvu 3; p265 ,278 .

(3) OswaldDucrot,TzvetanTodorov :nouveaudictionnaire encyclopédique des science du langage.le Seuil, 1979. France; p79

(4) يوسف وغليسي : سعد مصلوح ناقدا لسانيا، الكتاب الجماعي سيرة ومسيرة ص 426.

أو إقليميا أو فرديا، والتنوع المطلق واللسان المتعيّن [1] .

وقد ذهب الدّكتور مصلوح بعد أن قدم لمحة عن الجغرافية اللغوية في نشأتها وموضوعها ، إلى أنّ دراسة اللغة ، تمت من خلال نظرتين متباينتين؛ هما التجانس والاختلاف ؛ تفترض الأولى منهما أنّ اللغة قائمة على التجانس والوحدة وهو ما عنيت به اللسانيات التقريرية، وقد تجسّد ذلك لدى دوسوسير وتشومسكي ومن لفّ لفّهما ،منصرفة إلى العام والمشترك، ملتفتة إلى جوانب الخلاف الألسني على مستوى اللغات العالمية الفصحى وبالمقابل انشغلت اللسانيات الاحتمالية بقضية الاختلاف الموجود داخل اللغة الواحدة ، فركزت اهتمامها على " قضية التنوع في السلوك اللغوي بوصفه جوهرا ثابتا" [2] الأمر الذي اضطلعت به جملة من العلوم اللسانية، وعلى رأسها الأسلوبية و مشاغلها _ بناء على الثنائيات التي حدّدها دوسوسير ومن جاء بعده _ وعنصر الكلام باعتباره الظاهرة المجسّدة للغة "[3] حيث تتجلى فيه مختلف التنوعات اللغوية، وقد فصلنا في هذه القضية في الفصل الثاني معتمدين على آراء كاتي وايلز.

وتأسيسا على ذلك انتقل الدّكتور مصلوح _ ومن منطلق أنّ الأسلوب هو أحد تجليات الكلام _ إلى الحديث عن الجغرافية الأسلوبية باعتبار أنّه (الأسلوب) يجسد مختلف التنوعات الأسلوبية ، التي تعكس اختيارات المنشئين، والتشكيلات الأسلوبية التي يصوغون من خلالها توليفاتهم أو بصماتهم الأسلوبية.

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : آفاق جديدة ص 156.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

(3) عبد السلام المسدّي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ، ليبيا ، ط6 2014، ص35.

والتي أطلق عليها الدكتور مصلوح " الأسلوب الحساس للمقام" الذي ينتج عن حدوث التوازن بين العوامل الذاتية المتعلقة بالمنشئ والعوامل الموضوعية المتصلة بالمقام ، والتي تتّسع لها الفنون الأدبية الأكثر تعقيدا كالرواية والمسرحية.

ومن هنا يمكن القول، بأنّ الجغرافية الأسلوبية التي اقترحها الباحث "تقوم على استقصاء مظاهر التنوع الأسلوبي ودراستها باعتبار الزمان والمكان وباعتبار ضروب القول (القانونية والدينية والعلمية والرسمية...) وباعتبار سوسيولوجية أخرى (الجنس والعمر والمهنة والمركز الاجتماعي...) في الحدود الموضوعاتية التي يقترحها مؤسسها[1]. وهنا نلاحظ أنّ مشروع الجغرافية الأسلوبية في تركيزه على قضية التنوع _ وهي القاسم المشترك بينها وبين الجغرافية اللغوية _ يختلف عن الجغرافية اللغوية في كونها تعنى بقضية الأسلوب ، في علاقته بعاملي الزمان والمكان وضروب القول المختلفة ذات الأساليب المتباينة، التي تحدّدها شروط المقام، كما هو الحال مع الكتابات القانونية والدينية والعلمية ذات الصيغ المحددة، التي يتطلبها السياق. ومع ذلك فلا يمكن إنكار التباينات الأسلوبية بينها، بل داخل النوع ذاته؛ إذ نجد مثلا أنّ الخطابات الدينية ليست نفسها، كما أنّ الخطابات القانونية تختلف باختلاف نوعها بين الأسرية والدستورية أو تلك المتعلقة بقانون المرور وغيرها وهكذا.

---

(1) يوسف وغليسي : سعد مصلوح ناقدا لسانيا ، كتاب سعد مصلوح سيرة ومسيرة ص 426.

أمّا بالنسبة لعلاقة الأسلوب بالجانب الاجتماعي، فيمكن دراسة تنوعاته من خلال عوامل عديدة كالعمر، وقد أشرنا إلى هذا في الفصل الثاني عند دراستنا لكتاب" الأيام" لطه حسين ووجدنا أنّ عامل العمر له أهمية بالغة في تحديد الخواص الأسلوبية، وكذلك عامل الجنس . إذ تبدو التباينات بينها ظاهرة ولكنها بحاجة إلى دراسة تطبيقية تبرز مختلف أوجه التمايز.

ومن هنا نجد الباحث يعمد إلى تحديد مظاهر التنوع الأسلوبي من خلال درجتين:

1/ تشكيل أسلوبي من الدرجة الأولى : تعنى به الدراسة الأسلوبية التي تجسدها الأطالس الأسلوبية.

2/ تشكيل أسلوبي من الدرجة الثانية : وهو الذي يتجلى في الأعمال الأدبية.

لهذا يمكن القول بأنّ موضوع الجغرافية الأسلوبية، يختلف عنه في الجغرافية اللغوية، بحيث إنّ هذه الأخيرة تعنى بالتنوع اللغوي داخل اللغة الواحدة، فأمّا الأولى فتعنى بالتنوع الأسلوبي في مختلف أنواع أجناس القول في علاقتها بعاملي الزمان والمكان، مع مراعاة الاعتبارات الاجتماعية والفوارق التي تحدثها. وقد انتبه إلى ذلك المهتمون بالجغرافية اللغوية والتفتوا إلى اختلاف اللهجة، باختلاف الفئة العمرية أو الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الفئة المدروسة و" ظهرت نتائج هذه الدراسات الجغرافية في تقارير نظرية محددة، ظلت أساسية في علم اللهجات الحديث، ومن بين ذلك على سبيل المثال، ما يختص بالتمييز بين المناطق

المركزية والهامشية ، وهو ذو أهمية حاسمة لتصنيف اللهجات "[1] وكذلك الأمر بالنسبة لقضية الطبقات الاجتماعية ، حيث كشف "علماء اللهجات الأمريكيون (...) عن اتجاه بحثي مهم بتركيز اهتمامهم على التنوعات التي يكون ارتباطها بالطبقات الاجتماعية أوثق من ارتباطها بالجغرافيا "[2].

ومن هنا نلاحظ أنّ مشروع الجغرافية الأسلوبية تتبّع _ تقريبا _ المراحل ذاتها التي اعتمدتها الجغرافية اللغوية مع فارق على مستوى

المعالجة . وهذا ما سنلاحظه من خلال موضوعات الدراسة إذ تعنى الجغرافية اللغوية باستقصاء :

_ مظاهر التنوع اللغوي بالاعتبار المكاني وتوزيعها على خريطة الميدان المدروس.

_ مظاهر التنوع اللغوي بالاعتبار الاجتماعي وتوزيعها جغرافيا.

_ دراسة التوزيع الجغرافي للغات ، وما ينجم عن علاقات التماس والتداخل بينهما في المكان.

_ تقديم المادة اللغوية المطلوبة للدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة.[3]

---

(1) ميلكا إفتش : اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة ط1 ، 2000 ص 155.

(2) المرجع نفسه ص126.

(3) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص173.

وقياسا على ذلك، قدّم الباحث الموضوعات التي من المفترض أن تعنى بها الجغرافية الأسلوبية وهي استقصاء:

_ مظاهر التنوع الأسلوبي باعتبار المكان وباعتبار ضروب القول.

_ مظاهر التنوع الأسلوبي باعتبار المكان وبالاعتبار الاجتماعي.

_ دراسة تنوع مظاهر التشكيل باعتبار المكان.

_ الدراسة الأسلوبية التقابلية بين اللغات.

_ دراسة التنوع الأسلوبي باعتباري المكان والزمان.

_ صياغة نموذج جغرافي للتحليل الأسلوبي.

ولعلّ أول ملحظ يواجهنا في هذا المقام هو هذا التشابه في الموضوعات بين الحغرافية اللغوية ونظيرتها الأسلوبية، أو بالأحرى أنّ الجغرافية الأسلوبية استعارت موضوعاتها من الجغرافية اللغوية ، ومن ثمّ نطرح التساؤل التالي: ما هي الحدود الفاصلة إذن بين الدراستين؟ أي الجغرافية اللغوية والجغرافية الأسلوبية؟

وسنرجئ الإجابة عن هذا التساؤل إلى غاية التعرف على المرتكزات التي تقوم عليها الجغرافية الأسلوبية.

2 / الركائـــز:

تقوم الجغرافية اللغوية على جملة من الركائز، اتفقت عليها مجمل الدراسات المهتمة بهذا المجال، و هي :

_ جمع المادة اللغوية.

_ الأطلس اللساني.

_ الخرائط اللسانية.

_ الكيانات اللغوية.

1. 2 / **جمع المادة :**

وكما هو معلوم فقد استغرق جمع المادة جهودا وسنوات، تجلت نتائجه على مستوى الأطالس اللسانية التي ظهرت إلى الوجود ، مستقصية _على الخصوص _ الجانبين الصوتي والمعجمي باعتبارهما العاملين اللذين يبرز من خلالهما الاختلاف بين اللهجات فيما بينها، وفي علاقتها بالفصحى.

وقد قدّم الدكتور مصلوح لمحة وافية، عن نشأة الجغرافية اللغوية والدواعي التي أدّت إلى ذلك ، مستعرضا أهم الركائز التي يقوم عليها هذا النوع من الدراسة مستقصيا أهم التجارب الغربية في هذا المجال، مفرقا بين أنواع من الأطالس منها الأطلس اللساني ، الذي يدور موضوعه حول توزيع الظواهر اللسانية توزيعا جغرافيا مقابل الأطلس التاريخي والأطلس الاقتصادي وغيرها ، ثم أطلس اللغات الذي يتضمن توزيع اللغات والفصائل اللغوية جغرافيا على منطقة أو أكثر من خريطة العالم . أمّا أطلس اللهجات فيتعلق بتوزيع الظواهر اللهجية للغة معينة في منطقة معينة[1] بدءا بالجهود التي بذلها فنكر صاحب الأطلس الألماني ثم جهود جييرون في إنشاء الأطلس الفرنسي، وجهود يود ويابرج في الأطلس الإيطالي

---

(1) سعد مصلوح : في تاريخ العربية: مغامرات بحثية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2017، ص 143.

وكيوارث بالنسبة للأطلس الأمريكي. مع العلم أنّ الأطالس المتأخرة قد أفادت من سابقاتها ،وعملت على تعديل وتطوير آليات أدائها ، سواء أتعلق الأمر بجمع المادة اللغوية وتصنيفها ، أو بنوعية الرواة أو بإضافة بعض التقنيات الجديدة كالاستعانة بالإحصاء مثلا ، فضلا عن إفادة الأطالس المتأخرة كما هو الحال بالنسبة للأطلس الأمريكي من منجزات العلوم وخاصة الاجتماعية منها. ومع ذلك فلم تسلم من النقد . ويتفق الدّكتور مصلوح مع أعلام الجغرافية اللغوية فيلخص مراحل الاستقراء في أطلس اللهجات في :

_ تحديد العينات المطلوبة.

_ إعداد كراسة الاستفتاء اللغوي.

_ العمل الميداني. [1]

وبناء على هذا الاستقراء، تأتي مرحلة في غاية الأهمية، هي مرحلة رسم الخرائط التي تكشف عن الكيانات اللهجية، وتحدد الخطوط التوزيعية بين المناطق المركزية ومناطق التدرج ومناطق المخلفات اللغوية والجزر اللغوية.

وقد دفعنا لتقديم هذه اللمحة اعتماد الركائز ذاتها من قبل الباحث بالنسبة لمشروع الجغرافية الأسلوبية، مع بعض الفوارق التي سنجيب من خلالها عن السؤال الذي طرحناه في السابق؛ إذ أنّ جمع المادة هي خاصية مشتركة بين عديد العلوم، في حين أنّ جمع المادة اللغوية هو خاصية مشتركة بين الجغرافية اللغوية

---

(1)سعد مصلوح : في تاريخ العربية: أوراق بحثية ، ص161

والجغرافية الأسلوبية، إلاّ أنّ هذه الأخيرة تفيد من منجزات سابقتها وتتوسع لتشمل مجالات أخرى، بحيث تتنوع المادة المفترض جمعها لتطول كل إنتاج فكري أو علمي أو فني أو إبداعي منشور في الكتب، بمختلف أنواعها وتخصصاتها ، أو الصحف والدوريات ، فضلا عن مجمل الإنتاج السمعي والسمعي البصري وينبه الباحث إلى عدم التخوف من التوسع في جمع المادة لأنّ الأساس هو إخضاعها للتصنيف تمهيدا لتوزيعها جغرافيا على خريطة الموطن اللغوي والمقال[1] هما نموذج دافيد كريستال وديريك دافي D.Davy ويقوم على مجموعة من المحددات فصّل فيها الباحث وفيما يندرج تحت كل محدد. وهي محددات التفرد ومحددات الخطاب ثمّ محددات المجال.

وأمّا نموذج اينكيفست Enkivist _سبنسر Spincer_ جريجوريGregory فإنّه يتناول سياق النص ، والسياق الخارجي للنص وسياق الموقف والبيئة، مع ما يندرج تحت كل محدد من عناصر جزئية[2].

وليس بالضرورة أن يلتزم الباحث بالنموذجين معا، بل له حرية اختيار أحدهما أو كليهما أو اختيار نمودج آخر، مع إجراء التعديلات الملائمة لأغراضه.

في هذا الشأن لم يوضح الدكتور مصلوح إن كانت المادة التي ستخضع للجمع والتصنيف _ خاصة فيما تعلق بالإنتاج السمعي والسمعي البصري _ هي تلك

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة ص 175.

(2) المصدر نفسه ص 176 ،177 ، 178.

التي كتبت بالفصحى، وفي هذه الحالة سنجد القليل من الإنتاج خاصة في مجال الأفلام والمسلسلات والمسرحيات. أم كل المادة الفنية سواء كتبت بالفصحى أم باستعمال اللهجات العامية. وفي هذه الحالة سيحدث التقاطع بين مجالي الجغرافية اللغوية والجغرافية الأسلوبية.

2. 2/ الأطلس الأسلوبي:

يجسد الأطلس اللساني مرحلة جمع المادة اللغوية وتصنيفها، وهو مرحلة حاسمة في هذا المجال بل إنه الغاية التي تسعى الجغرافية اللغوية لتحقيقها. وقد اعتمدته كثير من اللغات خاصة في العالم المتقدم ، من أجل دراسة التنوع والتماثل اللغوي وتاريخ اللغات وغيرها، كما تطور البحث في مجال التماس اللغوي خاصة في المجتمعات ثنائية اللغة بالإضافة إلى تحديد خطوط التوزيع التي " تسجل شيوع الظواهر اللسانية التي تكون موضوعا للتنوع داخل إطار الجماعة اللغوية نفسها "[1] . وتندرج تحته ثلاثة أنواع من الأطالس هي أطلس اللهجات وأطلس اللغات والأطلس الأسلوبي " وهو ضرب من الأطالس اللسانية ، كان حقّه أن يوجد فلم يوجد. ولمّا يحظ بما هو حقيق به من العناية "[2]. فإذا كانت الأنواع السابقة قد تجسدت من خلال إجراءات بحثية وتصورات ضبطت قواعدها، فإنّ الأطلس الأسلوبي لم ير النور بعد، وما يقدّم هو مجرد تصور نظري لم يختبر . بناء على ما أنجز في ميدان أطلس اللهجات، لذلك يعرفه الدكتور مصلوح بأنّه " مجموع الخرائط والنماذج الجغرافية التي تسجّل توزيع الظواهر الأسلوبية على خريطة

---

(1) ميلكا إيفتش: اتجاهات البحث اللساني ص126 .

(2) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : آفاق جديدة ص 162.

الميدان اللغوي أو المدونة الأسلوبية المدروسة " [1] . ويتجسد الأطلس الأسلوبي عن طريق رسم الخرائط الأسلوبية، التي تتجلّى فيها الحدود التي تفصل بين مناطق التنوعات الأسلوبية الكثيرة ، وكذلك بالنسبة لخطوط التوزيع التي يمكّن استقراؤها من إبراز الكيانات اللغوية ، بحيث يكون هذا الرسم دالا على " الحدود الفاصلة بين مجموعات النقاط التي تبدي تجانسا لغويا فيما بينها"[2]

وهذا ينطبق على الآليات والإجراءات العملية التي تقوم عليها دراسة التنوعات اللهجية في الجغرافية اللغوية. لذلك فإن خطوط التوزيع بالنسبة للجغرافية الأسلوبية على قدر كبير من التنوع " بحيث يمكن أن تشمل جميع المتغيرات الأسلوبية التي يرى القائم بالعمل أن لها وجودا مؤثرا ومسؤولا عن الهوية الأسلوبية للمادة المدروسة"[3] ، إذ تشمل هذه المتغيرات المستويات الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية وغيرها. وما يهم الباحث في هذا المقام هو أنّ استخدام خطوط التوزيع لا ينحصر " داخل إطار المقاربة الجغرافية للأساليب، كما تبدو في الخرائط الأسلوبية ، وإنما تتجاوز ذلك إلى كونها الوسيلة الأساسية في تشكيل النموذج الجغرافي للتحليل الأسلوبي"[4]، بل ويذهب الدكتور مصلوح أبعد من ذلك، حيث يرى أنّها (خطوط التوزيع) الأساس الذي يقوم عليه التشخيص الأسلوبي الموثوق به ، إن هي استخدمت استخداما صحيحا، لأنها تسجل شيوع

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 178.

(2) المصدر نفسه، ص 164.

(3) المصدر نفسه، ص 179.

(4) المصدر نفسه، ص 181.

الظواهر الأسلوبية، التي تكون موضوعا للتنوع ضمن أساليب اللغة الواحدة قياسا على ما أنجز في حقل الجغرافية اللغوية التي تعنى بمسألة التنوع داخل إطار الجماعة اللغوية الواحدة[1].

وقد حقّقت الجغرافية اللغوية نتائج معتبرة في مجال رسم الحدود الفاصلة بين اللهجات ، اعتمادا على رصد التنوعات اللهجية بواسطة رسم الخرائط وخطوط التوزيع ، بحيث تبيّن الباحثون أنّ:

_ للعوامل التاريخية الاجتماعية أهمية حاسمة في التباين اللغوي.

_ للظروف الجغرافية تأثيرا حيويا على التباين اللغوي.

لذلك حدّدوا أنواعا من الكيانات اللغوية انطلاقا من فكرة التجانس ودرجته بين المناطق اللغوية، وبذلك فقد صنفوها إلى أربع مناطق، هي:

1_ المنطقة المركزية.

2_ المنطقة الانتقالية.

3_ الجزر اللغوية.

4_ منطقة المخلفات اللغوية.

---

(1) ميلكا إفتش: اتجاهات البحث اللساني، ص126.

وارتكازا على هذه المنجزات، وخاصة بالنسبة للدور الذي تقدّمه خطوط التوزيع، يعلّق الباحث آمالا عريضة على ما يمكن أن تحققه في مجال التمايز الأسلوبي" سواء على فرض وحدة المكان ونوع النصوص مع اختلاف المنشئين أو وحدة المكان والمنشئ مع اختلاف نوع النصوص، أو وحدة نوع النصوص مع اختلاف المكان أو اختلاف المنشئين"[1]

وتقودنا هذه الفرضيات، إلى إمكانية تحديد التنوعات الأسلوبية من خلال دراسة نوع أدبي معين ، في مكان واحد مع اختلاف الكتّاب. كأن ندرس مثلا الرواية الجزائرية لدى عدد من كتابها. أو دراسة هذه التنوعات في مكان واحد ولدى كاتب واحد مع فنون متعددة، مثل دراسة المنتج الأدبي لعباس محمود العقاد في مصر ، لأنّه كتب في عدة فنون أدبية.

أمّا الاحتمال الأخير، فيعتمد على دراسة التنوع الأسلوبي بتوحيد نوع النصوص مع اختلاف المكان والكتّاب، ومثاله أن ندرس فن الرواية لدى الحبيب السايح وجمال الغيطاني وعبد الرحمان منيف، لنستطيع الوقوف عند مختلف التنوعات الأسلوبية التي توفرها مجمل النصوص بناء على الفرضيات المذكورة. وكيفية عمل خطوط التوزيع، والتوقعات التي تنتج عنها، سواء بتقاطعها _ وهذا احتمال وارد _ أو بتباينها. إلا أنه علينا أن ننبّه إلى أن الباحث غضّ البصر عن عنصر الزمن باعتباره عاملا من عوامل التغير الأسلوبي، ودوره في تغيّر أنواع من

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص180.

التعبير الأسلوبي، أو حتى بالنسبة للأنواع الأدبية وعلاقة ذلك بظهور واختفاء هذه الأجناس، كما حدث مثلا لفن المقامة، والأغنية الرعوية.

وعلى هذا الأساس " يمكن الكشف عن مناطق تركـز الخصائص الأسلوبية focal areas والمناطق الانتقالية بينها transition areas ومناطق الجزر الأسلوبية islands stylistic"[1]. مع تركيز الدّكتور مصلوح على أهمية النموذج الإحصائي في إنجاز هذه المهمة، مشيرا إلى إمكانية الإفادة مما قدّمه عالم الإحصاء الأسلوبي وينتر winter، من أجل تحديد رسم الحدود الفاصلة بين الأساليب"[2]. وهي الغاية التي تسعى لتحقيقها الجغرافية الأسلوبية لدراسة التنوعات الأسلوبية والاختلافات بين النصوص والكتاب.

من جهة أخرى، تناول الباحث ماسمّاه بـ " النموذج الجغرافي" لتحليل الأساليب الذي يعني " استمدادا للنموذج الخاص بخطوط التوزيع المستخدم في الجغرافية اللغوية واعتماده في تتبع توزيع المتغيرات الأسلوبية بين العينات المدروسة"[3] من أجل " تحديد الكيانات الأسلوبية على أساس من رصد اتجاهات

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 180، 181.

(2) المصدر نفسه ، ص 181، نقلا عن Werner Winter ; styles and dialects in statistic and stylistics.ed .L .Dolezel and R.W.Baily ;NewYork,1969 ,p3.

(3) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 185.

خطوط التوزيع الفاصلة والواصلة بين عينات الأساليب المفحوصة"[1] . وغرض الباحث من ذلك هو تحديد مناطق الجذب التوزيعي لرسم الحدود الأسلوبية.

لذلك ذهب الباحث إلى أنّ النموذج الجغرافي و النموذج الرياضي المعتمد يعملان بشكل متكامل، لأنّ النموذج الجغرافي لا يتناول المتغير الأسلوبي إلا بعد تحوله إلى خاصية أسلوبية مائزة _ كما أوضحنا في الفصل الثاني _ كما أنّ مسعى الجغرافية الأسلوبية هو التعامل " مع مفهوم الكيان الأسلوبي وتهدف إلى تحديده من طريق تتبع حزم المتغيرات الأسلوبية وأنماط تجمعها وتفرّقها"[2] فضلا عن كون عمل النموذج الجغرافي يأتي بعد انتهاء عمل النماذج الرياضية، وبذلك فالمقاربة هنا تتم على المستويين التسجيلي والتحويلي.[3]

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص 185.

(2) المصدر نفسه، ص 186.

(3) المصدر نفسه، ص 187.

_ آفاق الجغرافية الأسلوبية:

يرى الدّكتور مصلوح أنّ الجغرافية الأسلوبية تتوفر على إمكانات هائلة لتحقيق غايات علمية ، بإمكانها فتح آفاق جديدة ليس فقط على مستوى الأسلوبيات، بل خاصة على مستوى الأسلوبيات الاحتمالية التي تعنى بقضية التنوع في الأساليب ولذلك فهي مجال خصب لدراسة:

_ التنوع الأسلوبي بين الألسنة المختلفة في لغات ذات أرومة واحدة أو متباينة الأرومة هو مادة خصبة للأسلوبيات المقارنة والتقابلية.

_ التنوع المكاني والاجتماعي للأساليب.

_ التماس والتداخل الأسلوبيين بين اللغات.

2 .1 _ مكانة الجغرافية الأسلوبية:

2. 1. 1: في النقد العالمي:

يمكن موضعة هذه الدراسة الرائدة للدّكتور سعد مصلوح في سياق فتح آفاق جديدة في الأسلوبيات عامة والأسلوبيات الاحتمالية بصورة خاصة، لذلك يمكن أن ندرج مسعاه هذا ضمن النقد العالمي بناء على ملحظين هما:

_ أنّه اعتمد على ما تفرّق هنا وهناك من دراسات في المكتبة الغربية وعدّها أساسا لإبداعه هذا.

_ أنه شقّق علم الجغرافية الأسلوبية من علم الجغرافية اللغوية، بناء على جهازه الاصطلاحي والمفهومي و طريقته الإجرائية مع تحوير ما يمكن

تحويره، بما يتماشى وطبيعة العلم المستحدث، الذي يعنى بقضية التنوع الأسلوبي عن طريق جمع المادة وإنشاء أطلس أسلوبي له أسسه ومحدداته، وما يتطلبه ذلك من خرائط أسلوبية وخطوط توزيع وكيانات، من أجل إقامة الحدود الفاصلة بين الأساليب، وتحديد الهوية الأسلوبية سواء داخل اللغة الواحدة أو ضمن لغات ذات أرومة واحدة أو مختلفة الأرومة. مما يمكن من توسيع حدود الدراسة، ومعرفة علاقات ونقاط التماس والتداخل والاختلاف بين الأساليب.لافتا إلى أن هناك دراسات غربية بدأت منذ سبعينيات القرن العشرين ، تنضوي تحت ما سمي بـ "البلاغة المقارنة"، ومع ذلك فإنه أبدى ملحظا بخصوص ذلك ، " فقليل منها من وعى الوشيجة بين هذه المسائل والدراسات المقارنة والتقابلية والأسلوبية بين اللغات"[1]. كما يشير إلى نقطة هامة هي أنّ هذا النوع من الدراسة يصلح للتطبيق على النصوص التي حظيت بأكثر من ترجمة في عدة لغات، عن طريق المقارنة بين " السياقات المقالية والسياقات المقامية، في اللغات وعلى النظر في الجهاز الأجرومي (القواعدي) فيها للتمييز بين نوعين من القواعد"[2] تتوفر عليه كل لغة هما قواعد الوجوب وقواعد الجواز، أي بين القواعد الأساسية التي تفضي إلى الخطأ ، وتلك التي تطرح اختيارات متعددة، ومثاله في ذلك الدراسة التي أجراها الباحث نفسه للمقارنة بين اللغات العربية والروسية والإنجليزية تحت ما سماه

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 182.

(2) المصدر نفسه، ص نفسها.

" مقولة الرتبة" في بحثه الموسوم بـ " في البلاغة والتكافؤ النحوي: بين العربية والإنجليزية والروسية " جاعلا من بعض آيات القرآن الكريم موضوعا ومادة للفحص. للإجابة عن السؤال الذي طرحته الدراسة والمتمثّل في : هل ثمة تكافؤ بين أنحاء اللغات الثلاث، في قدرتها على استيعاب المقصد البلاغي من التركيب وتحميله وتوصيله؟[1]. وبذلك يكون قد فتح بابا جديدا، بإمكانه أن يساهم في تطور الأسلوبيات المقارنة والتقابلية.

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص95.

2. 1 .2. في النقد العربي:

يختلف حال النقد العربي عن نظيره الغربي، بالنسبة لتطبيق مشروع الجغرافية الأسلوبية؛ ذلك أنه مرتبط أساسا بمنجزات الجغرافية اللغوية وحظ العربية منه قليل. كما أنّ منطلقاته تقوم أساسا على إعداد جملة من المعاجم والأطالس تفتقر إليها اللسانيات العربية. بالإضافة إلى أنّ المكتبة العربية تفتقر إلى دراسة لهجاتها ومازالت بعيدة عن المبتغى، لأننا مازلنا في أمسّ الحاجة إلى دراسات جادة في هذا الميدان الواعد من ميادين البحث اللساني"[1]، سواء بإنجاز الأطلس اللغوي ثمّ الأسلوبي، وإن كان واقع الدراسات العربية في هذا المجال لا يقدم مؤشرات إيجابية، بالإضافة إلى استحداث أنواع من المعاجم المختلفة كالمعجم اللساني والمعجم التاريخي. وإن كانت هناك محاولات فردية متفاوتة القيمة ، مبثوثة على كامل الوطن العربي.

ويرى الدكتور مصلوح أنّ الدوريات والصحف العربية بمختلف أبوابها تكشف "عن وجوه عميقة من التنوع الأسلوبي لا تزال خارج نطاق البحث"[2] ؛ إذ نلاحظ:

_ عدم اكتراث الباحثين بالمشروع ماعدا إشارات قليلة، لا تفي بحقه؛ إذ لم تقدّم _ في حدود علمنا _ دراسات جادة تسعى للإجابة عن الأسئلة التي طرحها البحث

---

(1) سعد مصلوح : في تاريخ العربية: مغامرات بحثية، ص 166.

(2) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 183.

ومن ثم توسيع المشروع عن طريق إثرائه . سواء لكونها دراسة بكرا ، أو لعدم توفّر المصادر والمراجع، فضلا عن النقائص التي تعانيها الدراسات العربية في مجال الجغرافية اللغوية، مع الحاجة الماسة إلى الأطلس اللغوي والمعجم التاريخي، والتي تعدّ المادة الأساسية التي ترتكز عليها الجغرافية الأسلوبية.

وخلاصة القول فإنّ الدّكتور سعد مصلوح قدّم مشروعا طموحا له أبعاد عالمية، يمكن للباحثين أن يستأنسوا به، من أجل تحقيق نتائج طيبة في مجال الجغرافية الأسلوبية ، التي تعتمد على منجزات الجغرافية اللغوية وتتجاوزها في الوقت ذاته، من خلال جمع المادة الأسلوبية وإنشاء الأطلس الأسلوبي وتحديد خرائط التوزيع ونقاط التماس. وهذا الأمر لن يتوقف عند دراسة تطورات الأساليب فحسب ، بل سيتعدّاه إلى دراسة تاريخ الأساليب سواء في لغة بعينها، أو بين لغات مختلفة، وعلاقة ذلك بالسياقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية، والوقوف عند علامات التّحول الفارقة ، في مرحلة من المراحل. كالانتقال من الكلاسيكية إلى الرومانسية، أو اختفاء الملحمة وظهور الرواية في الأدب الغربي، أو الانتقال من المرحلة الإحيائية إلى مرحلة التجديد في الأدب العربي الحديث. كما يمكّن من رصد العلاقات بين الأساليب وأثر الترجمة في تغيّر طرق التشكيل الأسلوبي، مثل ظاهرة التجديد في الأدب المهجري وأثرها على أساليب اللغة العربية. والظواهر التي تحتاج إلى أقلام الباحثين كثيرة، إذ أنّ الجغرافية الأسلوبية تمثّل حقلا خصبا، ينتظر أقلام الباحثين، حيث يتيح تحقيق إضافات نوعية هامة لا في اللغة العربية وحدها وإنما في لغات العالم الأخرى.

عن طريق المقارنة والوقوف عند علاقات الاختلاف والتشابه، التي ستحقق نتائج هامة لا في تاريخ اللغات وحدها والعلاقات بينها، وتحديد أرومتها، بل أيضا على مستوى الأساليب وتنوّعاتها، وعلى مستوى أصناف القول وطرائقه والتغيرات التي تلحقه والعوامل المختلفة، التي تتحكم في ذلك، والأمر نفسه بالنسبة للأجناس الأدبية وكيفية ظهورها وموتها.

الفصل الرابع:

أجرومية النص لدى سعد مصلوح

1. لسانيات النـص: المفهوم والنشأة :

يقودنا الحديث عن لسانيات النص (وهو المصطلح المتداول في الدراسات النقدية العربية) إلى الإشارة إلى جهازه المصطلحي المتعدد، ليس فقط في الدراسات اللغوية والنقدية العربية؛ فذلك أمر معروف فيها . وقد وقف عند إشكاليته أكثر من باحث. ولكن في الثقافة التي أنتجته ، فتارة يستعمل علم النص وتارة علم اللغة النصي، وعلم لغة النص، فنحو النص ولسانيات الخطاب، بل منهم من يتساءل إن كانت لسانيات النص هي نفسها التداولية. ولعلّ مرجعية ذلك تؤول إلى التداخل المعرفي الذي أفضى إلى ظهور هذا العلم واستقلاله بذاته؛ إذ هو حصيلة للدراسات اللسانية و اللغوية والنقدية والدلالية التي سبقته في تلاقحها مع الفلسفة وعلم الاجتماع والنفس والمنطق والرياضيات وما جاورها من العلوم.

ومهما يكن الأمر، فهذا العلم جاء ليتجاوز اللسانيات التقليدية القائمة على دراسة الجمل ، ويولي عنايته للدراسة النصية من أجل " الوصف والتحليل والدراسة اللغوية للأبنية النصية وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي"[1]. ذلك أنّ اللسانيات الجملية وصلت إلى طريق مسدود، باعتمادها التجزئ والتفتيت الجملي مع إهمال المعنى والدلالة، حيث استطاع هذا العلم " أن يجمع عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيرا إبداعيا" [2].

---

(1) أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ص 31.

(2) سعيد حسن بحيري:علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997، ص ب .

وقد ظهرت لسانيات النص في منتصف ستينيات القرن العشرين. ويعود الفضل في ظهورها للساني الأمريكي Z.Haris زيليغ هاريس، الذي ألّف كتابه "تحليل الخطاب"؛ حيث لا يعدّ أول لساني " اعتبر الخطاب موضوعا " Analysis Discourse شرعيا للدرس اللساني فحسب، بل إنه تجاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمّنها برامجه، بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها" [1] وقد تمت دعوة هاريس إلى تجاوز اللسانيات الجملية من أجل حل مشكلتين:

_ قصر الدراسة على الجمل، وعلاقات الجمل ببعضها.

_ الفصل بين اللغة (Language) والموقف الاجتماعي (Socialsituation).

وبذلك فقد أقام هاريس مشروعه التأسيسي على دعامتين أساسيتين هما:

_ العلاقات التوزيعية بين الجمل.

_ الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.

وقد وجد هذا الباحث أنّ " من المناسب أن يستعمل المعنى بوصفه أقرب الطرق إلى تحليل اللغة على شرط أن يصل التوزيع الشكلي الخالص (Distribution) لعناصر اللغة إلى النتيجة ذاتها(...) مفترضا أنّ معنى عنصر ما هو مجموع الثقوب slots التي تحتلها في الاستعمال"[2].

---

(1) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1998ص 81.

(2) المرجع نفسه، ص 82.

وبذلك فإنّ(هاريس) تجاوز الطرح الذي قال به تشومسكي الذي يؤكد على استقلال المعنى شارعا (تشومسكي) في" إنشاء نظام من القواعد التجريدية التي تنتج كل التوزيعات المقبولة في اللغة بدلا من أن يحلّل توزيعات عناصر اللغة "[1] وهكذا فقد أفاد هاريس من منجزات النحو التوليدي، دفعه إلى إجراء تعديلات على منواله السابق، وذلك " بالتمييز بين النحوية Gramatilité والمقبولية acceptabilité معتبرا الأولى من مجال القدرة والثانية من مجال الإنجاز " [2] .

وكما أسلفنا فإن اللسانيات التقليدية، قد أهملت المعنى والسياق الاجتماعي(دوسوسير، بلومفيلد، تشومسكي) إذ نحت جلّ النظريات اللسانية باستثناء نظرية هيلمسلاف نحو عدم التوسع " في منوالاتها وكان ذلك ناتجا عن انطلاقها من مصادراتها وفرضيات عمل غلب عليها الاعتداد بالجملة باعتبارها وحدة الجهاز الكبرى، والزهد في جانب الاستعمال والمقام لاعتبارهم إياهما من معيقات الكشف عن مغلقات النظام" [3] . لذلك جاءت لسانيات النص لتعنى بدراسة " انبناء النص وكيفية تركيبه وتوليده وتحويله من جملة نووية صغرى إلى خطاب نصي مسهب وممطّط" [4]. وبتعبير آخر، فإنّ لسانيات النص تركز على " معرفة كيف تتوسع البؤرة المحورية دلاليا وتركيبيا وسياقيا لتتحول

---

(1) روبرت دي بوجراند: النص والإجراء والخطاب، ص 82.

(2) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس، ط1، 2001 ، ص 81.

(3) المرجع نفسه ، ص 78.

(4) جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص 3.

إلى فقرات ومقاطع ومتواليات حتى تصبح نصا متسقا ومنسجما" [1] لمعرفة الآليات التي يبنى وفقها أي نص ، بغض النظر عن طبيعته الخطابية، كما أنها تتيح إمكانية التمييز بين النصوص وتنميطها وتجنيسها، اعتمادا على مقاييس لسانية ولغوية ونقدية ، ذلك أنّ النص يتوفر على "ركائز مادية فسيولوجية وعناصر متخالفة قائمة على محور الاختيار، وعلائق قائمة على محور التركيب، ودلالات إشارية، وأخرى إيحائية، إلى غير ذلك من مكونات النص المستندة إلى تداخل الجوانب الرأسية والأفقية، وتعدد الدلالات، وتعقد الشفرات إلى حدّ يسمح معه بتعدد القراءات"[2]. وقد حدّد الباحث محمّد الشاوش جملة من الاعتبارات عزا إليها أسباب الخروج عن نحو الجملة هي:

_ إقصاء المعنى والمقام.

_ تضخم الثنائيات مثل : اللغة / الكلام، القدرة / الأداء، الأشكال اللغوية المجردة/ الصيغ المنجزة، الجمود/الحركة.

أمّا عن أسباب ظهور لسانيات النص فيذكر:

_ ضيق مجال الدراسة اللسانية.

_ أزمة الاتجاهات النقدية.

_ بعض المنطلقات والاختبارات المتعلقة بتعريف النص و الخطاب واللانص.

---

(1) جميل حمداوي : محاضرات في لسانيات النص، ص 3.

(2) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 3.

_ صلة لسانيات النص بعلوم أخرى كالنحو والبلاغة والأسلوبية.

وقد أصبح النص موضوعا لسانيا منذ منتصف القرن العشرين، بعد تطور الدراسات الدلالية والتلفظية والتداولية ، وساهمت هذه النظريات في بلورة هذا الفرع اللساني الهام، فضلا عن منجزات البلاغة الجديدة والأسلوبية . إلا أنّه يتجاوزها إلى آفاق أوسع إذ " يعنى بكل أشكال اللغة في الأساس يتجه إلى المعنى أو ما أطلق عليه" مغزى النص" سواء تحقق في صورة عادية أو صورة منحرفة، ولا يعني ذلك _ بأية حال _ أنّه يهمل الفصل بين المستويات اللغوية "[1].بل على العكس من ذلك حيث " يعنى بالكشف عن كيفيات الانتقال بين المستويات، وما ينتج عن تلك التحولات من تغيرات تركيبية ودلالية وانعكاسها على المتلقي من خلال عملية الإبلاغ" [2].

ومن ثم فإنّ الوصف النصي يختلف عن الوصف البلاغي والأسلوبي من بوساطة خاصيته الجوهرية المتمثلة في الاتساع والشمولية انطلاقا من نماذج نصية، على عكس البلاغة و الأسلوبية اللتين يكون محط اهتمامهما والغاية من دراستهما " البعد الفني وما يحدثه الشكل من أثر جمالي الاعتبار الجوهري" [3] وهذا لا يعني أن ليس بينها نقاط التقاء.

من جهة أخرى حدّد دي بوجراند Debeaugrand جملة من الفروق بين

النص والجملة نذكر منها:

---

(1) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص60.

(2) المرجع نفسه، ص نفسها.

(3) المرجع نفسه ص 67.

_ إنّ النص نظام فعّال Actual system في حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي virtual system.

_ الجملة كيان قواعدي Grammatical خالص ، يتحدد على مستوى النحو فحسب. أمّا النص فحقه أن يعرّف تبعا للمعايير الكاملة للنصية Textuality.

_ إنّ قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النص يمكن أن يتمّ التغلب عليها بواسطة الاهتمام بتحفيزات تعتمد على سياق الموقف Context dependent motivation.

_ التمييز بين ما يطابق القواعد وما لا يطابقها، تمييزا تقابليا ثنائيا.أماّ التمييز بين ما يعدّ نصا مقبولا أو غير مقبول فيتم بحسب درجية معقدة لا بحسب التقابل الثنائي.

_ ينبغي للنص أن يتصل بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف (سياق الموقف context) مع التركيب الداخلي للنص (سياق البنية co– text) [1].

أمّا محمد الشاوش وفي سياق حديثه عن طبيعة العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص ، فراح يتساءل إن كانت هذه العلاقة علاقة تقابل وتواز أم هي علاقة احتواء أم علاقة انتماء إلى ضرب آخر من العلاقات؟ [2] .

---

(1) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 89، 90.

(2) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية:تأسيس نحو النص، ص 15.

وفي إطار سعيه للإجابة عن هذه التساؤلات، حاول أن يجعلها لا تخرج عن سياق الأسئلة المطروحة، وهي:

_ علاقة تقابل وتواز، فيكون نحو النص بمقتضاها نحوا مختلفا عن

الجملة وموازيا له، فتكون له قواعده الخاصة وأصوله المتميزة.

_ علاقة احتواء من نوع أول، بها يكون النص محتويا على نحو الجملة.

_ علاقة احتواء من نوع ثان، بها يكون نحو الجملة محتويا على نحو النص.

_ علاقة انتماء إلى ضرب آخر من المناويل يشملها معا، وعلى الدارس تحديده.[1] الأمر الذي يدفعنا للعودة إلى لسانيات الجملة، التي تعنى بدراسة الجملة بمختلف مكوناتها الصغرى (الفونيم والمورفيم والمقطع والمونيم) وهذا يعني أنّها (الجملة) هي " عبارة لغوية تتركب من حمل لغوي نووي أو موسّع أو مكوّن أو مكوّنات خارجية، ومن ثمّ تنقسم الجملة إلى بسيطة ذات محمول نووي واحد، أو مركبة ذات محمولين فأكثر"[1] . أمّا في إطار النحو التوليدي التحويلي فقد ذهب تشومسكي إلى تقسيم الجملة إلى نوعين عميقة أساسية توجد في البنية العميقة، وسطحية محوّلة ترتبط بالبنية السطحية .

لذلك سعت لسانيات النص إلى تجاوز هذه الدراسة ذات الطبيعة التجزيئية بالانتقال إلى الخطاب أو النص " بمعرفة البنى التي تساعد على انتقاء الملفوظ من

---

(1) محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ص15.
(2) جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص ، ص 11.

الجملة إلى النص أو الخطاب أو الانتقال من الشفوي إلى المكتوب النصي" [1]. وقد فصّل بنفنست (Benveniste) في هذه المسائل من خلال دراسته لمسألة التلفظ، وإن كان يقف عند حدود الجملة، ولم يتعدها إلى الملفوظ الخطابي أو النصي، حيث توقفت مقاربته عند الحدود التلفظية النحوية الدلالية [2]. كما حدّد جان ميشال آدم خمسة أنواع من المقاطع أو المتواليات النصية ، التي يتضمنها خطابا معينا هي المتوالية السردية والوصفية والحجاجية والتفسيرية و الحوارية، ويتكون كل مقطع من ملفوظات تركيبية متسقة ومنسجمة ومتتابعة لها وظيفة دلالية ضمن التنظيم النصي" [3].

لذلك فقد قال فان ديك عن علم النص بأنه "يستهدف ما هو أكثر عمومية وأكثر شمولية، فهو يتعلق _ من جهة _ بكل أشكال النص الممكنة وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها، ويعنى _ من جهة أخرى _ بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية" [4].

أمّا عن نشأته فقد أوضح فان ديك بأنه علم متداخل الاختصاصات؛ ذلك أنّ ظهوره مرتبط أيضا بظواهر ومشكلات تعالج في علوم أخرى ومناهج أخرى

---

(1) جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص 17.

(2) المرجع نفسه ، ص 28.

(3) المرجع نفسه، ص 21.

(4) فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001، ص 14.

للبحث، وبخاصة في علم اللغة العام، وفي علم الأدب وعلم الأسلوب وأخيرا في علم النفس وعلوم الاجتماع، مثلما يكون الشأن في علم الاتصال الجماهيري"[1] .

ومن ثمّ يخلص إلى أنّ " مرد نشوء علم جديد لتحليل عام للنصوص يواكب تطورات حادثة في عدّة فروع علمية، ومن ثم عرض ما نتج من تقدم في اتجاه معين هو دراسة الاستعمال اللغوي والاتصال دراسة متداخلة الاختصاصات" [2]. الأمر الذي جعل حافظ اسماعيلي علوي يعتبر فان ديك " حامل مشعل التأسيس الحقيقي (...) الذي أكمل الملامح الفارقة لهذا العلم من خلال إقامة تصور متكامل حول نحو النص" [3] وتجلى ذلك في كتابه "مظاهر أنحاء النص" 1972، ثم " النص والسياق" سنة 1977 ، وحتى في كتاباته الأخيرة " حيث بدأ ينطلق من تحليل سيكولساني للخطاب والنص رابطا بين الدلالة والتداولية" [4]. لذلك ينطلق جان ميشال آدم من ثلاثة ملاحظ أثناء التحليل النصي هي أنّ :

_ اللسانيات النصية فرع من فروع لسانيات الخطاب، وعرفت كحقل متعدد الاختصاصات (interdeciplinaire).

_ النص هو موضوع التحليل وهو الأثر اللغوي للنشاط الاجتماعي.

---

(1) فان ديك: علم النص ، ص14، 15.

(2) المرجع نفسه، ص 15.

(3) حافظ اسماعيلي علوي: عندما تسافر النظرية، لسانيات النص نموذجا، مدونة محمد حماسة بتاريخ 2016/3/13.

(4) المرجع نفسه.

_ القول بوجود نص يعني معرفة فعل متبوع بتلفظ يشكل كلاّ اتصاليا.[1] هذا وحدّد سعيد بحيري ثلاثة اتجاهات للسانيات النص هي:

1_ تجزئة النص (التجزئة النحوية) عند فاينريش.

2_ نحو النص (أو آجرومية النص) عند فان ديك.

3_ التحليل التوليدي (التحليل النحوي الدلالي) عند بتوفي.[2]

أمّا عن معايير النصية ، فقد حدّدها دي بوجراند في كتابه " النص والخطاب والإجراء" ، حيث خصّها في سبعة معايير لابد من توفرها في أي نص على اعتبار أنّه (النص) حدث تواصلي، فإن افتقد أحد هذه المعايير زالت عن النص صفة النصية وهي : السبك cohesion والحبك coherence والقصد intentionality والقبول acceptability والإعلاميةinformativity والمقامية situationality والتناصية intertextuality.[3]

---

(1) Jean Michel Adam : Analyse textuelle des discours ,niveaux ou ..d'analyse,Filol ,linguistique ,port,n 14 (2) 2012,p191

(2) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص الاتجاهات والمفاهم، ص191، 256.

(3) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 226.

2.أجرومية النص من منظور سعد مصلوح:

قبل ولوج الدرس النصي، لدى الدكتور سعد مصلوح، وما يتمحض عنه من مفاهيم و أطر نظرية وإجراءات تحليلية، يجدر بنا الوقوف عند مسألتين هامتين هما:

1/ مسألة الريادة:

من باب الاعتراف للباحثين المجتهدين بمجهوداتهم وعدم إغماطهم حقوقهم، لا بدّ من التوضيح أنّ الدكتور مصلوح هو أحد رواد اللسانيات النصية في الثقافة العربية المعاصرة، وتظهر هذه الريادة من خلال الأبحاث والدعوات المبكرة التي تضمنتها مؤلفاته، على غرار ماورد في كتابه "الأسلوب" الذي ضمّنه دعوة صريحة إلى أهمية الدراسات النصية، التي استطاعت " أن تطوّر من أدواتها، وأن تولي جانبا من همومها النظرية والتطبيقية لدراسة العمل الأدبي، باعتباره نمطا متميزا من أنماط الاستعمال اللغوي، وأن تنتقل بوسائلها المنهجية من العمل في إطار "نحو الجملة sentence grammer" (...) إلى محاولة ترسيخ نمط جديد من التحليل، اصطلح على تسميته " نحو النص text grammer" وهو النمط الذي يعتبر النص كله وحدة التحليل"[1]. و في هذا التصريح دلالة قاطعة على الدعوة إلى اعتناق منهج التحليل النصي في مجال مقاربة النص الأدبي، وهناك إشارات أخرى مبثوثة في ثنايا الكتاب، تكشف عن القصدية والوعي المبكر

---

(1) سعد مصلوح : الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ص 29.

لدى الباحث بأهمية هذا المنهج الجديد والشامل، مقارنة بما ظهر في الدراسات النصية العربية التي لم تتبلور إلا في أواخر الثمانينيات، ويمكن الاستئناس بإشارة أخرى وردت في الكتاب ذاته إذ يقول " ويتحدّد الشكل النهائي للنص، بهذين النوعين من الاختيار ، أعني الاختيار المقامي والاختيار النحوي"[1] . وهذا دليل آخر على الدعوة المبكرة للباحث بضرورة تبني هذا الدرس الجديد ، من خلال الربط بين البنى النحوية والمقامات التي أنتجتها.

وقد ذكر الدّكتور عبد السلام السيد حامد في الكتاب التذكاري الموسوم بـ" الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح : سيرة ومسيرة " أنّ الإشارة الأولى لنحو النص عند الدّكتور مصلوح كانت سنة 1980 تاريخ صدور كتاب "الأسلوب" ، وهي التفاتة مبكرة سنعود إليها لاحقا.

على مستوى آخر ينبه العلّامة سعد مصلوح ذاته، إلى أنّ أمين الخولي قد تبنىّ الدعوة إلى ضرورة تجديد النحو والبلاغة العربيين وتجاوز مستوى الجملة إلى ما وراءها في الفقرة أو النص، ضمن كتابه " مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب" منذ 1931 ، إذ يقول :" تبدأ البلاغة على آخر نظام لها، بالبحث في المفردات وخصائصها، وهو علم المعاني، ثم البحث في المركبات ودلالتها، وهو علم البيان، ثم تحسين ثانوي هو علم البديع. وفي هذا كله لم يتعد البحث دائرة الجملة رأوها نظرية القضية فالبحث في المعاني إنما هو بحث في طرفي الجملة _ المسند والمسند إليه _

---

(1) سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، ص 39.

وتوابعهما (...) و نجد أبحاث البيان لا تتجاوز دائرة الجملة أيضا إلاّ أن تكون جملا متماسكة في أداء معنى واحد كتشبيه مركّب أو مجاز، وهي جمل في منزلة الجملة الواحدة (...) أمّا وراء بحث الجملة فلا نجد شيئا."[1] ثم جاءت دعوته إلى توسيع البحث " وبسط أفقه، فلا يقتصر على الجملة، كما كان في القديم ، في عمل المدرسة الكلامية الذي لم تأت المدرسة الأدبية بعده بشيء ذي عناء " [2]. أمّا في كتابه فن القول فإنه يقترح أن " نمد البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية ثم إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر، ننظر إليها نظرتنا إلى كلّ متماسك، وهيكل متواصل الأجزاء. نقدر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه" [3]. غير أنّ هذه الدعوة لم تجد صداها إلا في ما كتبه أحمد الشايب في كتابه " الأسلوب" سنة 1939. وتكمن أهمية هذه اللفتة _ لدى سعد مصلوح _ عندما ندرك أنها سبقت ظهور ما شابهها في أدبيات الدرس اللساني الأوروبي .

وبغرض الفصل في قضية الريادة ينطلق الباحث عبد السلام السيد حامد من منطلقين هما :

_ الرّد على محمّد خطابي ، الذي اعتبر أنّ اللمحة الأولى لهذا العلم كانت للدكتور أحمد المتوكل سنة 1980 في أطروحته للدكتوراه حول " نظرية

---

(1) أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط1، 1961، ص165، 166.

(2) المرجع نفسه ص 165.

(3) أمين الخولي: فن القول، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1، 1947، ص186.

المعنى عند اللغويين العرب " اعتمادا على استخدامــه لفظ خطاب في تسمية الحقول المعرفية ، حيث قال خطاب اللغويين وخطاب الأصوليين وخطاب المفسرين" [1]. والحقيقة أن عمل مصلوح تجاوز مرحلة ذكر المصطلح إلى مرحلة التعريف بالعلم وأسسه وإمكانية استثماره، وبذلك فإنّ ما قدمه ينمّ عن الإلمام بهذا العلم ومنهجه وآليات اشتغاله، وفي ذلك دلالة واضحة على أسبقيته.

_ الرّد على حافظ اسماعيلي علوي: من خلال ما اعتمده من سجل تاريخي وتصنيفي لتطور البحث والتأليف والترجمة، في لسانيات النص لدى العرب وأدرج فيه اثنين من الأبحاث الثلاثة للدكتور سعد " حيث سجل على حافظ اسماعيلي ملحظين هما :

الأول : أنّه فاته أن يشير إلى بحث الدكتور مصلوح " المذهب النحوي عند تمّام حسّان من نحو الجملة إلى نحو النص" وكان الأليق به، أن يوضع في المقالات والأبحاث أوّلا ، على أساس أنه نشر في صورة بحث في مجلة ثم يدرج ثانيا في الكتابات النقدية، لأنّ فكرته قائمة على المراجعة والتقويم.

الثاني : أنّه ذكر بحث نحو " أجرومية للنص الشعر" وصنفه في الكتابات التطبيقية وهذا صحيح ومقبول، لكنه بالنسبة لبحث "العربية من نحو الجملة إلى نحو النص" فقد أشار إليه في المقالات، وفاته أن يدرجه في الأقسام التحليلية التصنيفية (...)

---

(1) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور سعد مصلوح، كتاب جماعي : الدكتور سعد مصلوح :سيرة ومسيرة، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، ص 341.

وفي ظني أنّه كان ينبغي أن يوضع في " الكتابات التنظيرية " [1].

ومعلوم أنّ هذه البحوث قد شكّلت حجر الزاوية في مجال الدراسات النصية العربية، كما يذكر عبد السلام السيد حامد ، حيث كان لها تأثير كبير ومثلت مرجعية لكثير من الأبحاث والدراسات اللاحقة، لتميّزها في طرح قضية نحو النص والتطبيق عليها .

أمّا جميل عبد المجيد فيشير إلى فضل أجرومية النص مع لسانيات النص لمحمد خطابي في تعريف القارئ العربي بهذا العلم . ومن هنا نفهم أنّ الدّكتور مصلوح له فضل الرّيادة والتأسيس على المستويين التنظيري والإجرائي فضلا عن المراجعات التي كان يقيمها، والتي تصبّ في باب هذا العلم.

2/ مسألة المصطلح:

من المعروف عن الدّكتور مصلوح أنّه من أولئك الباحثين الذين شغلتهم قضية المصطلح، سواء أكان لغويا أم نقديا، لأنّ بين المصطلح و المنهج علاقة وثيقة في تحديد دلالات العلم أو مفاهيمه. وهو " مفتاح منهجي (...) في القراءة النقدية "[2]. كما أنه في نحته للمصطلحات _عادة ما _ يلجأ للإرث التراثي بهدف التأثيل. لذلك _ وكما أشرنا في بداية هذا المبحث _ وعلى الرغم من تعدد المصطلحات التي تصبّ في مجال لسانيات النص على غرار نحو النص ولسانيات الخطاب

---

(1) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور سعد مصلوح ، ص 343.

(2) يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص57.

وعلم اللغة النصي وعلم نحو النص ، وما إليها من المصطلحات المتداولة في الكتابات العربية المتعلقة بهذا العلم ، الذي يعنى بدراسة النص دراسة كلية، من خلال مستوياته المختلفة غير معزول عن علاقته بالسياق الذي أفرزه. فإن الدّكتور مصلوح قد استعمل مصطلح "أجرومية النص" ، ولعلّ في ذلك إحالة على أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن أجروم (ت 723هـ) صاحب الأجرومية في النحو _ كما ذهب إلى ذلك الدّكتور وغليسي _

ويرى عبد السلام السيد أنّ هناك توافقا بين الدّكتورين سعد مصلوح وسعيد حسن بحيري في اختيار هذا المصطلح؛ إذ وظف الأول في مقاله " نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية " بينما استعمل الثاني في كتابه "علم لغة النص" في فصله الثاني الخاص بفان ديك عنوانه " نحوية النص عند فان ديك أو أجرومية النص" . وهنا يتساءل الباحث حول دلالة هذا التوافق أو التناص العلمي في استخدام مصطلح أجرومية على ما اعتمادا على زعمه انتساب أبحاث الدكتور سعد _ في شقّها الوافد _ إلى اتجاه فان ديك؟ [1].

لكننا بدورنا نحاول الوقوف عند هذه النقطة، بصرف النظر عن انتساب أبحاث الدكّتور سعد إلى اتجاه فان ديك، لأننا سنعود إلى ذلك لاحقا، وإنما لنوضح أنّ مقالة مصلوح صدرت سنة 1991، بينما صدر كتاب سعيد حسن بحيري "علم نحو النص" سنة 1997.

---

(1) عبد السلام السيد : لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، ص 378، 379.

أمّا عن مصطلحي " السبك cohesion " الذي نقل إلى العربية بمصطلحات متعددة منها الاتساق، التضام ، الالتئام، الترابط ، السبك ، الترابط النصي التماسك الشكلي، و"الحبك coherence " الذي ترجم بمقابلات عديدة هي الانسجام التقارن ، الاتساق ،التماسك ، التماسك الدلالي أو المعنوي[1] . فقد استقاهما من التراث البلاغي، حيث استعملهما كل من الجاحظ وأبي هلال العسكري وغيرهما إذ يقول الجاحظ (ت255 هـ) في هذا الشأن : "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا جيدا، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري على الدّهان " [2] . يقول أبو هلال العسكري (ت 395هـ) في الشأن ذاته تعقيبا على أبيات للنمر بن تولب : " فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف" [3].

كما اختار لمصطلح pragmatics ترجمة "المقاميات" مقابل المصطلح المتداول في الدراسات العربية ، والذي اصطنعه طه عبد الرحمان سنة 1970

في كتابه " في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" .

---

(1) حافظ اسماعيلي علوي: عندما تسافر النظرية: لسانيات النص، نموذجا، ص 19.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة، دون ذكر رقم وتاريخ الطبع،ج1، ص67.

(3) أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1985، ص 175.

وأمّا سعد مصلوح فيشير في هامش بحثه " نحو أجرومية للنص الشعري" إلى أنّه استقى هذا المصطلح من نبيل علي في كتابه " اللغة العربية والحاسوب."

بينما يظهر إسهامه في ميدان لسانيات النص، من خلال ثلاثة أبحاث متكاملة هي على التوالي: " العربية من نحو الجملة إلى نحو النص " الذي نشر في الكتاب التذكاري عن الأستاذ عبد السلام هارون، بكلية التربية، جامعة الكويت، سنة 1990 ، ثم أعيد نشره في كتاب " في اللسانيات والنقد: أوراق بينية " طبع سنة 2017. ويتضمن مدخلا نظريا لعلم النص وأهم أسسه ومحدداته. ثمّ بحثه " نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية" الذي نشر بمجلة "فصول" المجلد العاشر سنة 1991 ثمّ أعيد نشره في كتاب" البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة" سنة 2006. ليليه مبحث " المذهب النحوي عند تمّام حسّان : من نحو الجملة إلى نحو النص" حيث نشر بمجلة كلية الآداب، الجامعة القاهرة (المجلد 59، العدد 3) ليعاد نشره في كتاب " في اللسانيات المعاصرة: دراسات ومثاقفات" سنة 2004. وسيلاحظ الدارس أنّ هذه الأبحاث _ على تفرقها _ تشكّل وحدة متكاملة فيما بينها من الناحيتين الموضوعية والزمنية بحكم الترابط الفكري بينها، وتتابعها في تاريخ النشر ، ليؤدي كلّ منهما دورا محدّدا يسلم فيه الأول إلى الثاني، ويفضي فيه الأول والثاني كلاهما إلى الثالث حيث يكتمل العمل وتبدو الأبحاث الثلاثة وكأنها عمل واحد. وسنضيف إليها مبحث " مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية " المنشور بدوره في كتاب " في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية" سنة 2006 .لأنه سعى إلى التأسيس لنظرية نصية من خلال استثمار ماجاء في كتاب " مفتاح العلوم " للسكاكي باعتبار المكون البلاغي أحد عناصر الدّراسة النصية.

وقد تراوحت هذه الأبحاث بين التنظير (العربية من نحو النص إلى نحو الجملة) والإجراء التطبيقي (نحو أجرومية للنص الشعري) ونقد النقد (المذهب النحوي

عند تمّام حسان) ثم المراجعة والتقويم في المبحث الأخير " مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ".

وقبل ولوج المداخل التنظيرية والإجرائية والتقويمية لدى سعد مصلوح لابد من الوقوف عند مسألة الغاية من دراسة نحو النص (لسانيات النص)، حيث أجمل ذلك في قوله " والهدف منها هو إرساء منهج، وذلك بالانتقال بالنحو العربي من طور ظلّ فيه حبيس أسوار الجملة أي الكلام المفيد فائدة يحسن السكوت عليها إلى طور يكون فيه النحو(بالمفهوم الواسع للمصطلح) قادرا بوسائله على محاصرة النص ووصفه، والكشف عن علاقاته، التي تتحقّق بها نصية النص، بما هو حدث تواصلي مركب ذو بنية مكتفية بنفسها، قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل"[1] ،أي البحث في الإمكانيات التي يتيحها النحو العربي التقليدي، من منطلق أنّ الدراسات المعاصرة تطرح بدائل جديدة، هذه البدائل يمكن الإفادة منها بإعادة قراءة التراث النحوي ، وفق الآليات المنهجية التي يتيحها نحو النص للانتقال إلى واقع علمي جديد ، يتمثل في تفعيل أدوات نحو النص ، لأنّه " نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركّبة ، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة (...)وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي

---

(1) سعد مصلوح: سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، عالم الكتب، القاهرة،، ط2010،2، ص 223.

يبدأ من علاقات ما بين الجمل intersentential ثمّ الفقرة paragraph ثمّ النص text أو الخطاب discourse بتمامه " [1]. وهكذا يصبح النحو التقليدي ليس هو الممكن الوحيد، كما أنّ نحو النص بات ضرورة من أجل دراسة النصوص.

وفي هذا المقام طرح الباحث سؤالا جوهريا ، صيغته ما الغاية من الدرس النحوي؟ وأشار إلى أنّ الإجابة ستكون مختلفة بين النحو التقليدي والدرس اللساني النصي أين " وضعت الأنحاء التقليدية الغاية المعيارية، حيث سار هذا العلم على النهج الذي يعرف به الصواب من الخطأ، وتتحقق به السلامة اللغوية [2]. وهو ما نصّ عليه ابن جنّي (ت392 هـ) حين ذكر في تتمة تعريفه للنحو بقوله " فيلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها" [1]. وقد كادت اللسانيات الحديثة نفسها تقع في تناقض منهجي بسبب إلغائها الغاية المعيارية واتجهت نحو" التنظيمية والتعميم واستكشاف الجوهر الثابت في كل ظاهرة من خلال معالجة التفصيلات والمتغيرات" [2]. الأمر الذي أفضى إلى العناية بالوظيفة الاجتماعية للغة، ودورها التواصلي مع التغاضي عن الغاية المعيارية، والسعي من أجل فهم الظاهرة اللغوية التي هي غاية الدرس اللساني. وفي هذا القول دعوة إلى ضرورة الانصراف عن

---

(1) سعد مصلوح : في اللسانيات والنقد : أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 2017، ص 51.
(2) المصدر نفسه، ص 57.

نحو الجملة والالتفاف حول نحو النص، الذي يمثّل اتجاها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث (...) من منطلق أنّ دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة "[3] .

وقد تفطّن علماء اللغة الغربيون إلى القصور المنهجي الذي تأسس عليه نحو الجملة لأنّ " اللغة ليست مجرد نماذج وأنماط للجمل (...) ومن ثمّ فإنّ الفهم الحق لنظريتها لا يمكن أن يتحقق باجتزاء الجمل من السلوك القولي، في شموله وتكامله والتزام حدود الجملة"[4].

وعليه فإن بحثنا هذا في تتبعه للسانيات النص عند سعد مصلوح سيتناول ثلاثة محددات:

_ هي المستوى التنظيري.

_ المكون البلاغي في لسانيات النص.

_ المستوى الإجرائي والآليات التي طبقها على النص المدروس ونتائج ذلك.

---

(1) أبو الفتح عثمان بن جنّي : الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج1، دار الكتب المصرية، ط1، 1952، ص 34.

(2) سعد مصلوح : في اللسانيات والنقد: أوراق بينية، 58.

(3) المصدر نفه ، ص 59.

(4) المصدر نفسه، ص 62.

1/ المستوى التنظيري لدى سعد مصلوح:

من أجل تقديم ماهية وتصور مفهومي لنحو النص ومعرفة الآليات المنهجية التي يتوفر عليها، اتّخذ الدكتور مصلوح طريقة برامجية _كما سماها _ بحيث يعتمد فيها على جهود العلماء الغربيين وما أنتجوه من شبكة مفاهيمية وآليات منهجية لوضع الإطار النظري لهذا العلم ، ثم استحضار تلك الآليات في مجال الدراسات التطبيقية، وقد انتهج لذلك طريقتين اثنتين هما :

_ محاكمته إلى التراث النحوي العربي أي بعرض التراث النحوي على هذا العلم بغاية استنبات هذا العلم الجديد من جهة وتقويم النحو العربي على ضوء منجزاته من جهة أخرى. مع الوقوف عند العوائق التي تقف في وجهه.

_ تطبيقه على قدر صالح من النصوص العربية لتأكيد جدواه وأهميته في الدراسة النصية.

ومن ثمّ فإنّ الباحث ينطلق من ثلاثة تصورات لماهية نحو النص، من أجل تقديم تحديد مفهومي لهذا المصطلح، وهي:

1/ النحو هو أصالة علم تراكيب الجمل syntax .

2/ كل ما يتّصل بقواعد اللغة، بمستوياتها الصوتية والصرفية وتراكيب الجمل والدلالة .

3/ ارتباط مفهوم النحو الشامل بالمقاميات pragmatics.[1].

وفي هذا السياق يرى مصلوح أنّ على الباحث ، أن يعنى بوصف المباني والمعاني، مع تشخيص المقام وربطه بالاستعمال اللغوي، منوّها أنّ هذا الارتباط بين المقال والمقام قد أنتج علم المعاني كما يلمس ذلك لدى سيبويه والجرجاني والسكاكي. وهذا لا يعني أنّ التجارب المذكورة تمثّل شروط ما سماه النحو الكامل الذي " يجسد الحاجة إلى نوع أرقى من النحو هو في جوهره نحو مقامي، ولكنه ذو جهاز تحليلي مركب قادر على أن يصف التركيب اللغوي للنص أو الخطاب" [2].

إن السؤال الذي يطرح في هذا المقام هو كيف يتأتى ذلك؟ أي كيف يمكن صياغة هذا النحو الشامل المرتبط بالمقام والقائم على إجراءات تحليلية تصف التركيب اللغوي للنص؟

وتحقيق هذا المراد _ حسب الباحث _ منوط بتكاتف خمسة شروط تمثلها في محاولة تجاوز ما جاء في النحو التقليدي ونحو الجملة عن طريق استبدال الغاية التشخيصية بالغاية المعيارية، واستبدال المعالجة النظامية بالمعالجة الذرية ثم هرمية العلاقة بين مستويات التحليل اللساني، والتخلي عن ثنائية الشكل والمضمون، وشمول الاعتبارات الأسلوبية والمقامية والثقافية [3] . وهو بهذا قد

---

(1) سعد مصلوح : في اللسانيات والنقد: أوراق بينية، ص65.

(2) المصدر نفسه، ص 66.

(3) المصدر نفسه، ص 68، 69.

أثار عدة قضايا من أهمها " الخصائص المطلوبة لإنجاز إطار نظري لنحو النص، وبيان موقع نحو النص من النظرية اللسانية ومعوقات النحو العربي التي تبعده عن نحو النص" [1] .

فأما بالنسبة للإطار النظري فقد اعتمد على ما توصل إليه العلماء الغربيون، في هذا الشأن على مستوى المفاهيم والطرق التحليلية ، من أمثال دي بوجراند ودرسلر وفان ديك ويول وغيرهم، حيث عرّف نحو النص بأنه " حدث تواصلي(...) مستلهما المعايير السبعة التي جاء بها دي بوجراند والمتمثلة في السبك والحبك والقصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص، مقسما إياها تقسيما ثلاثيا بعد إجرائه عمليتي تعديل وإدماج، بحيث جعل من السبك والحبك أمرين متعلقين بالنص، والقصد والقبول متعلق بالمتلقي ثم الإعلام والمقامية والتناصية تتصل بالسياق.[2]

كما يذكر سعيد حسن بحيري ثلاثة اتجاهات في التحليل النصي، يتمثل أولها في تجزئة النص عند فاينرش بحيث يتأسس منهجه على أساس نحوي يقوم بمعالجة أوجه ترابط النص انطلاقا من وحداته الصغرى. أمّا الثاني فهو اتجاه نحوية النص عند فان ديك ويقوم بدوره على أساس نحوي ، لكنه يضم معايير دلالية ونحوية معا، بالإضافة إلى تداولية النص أو عناصر التفاعل الإبلاغي والاتصالي، وهو

---

(1) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، ص 347.

(2) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص226.

يعنى بتوظيف معايير علمية متداخلة الاختصاصات ، ومن أهم أهدافه الوصول إلى القواعد التي تحدد بنية المعنى أو المعنى الكلي[1] .

بينما ينحو الاتجاه الثالث منحى التحليل التوليدي عند بتوفي " وهو يتعامل مع النص، من خلال رؤية كلية تعنى بالربط بين التحليلين النحوي والدلالي معا، مع ضم عناصر تداولية لكن في إطار نظريته التي أطلق عليها بنية النص _ بنية العالم _" [2]. وبناء على هذا التصنيف فإنّ عبد السلام السيد ارتأى تصنيف الدكتور مصلوح ضمن الاتجاه الثاني بحجة أنّها " أقرب إلى اتجاه فان ديك المعني كثيرا بنحوية النص (بالمعنى العام للنحوية) من خلال عنايته المتكاملة بدراسة تراكيب النص وأبنيته وعناصره الدلالية والتداولية"[3] . وإن كان هذا الأمر _ في رأينا _ لايزال بحاجة إلى مزيد من المراجعة والتمحيص والمقارنة وقد يصلح ميدانا للدراسة . هذا ولم ينس الإشارة إلى إفادته من دي بوجراند، خاصة فيما تعلق بمعايير النصية السبعة، وإن كان قد أجرى عليها تعديلا ، كما رأينا .

ومهما يكن اتجاه أبحاث الدكتور مصلوح، فإنه علينا الاعتراف أنّ دراساته تمت بوعي وقصدية، كما أنّ إسهامه في لسانيات النص مشهود له بتميزه ، على

---

(1) فان ديك: النص والسياق :استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص 233، 234.

(2) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص هـ.

(3) عبد السلام السيد حامد لسانيات النص عند االدكتور مصلوح، ص 387.

الرغم من محدودية مساهماته، حيث لم يكتف بما هو وافد من النظريات والمفاهيم النصية وعرضها وشرحها، بل عكف على التراث أو ما صلح منه وعرضه على لسانيات النص ، محاولا الإفادة منها، عبر حديثه عن مفهوم النحو الشامل" الذي يتجاوز المفهوم التقليدي للنحو، والمتعلق أساس بقواعد اللغة، وإنما يتسع ليشمل علوما أخرى مجاورة كالبلاغة والشعر والأدب وغيرها. ولتحقيق هذه الغاية وضع الباحث معيارين ضابطين لتحديد المسافة الفاصلة بين النحو العربي والنموذج الذي يصبو إليه . تمثّل الأول في أنّ " النحو العربي ليس هو اللغة العربية، وأنّ فرق ما بينهما هو الفرق بين ظاهرة موضوعة للدراسة، وعلم يحاول به العلماء دراسة الظاهرة والكشف عن قوانينها بإعمال مناهج ومقولات علمية معينة" [1]. ولعلّ تنبيه الباحث إلى هذه النقطة، نابع مما يعايشه من تقديس للغة العربية والخوف عليها من منجزات العصر .

بينما يتمثّل ثانيهما في عدم انطلاق اللسانيين من " نقطة الصفر المنهجي لأنّ الانطلاق من الصفر المنهجي في هذا المقام يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز" [1]. وينبه إلى أنّ هذين الضابطين يعملان بشكل متضاد ويتجاذبان بين البحث عن آفاق جديدة والتمسك بالمنطلقات الأولى، ولكن يبدو لنا هذا في الظاهر فقط، حيث على الباحثين أن يعملوا على إيجاد توليفة بين الإرث القديم والوافد الجديد، هذه التوليفة تحاول تكييف المنجزات القديمة ، بحيث تتلاءم مع نظيرتها الحديثة انطلاقا من المنجزات التي حققها العصران.

---

(1) سعد مصلوح: في اللسانيات والنقد، ص 71، 72.

وقد تجسد هذان الضابطان _ حسب الدكتور مصلوح _ في كتاب تمام حسّان "اللغة العربية : معناها ومبناها" الذي وصف كتابه بأنه " أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار بعد سيبويه وعبد القاهر. وأقول أجرأ محاولة لأنّني أعرف أنّها كذلك، ولا أقول أخطر، لأنني لا أعلم ما يترتّب عنها من آثار. ولو أنّ جمهور الدارسين أعطى هذا الكتاب ما يسعى إليه من إثارة الاهتمام، فإنه ينبغي لهذا الكتاب أن يبدأ عهدا جديدا في فهم العربية الفصحى: معناها ومبناها، وأن يساعد على حسن الانتفاع بها لهذا الجيل وما بعده من أجيال " [1]. وأول ملحظ هنا هو اعتراف الدكتور مصلوح بالقيمة العلمية لهذا الكتاب الفارق، وإن لم يحدث التأثير المطلوب على مستوى التلقي، ويعزو ذلك إلى أن الكتاب سلك مسلكا جديدا لم يتعوّد عليه الدارسون، كما أنّه يمثل مظهرا من مظاهر المعاصرة بين أهل الصناعة الواحدة فحجبته الأشباه والنظائر في التأليف في الميدان نفسه [2]. وقد أكّد الباحث على صلته الدائمة بهذا الكتاب، إلا أنه على مستوى الإنتاجية لم يظهر أثره إلا من خلال الاحتفاء بذكرى عبد السلام هارون بجامعة الكويت، حيث كانت مساهمته بمبحث موسوم بـ " العربية من نحو الجملة إلى نحو النص"، وهكذا انعقدت الصلة البحثية بين الدكتور مصلوح وكتاب " اللغة العربية معناها ومبناها " الذي وصفه بالكتاب الفذّ، لما تضمّنه من مراجعات ونظرات وفتح آفاق جديدة أمام الدرس النحوي العربي وتوسيع دائرته؛ إذ هو " جهد بصير يباين في جوهره

---

(1) سعد مصلوح: في اللسانيات والنقد ص 72،73.

(2) سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة؛دراسات ومثاقفات، ص203، 204.

جميع ما سبقه من جهود ، ويجمعه بهده الجهود أنّه لا يزال مثلها واقعا في حيز نحو الجملة، بيد أنّه مؤهل _ لا سيما بنظريته في القرائن النحوية والتعليق _ لأن يكون منطلقا رصينا موفقا لارتياد آفاق جديدة ، يكون فيها النحو قطب الرحى التحليلية في دراسة النص "[1] فعلى الرغم من أنّ الكتاب من نحو الجملة. فإنه يعدّ من المراجعات الهامة التي عرفت في النحو العربي، دون أن ينصرف إلى التقعيد و تحقيق غاية التقويم، كما هو حال كثير من الدراسات التي تناولته من قبل وهو ما خالفه الكتاب محل الدراسة، الذي حاول فيه صاحبه الوقوف عند مواضع القصور في النحو العربي القديم ؛ حيث جاوز فيه " جميع محاولات التهذيب والتيسير وتخلت عنه سمة الجزئية والتفتيت والتشعث، لتستحيل طرازا مباينا لسائر ما سبقه من طرز البحث النحوي " [2] كما كان شائعا من قبل. وهنا تبرز المفارقة بين الكتاب الذي يعدّ منعرجا في مجال الدراسات النحوية الحديثة وتجديدها ؛ حيث " لم يقم مذهبه على المفاضلة المنهجية بينه وبين التراث النحوي بل أقامها على الوعي به، والاصطبار عليه، واستبار أغواره ، معترفا طوال الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدراسات اللغوية في الثقافة العربية، وهما سيبويه وعبد القاهر"[3] .

---

(1) سعد مصلوح : العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، موقع الأستاذ محمد حماسة بتاريخ 2016/9/4 .

(2) سعد مصلوح : في اللسانيات العربية المعاصرة ، ص 207.

(3) المصدر نفسه، ص نفسها.

ومن هنا يمكننا الحديث عن قطيعة على المستوى المنهجي ، باتخاذ آليات جديدة للتحليل والمراجعة، دون قطيعة على المستوى المعرفي بتأسيس الدراسة على المنجز النحوي القديم على ضوء ما توفر من معطيات علمية جديدة على مستوى المناهج.

وعلى خلاف ذلك، يرى أحمد العلوي أنه " ليس من المعقول في شيء أن نقوم بكتابة لغوية تحت مراقبة سلطة لغوية أخرى كما فعل تمام حسّان في كتبه خاصة الأصول واللغة العربية معناها ومبناها" حيث كتبها تحت مراقبة اللغويات الإنجليزية"[1].

وفي سعيه لمقاربة كتاب " اللغة العربية معناها ومبناها" اتخذ الدكتور مصلوح مطالب انتظمت من خلالها هذه المقاربة وهي:

1_ في نقد النحو (نقد تمام حسان لنحو الجملة)

2_ في نحو الجملة.

3 _ في نحو النص.

4 _في مسائل المطابقة.

5 _ في مسائل الخلاف.

---

(1) احمد الملاخ وحافظ اسماعيلي علوي: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، لبنان ومنشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2009، ص 237.

ومن ثمّ فإنّ الدكتور مصلوح يقدم جملة من الملاحظ تخص علم النحو العربي باعتباره نحو تحليل لا نحو تركيب، كما أنّ التحليل هو طريق الوصول إلى التركيب، هذا التركيب بدوره أدى إلى اقتراح الانتقال من نحو المفردات إلى نحو التراكيب، ومن نحو أجزاء الجملة إلى نحو الجملة.[1]. فضلا على أنّه " يستقل بالسمات الأربع للقاعدة النحوية: الاطراد والمعيارية والإطلاق والاقتصار. وبالمقابل يستقل نحو النص بخمس صفات هي: القصد والتناص ورعاية الموقف والإعلامية والقبول. وأمّا ما يشترك فيه النمطان فصفتا التضام والاتساق وموقع أمن اللبس من نحو النص .[2]

في حين يتفق الدكتور مصلوح مع تمام حسّان في :

_ نقد النحو القديم من المنظور النصي.

_ تقويم نحو الجملة كما ورد في كتاب تمام حسّان.

_ نقل الدرس النحوي من ضيق الجملة إلى سعة النص.[1]

وإذا كان النحاة القدماء، وعلى رأسهم ابن جنّي قد تغيوا قضية معرفة الصواب من الخطإ ، وتحقيق السلامة اللغوية وأمن اللحن_ كما ذكر من قبل _ وجعلوها منتهى الدرس النحوي، فإن الأمر يختلف بالنسبة للكتاب المدروس؛ إذ لا ينكر

---

(1) سعد مصلوح : في اللسانيات العربية المعاصرة ، ص 208.
(2) عبد السلام السيد حامد : لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، ص 352.
(3) سعد مصلوح : في اللسانيات العربية المعاصرة، ص221، 226.

الدكتور مصلوح أهمية الغاية المعيارية وخطرها لكنه في الوقت ذاته، يسعى لتجاوز هذه الغاية لأنّ " علم النحو هو العلم الكاشف عن أسرار المباني اللغوية في ارتباطها بالمعاني الذهنية والنفسية، وهو العلم الذي تتجلى فيه عبقرية اللغة وإمكاناتها في العبارة عن ذات العقل وذات النفس "[1]. ومن ثمّ كانت الحاجة ماسة إلى منهج يسع اهتمامات المتكلم والسامع والنحوي ، ولعلّ هذا ما اقترحه سعيد حسن بحيري، بحيث أدرج " اعتبارات مختلفة ، بعضها تداولي مثل الحدث الاتصالي، ومنتج النص، ومتلقي النص، وعمليتي الإنتاج والتلقي، والقوة الوظيفية الإنجازية ومواقف وسياقات ومقامات الاتصال، ومقاصد الاتصال، وغير ذلك وبعضها دلالي مثل مضمون النص والمعنى الشأني أو البؤري، والدلالة الإحالية وتوليد المعنى والبنية العميقة للنص، بالإضافة إلى الاعتبارات النحوية التي نُقلت من نحو الجملة إلى نحو النص"[2] ، ولا ندّعي أنّ مشروع تمام حسّان، يتسع لمثل هذه الدراسات التي تنضوي ضمن اهتمامات لسانيات النص، باعتباره علما متداخل الاختصاصات ولكن علينا القول، بأنّه موضع النحو وضعا جديدا، تجلت من خلاله المعرفة اللغوية الحديثة ، التي أفرزتها دواعي المثاقفة، مع الإلمام بالمعارف التراثية عامة والنحوية على وجه الخصوص، وكان مما طمح إلى تحقيقه أمن اللبس ، الذي عدّه غاية الاستعمال وقوام النظام، حيث يتألف كل جهاز نحوي من بنية تتكون من "مجموعة من " المعاني " تقف بإزائها مجموعـة

---

(1) سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة، ص210 .

(2) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 81.

من "المباني" المعبرة عن هذه المعاني، ثمّ طائفة من العلاقات، التي تربط المعاني بالمباني، على جهة الإيجاب ، وطائفة من الفروق التي تربط ما بينهما على جهة السلب، وذلك لإيجاد المقابلات _ ذات الفائدة _ بين أفراد كل من مجموعة " المعاني" أو مجموعة " المباني" . ومن هنا فالغاية القصوى لدى تمام حسّان لا تتحقق إلا " بإعمال الأجهزة القواعدية التي تحكم بنية النظام اللغوي "[1] حيث تتكون بنية النظام اللغوي من المعاني والمباني التي تربط بينها علاقات هي القادرة على تحقيق أمن اللبس. وبتعبير آخر هي المفضية إلى تحقيق المعنى المراد؛ ذلك أنّ " كل دراسة لغوية ، لا في الفصحى فقط بل في كل لغات العالم لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى"[2]. ولكن السؤال الذي يطرحه الباحث يتعلق بكيفية تشخيص المعنى العرفي، الذي يلابس حدث الكلام بأبعاده المختلفة (المقالية والمقامية والمركّبة)، ومن هنا تبرز الحاجة المنهجية التي دفعت تمام حسّان إلى الحديث عن المعاني الفرعية، وما يناط بها في المجال التحليلي؛ إذ حدّدها بثلاثة أنواع من المعاني ، أحدها المعنى الوظيفي، وهو وظيفة الجزيء التحليلي في النظام أو السياق على حدّ سواء والثاني المعنى المعجمي للكلمة، وكلاهما متعدد ومحتمل

---

(1) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، دون ذكر رقم الطبعة، ص 34.

(2) المرجع نفسه، ص9.

خارج السياق وواحد فقط في السياق. والثالث المعنى الاجتماعي أو معنى المقام وهو أشمل من سابقيه [1]. وبناء على هذا التشقيق أبرز تمام حسّان دور المكون البلاغي في النظرية النحوية العامة ونحو الجملة بصورة خاصة. وقد توقف الدكتور مصلوح عند ملحظين؛ يتعلق الأول بتشكيكه في قيمة البلاغة العربية من ناحية كونها منهجا من مناهج النقد (باستثناء جهود عبد القاهر) ويتعلق ثانيهما بتقرير أنّ البلاغة العربية لم تتناول المعنى الاجتماعي تناولا مقصودا، مع الاعتراف لها بتقديم فكرتي المقال والمقام، التي توصلت إليها الدراسات اللغوية الحديثة. وقد نظر تمام حسّان نظرة هامشية إلى البلاغة، وإن كان يعدّ علم المعاني أكثرها ارتباطا بالنظرية النحوية، يليه علم البيان لارتباطه بالمعجمية، وأمّا علم البديع، فهو أبعد الاثنين عنها (النظرية النحوية) لأنّ " مداره التحسين والتزيين لا على الجوهر العرفي في المعنى[2]. وهي رؤية تتبنى نظرة القدامى من البلاغيين الذين يحصرون البديع في الوظيفة الفنية ، وهي نقطة الخلاف الأساسية بين سعد مصلوح وتمام حسّان " لأنّ الأمر بخلاف ذلك ، عندما ننظر إلى البلاغة بعين نحو النص ومعاييره وفي ضوء الاعتراف بالتعدد والاحتمال" [3] ذلك أنّ مسائل علم المعاني لها دور كبير في " إبراز وحدة البنية اللغوية للنص من خلال وسائل "السبك" التي جماعها الاعتماد النحوي، وأنّ علم المعاني يأخذ وضعا جديدا في مجال نحو النص، بعد أن يتجاوز أسوار نحو الجملة الواحدة " [4].

---

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص28، 29.

(2) سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة، ص 215.

(3) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، 357.

(4) المرجع نفسه، ص نفسها.

من جهة أخرى يقوم علم البيان بدور السبك المعجمي والإمداد بالكلمات المفاتيح " التي من خلالها ترصد حركة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها داخل النص بما يحقق معياري السبك والحبك" [1].

وإذا كان تمام حسّان قد قلّل من شأن البديع، واعتبر أن وظيفته لا تتجاوز التحسين، فإنّ سعد مصلوح يرى أنّ النظرية النحوية لدى تمام حسّان تقوم على عدد من الركائز منها استبعاد المعنى الجمالي (أو الفني) الذي لا يوليه الدرس النحوي أية أهمية، ومنها أنّ غاية التحليل هو التوصل إلى تحديد معنى أوحد ينتفي معه التعدّد والاحتمال ، ويعلل الدكتور مصلوح هذا الموقف بأنه يمكن أن ينطبق على نحو الجملة على تجوز فإنه بالنسبة لنحو النص يحتاج إلى نظر ومراجعة، لاعتبارات متباينة منها أنّ:

_ النص مفهوم شامل لجميع أنماط النصوص.

_ النص الأدبي نمط من أنماط النص مبني على الاحتمال والتعدد في المعنى.

_ المعنى مجال خصب للنظر لأنه أشد ارتباطا بالسلوك اللغوي.

_ لعلم البديع شأن عظيم في نظرية نحو النص .[1]

---

(1) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، ص357.

(2) سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة، ص 221، 241.

ومن هنا نرى أن هذا المفهوم الشامل للنص يتسع ليفيد من السيميائية من خلال القول بتعدد الدلالات وانفتاحها اللانهائي، ومن نظرية القراءة عن طريق الربط بين الأثر والمتلقي ومن علم الدلالة وعلمي النحو والبلاغة ومن مقاصد الاتصال وتوليد المعنى والأسلوبية والتداولية وما إليها، وكما أشار فان ديك متحدثا عن نماذجه وتحليلاته بأنها " ليست أكثر من محاولات متواضعة، تحتاج إلى جهود مستمرة لاستكمالها حتى يمكن الوصول إلى نماذج كلية لا يصلح تطبيقها على نصوص لغة بعينها فحسب، بل عدة لغات أيضا" [1]. ولا ندعي أنّ هذا الطموح في متناول الباحث العربي في مجال نحو النص في الوقت الحالي. ولكن يمكن القول أنّ سعد مصلوح قد مهّد الطريق أمام الباحثين لكي يعيدوا قراءة الإرث النحوي والبلاغي، على ضوء المنجزات الحديثة لصياغة نظرية في نحو النص تتلاءم وطبيعة النصوص العربية على الأقل.

ومن مسائل الخلاف الأخرى بينه وبين تمام حسّان يذكر _ فضلا عن مسألة النص والمعنى التي وضحناها من قبل _ نعت نحو النص بأنه نحو تطبيقي واشتراط اكتمال النص[2]. كما عرض معايير النصية، التي وردت في نحو النص وقابلها بتلك التي أوردها تمام حسان متوقفا عند بعض المصطلحات التي وظفها على غرار التضام والاتساق اللذين وظفهما بمعنى واحد، مع تبيين الدكتور مصلوح للفروق بينهما على المستويين النحوي والبلاغي. بالإضافة إلى توضيح

---

(1) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص : المفاهيم والاتجاهات ، ص 94، 95.

(2) سعد مصلوح: في اللسانيات العربية المعاصرة، ص235.

مفاهيم المعايير النصية مثل القصدية والإعلامية والقبول. وأوجه الخلاف في وجهات النظر.

2 / المكون البلاغي و لسانيات النص:

سعى الدكتور مصلوح إلى لتقديم نظرية عربية القسمات في لسانيات النص وفضلا عن حديثه عما سماه" النحو الشامل"، بما يتضمنه من صيغ نحوية وصرفية ومعجمية؛ ذلك أنّ لسانيات النص تتسع لأنواع شتى من المعطيات المعرفية _ كما ذكر فان ديك من قبل _ أوضح الآفاق الواسعة التي انفتحت أمام الأسلوبيات اللسانية ، خاصة بعد إفادتها من التطورات التي عرفتها اللسانيات النصية " حيث يجري تطوير وسائل التحليل اللغوي وإرهافها ورفع كفاءتها لتكون قادرة على معالجة العلاقات النحوية فيما وراء الجملة، وعلى وصف الخصائص الأسلوبية التي تحفز الاستمرارية البنيوية structural contunuity ، ووسائل الربط والسبك الشكلية cohesion والمضمونية coherence "[1] بالإضافة إلى أنواع أخرى من طرز التحليل النصي الآخذة في التوسع " بمناقشة النص في سياق الإبلاغ الأدبي poeticommunication من حيث إنتاجه production والاستقبال reception والعوامل الذاتية الأدبية الاجتماعية sociopoetic والنفسانية psychopoetic التي تؤثر في النص أو الخطاب "[2]. وعلى ضوء هذه المعطيات حاول الدكتور مصلوح لتقديم رؤية جديدة من خلال إعادة استقراء أحد أهم كتب البلاغة العربية القديمة وهو " مفتاح العلوم " لصاحبه أبي يعقوب يوسف السكاكي (ت 626 هـ) ساعيا إلى استثمار منجزاته في حقل اللسانيات النصية.

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 71، 72.

(2) المصدر نفسه، ص 72.

وقبل ذلك نشير إلى أنّ صلة الدكتور مصلوح بالبلاغة العربية بدأت مبكرا، من خلال الدراسة التي قدمها حول نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني، ضمنها كتابه الموسوم " حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر".*

يعدّ الدكتور مصلوح كتاب " مفتاح العلوم" أخطر كتب البلاغة العربية لذلك خصه بدراسة قيمة عنوانها : " مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية " ضمها كتابه " في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية " مع شذرات وإضافات في كتاب " في اللسانيات العربية المعاصرة"، وقد افتتح دراسته هذه بأهم التقسيمات التي عرفتها الدراسات البلاغية، العربية ، متوقفا مع تقسيم شوقي ضيف القائم على أساس زمني جاعلا من الجاحظ خاتمة عصر الاحتجاج . ثم ينحى منحى منهجيا صنف على إثره الدراسات البلاغية إلى ثلاثة تصنيفات؛ هي دراسات لبعض المتفلسفة، وأخرى لبعض المتكلمين وثالثة لبعض المتأدبين لينتقل إلى تقسيم آخر، أقامه على أساس تقويمي بدأ بـ " ازدهار البلاغة العربية" ثم "عصر التقعيد والجمود" وبعدها "دراسات جانبية " لما جاء بعد عصر السكاكي.

أمّا التقسيم الذي نوّه به الدكتور مصلوح ، فهو تقسيم أمين الخولي، الذي قسمها إلى مدرستين؛ المدرسة الكلامية أو المدرسة العلمية، والتي من

خصائصها " التحديد اللفظي والروح الجدلية والعناية بالتعريف الصحيح والحرص على القاعدة المحددة ، مع الإقلال من الشواهد، والاعتماد على المقاييس

---

*الف الدكتور مصلوح هذا الكتاب أواخر الستينيات في إطار جائزة نظمها مجمع اللغة العربية في القاهرة ونشره سنة 1980.

الفلسفية من خلقيات وطبيعيات ونحوها على القواعد المنطقية، في الحكم بحسن الكلام وجودته أو بقبحه ورداءته" [1]. والمدرسة الأدبية (الفنية) ومن أهم ميزاتها "الإكثار المسرف من الشواهد الأدبية نثرا وشعرا، الإقلال من التعاريف والقواعد والأقسام ، والاعتماد في التقويم الأدبي على الذوق الفني وحاسة الجمال، أكثر من الاعتماد على الفلسفيات المختلفة والمنطقيات"[2].

أمّا الدّكتور سعد مصلوح فقسّمها إلى ثلاثة اتجاهات ، بحسب مضامينها وتوجهاتها، وهي الاتجاه الأصولي والاتجاه الوظيفي، وثالثها الاتجاه التقعيدي الذي تزعمه الإمام أبو يعقوب السكاكي، حيث نهج فيه " نهجا فريدا كثر من بعده السالكوه، لكن صاحب "مفتاح العلوم" الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، يحتاج إلى القول في أمره إلى فضل بيان، وتفصيل قد يفضي بنا إلى تصنيفه على نحو يخالف ما درج عليه أكثر الباحثين ، وإلى استجلاء أبعاد مستترة في عمله، لم يتح لها _ في رأينا _ أن تفهم على الوجه الصحيح"[3]. ومن ثمّ فقد خصّ كتاب " المفتاح " بدراسة متفردة باحثا عن فتح أفق للآراء الواردة، ومد الجسور بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية. لذلك فقد أسّس لبحثه انطلاقا من خمسة أسئلة ، تشكل منطلقات وأطر لهذه الدراسة، وهذه الأسئلة هي:

---

(1) أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، ص 159، 161.

(2) المرجع نفسه ص 161.

(3) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 27 ، 28.

1 _ ما مكانة الكتاب وصاحبه من التصنيف السابق؟

2 _ ما مدى مسؤولية السكاكي عما نسب إليه من إصابة البلاغة بالجمود؟

3 _ ما حظ ناقدي منهجه من البلاغيين المحدثين والمجددين من التوفيق، فيما أبدوه من ملاحظ زما اقترحوه من صيغ؟

4 _هل يمكن أن يصاغ منهج السكاكي صياغة جديدة تيسر الانتفاع بها في الدرس الأسلوبي اللساني المعاصر؟

5 _ ما نوع العلاقة المعرفية التي يمكن أن تنشأ بين العلم الموروث والعلم المستفاد في هذا المقام؟ (1)

وإن كانت الأسئلة الثلاثة الأولى، هي محاولة تقويمية لوضع الكتاب وصاحبه الموضع الذي يستحقانه، بتقديم قراءة موضوعية ، تتجاوز الآراء السائدة، التي تعارف عليها أهل البلاغة من القدامى والمحدثين، فإن السؤالين الأخيرين _ اللذين سنركز عليهما اهتمامنا _ يشكلان قاعدة منهجية جديدة ، تحاول قراءة هذا المنجز البلاغي القديم، على ضوء ما استحدثه علم الأسلوبيات اللسانية، ، من أجل فتح آفاق جديدة، تفيد من القديم والجديد ، كل على قدر إسهامه. كما أنّ هذه الدراسة من جهة أخرى ذات أهمية بارزة ، لأنها من أهم الأمور التي تميز الرؤية الخاصة للدكتور سعد مصلوح في لسانيات النص، على اعتبار أنه علم متداخل الاختصاصات، كما أن التداخل بين البلاغة والأسلوبية قضية طرحت

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 28.

مع الأسلوبيات الحديثة ، فضلا عن تضمن البلاغة الكلاسيكية لبعض الومضات والإشارات التي تتعالق و الظواهر النصية ، التي تعنى بها لسانيات النص لذلك يرى عبد السلام السيد حامد ضرورة التفريق بين علم الأسلوب والبلاغة الجديدة متفقا مع ما ذهب إليه صلاح فضل فيقول : " إن الفرق بينهما هو الفرق بين الخاص أو الحالة الفردية الواقعية والعام أو القانون الجامع المجرد، فالأسلوب يكون فرديا، ثم من مجموع خصائص الأساليب المختلفة يصاغ تعميم وتجريد يصنفان في صورة القوانين، التي تمثل دائرة البلاغة "[1] . الأمر الذي يحيل على العلاقة التاريخية بين البلاغة الكلاسيكية والأسلوبية ثم علم النص، إذ مثلت مجالا من مجالات التحول المعرفي بين العلوم، بدا فيها عدم كفاية البلاغة والأسلوبية وتحوّلهما إلى التوحد مع علم النص، مع حفاظ كل تخصص على سماته الخاصة.

لذلك فإنّ من أهم الملاحظ التي يمكن الكشف عنها في عمل الدكتور مصلوح في هذا المجال هو التفريق بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية من خلال عدة أوجه نذكر منها:

_ البلاغة العربية هي بلاغة الشاهد والمثال والجملة المفردة ، إذ تقوم على أساس تجزيئي. أمّا الدرس الأسلوبي اللساني فيقوم بمعالجة نص أو خطاب أو مدونة.

---

(1) عبد السلام حامد السيد : لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، ص 363، نقلا عن صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص، ص178 ، 179.

_ الوحدة التصورية المعتمدة في التحليل البلاغي هي فن البلاغة بغض النظر عن الفرع الذي تنتسب إليه . أمّا الأسلوبيات اللسانية فإنها تعتمد على الخاصية الأسلوبية وحدة تصورية في التحليل.

_ تعالج علوم البلاغة الإمكانات التعبيرية في اللغة من ناحية قواعدها. أمّا المعالجة الأسلوبية فموضوعها الكلام.

_ غاية البلاغة تعليمية، وغاية الأسلوبيات بحثية تشخيصية وصفية.

_ الأساس المنهجي في البلاغة هو المنطق الأرسطي. أمّا الأسلوبيات فتشكلت في إطار اللسانيات.

_ اعتمدت البلاغة وعلومها على الجملة . أمّا الأسلوبيات فقد انفتحت أمامها آفاق من البحث، حيث أفادت من نحو النص[1].

وبناء على هذه الفروق ينفي الدكتور مصلوح إمكانية أن يكزن للبلاغة العربية حظّ في تشكيل الدرس الأسلوبي المعاصر، إلا من خلال تجاوز الأسباب الموجبة للمباينة المعرفية بينها وبين الأسلوبيات اللسانية ، ويشترط في هذا التجاوز أن تصحبه حركة مواكبة من اللسانيات العربية ، تكون بها ظهيرا قويا للدرس النصي [2]، من أجل توثيق الصلة بين الدّرس اللغوي والدرس البلاغي التراثي

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص67 ، 71.

(2) المصدر نفسه ، ص 72.

والدرس الأسلوبي المعاصر، بغاية الأصالة والتجدد ، لأن الدكتور مصلوح ما زال يؤمن بقوتها وفاعليتها حيث إنها قادرة على أن تقدّم للدرس الأسلوبي اللساني مادة وفيرة من التصورات النظرية وأدوات التحليل، يمكنه بإعادة صياغتها أن يحكم بها وسائله الفنية في مقاربة النصوص . لكن السؤال الذي يواجهنا هنا هو : كيف يمكن لهذه الحقول المتباينة من حيث الأرومة والمنهجية والأدوات أن تتعالق فيما بينها ؟ و" ليس معناها إلاّ أن تكون الأسلوبيات اللسانية ولسانيات النص هما جسر التواصل والتلاقي بين البلاغة القديمة ودراسة النص كما ينبغي أن تكون" [1]. ويرى الدكتور مصلوح أنّ ذلك لا يتحقق إلا بإجراء عملي يتمثل في العودة إلى إعادة قراءة كتاب " مفتاح العلوم" وفق رؤية عصرية انطلاقا من جانبين:

_ الأول : يتصل بالصيغة الكبرى ، التي سماها السكاكي "علم الأدب" وجعلها منظومة تحليلية، تتألف من مكونات ثلاث هي : علم الصرف وعلم النحو وعلم المعاني والبيان، مع مقدمة صوتية تسبق علم الصرف ومكملات تابعة لعلم المعاني (علمي الحد والاستدلال والشعر)

_ الصيغة الصغرى: وتتمثل في علم المعاني بمكوناته الثلاثة وهي : خواص التراكيب والمبحث البياني والمبحث التحسيني[2]. هذه الصيغة تشكل فرعا من

---

(1) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور مصلوح ، ص365.

(2) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 73.

الصيغة الكبرى وهي المسماة بالبلاغة، أما المبحث التحسيني فيتعلق بعلم البديع. بيد أنّ المشكلة التي طرحت على مستوى البلاغة العربية أنّ البلاغيين اعتنوا بالبنية الصغرى وأهملوا البنية الكبرى، بل أماتوها كما ذكر الباحث، إضافة إلى تحميل البلاغيين المحدثين السكاكي مسؤولية جمود البلاغة وموتها، إلا أنّ الدكتور مصلوح يرى خلاف ذلك من خلال الطرح الجديد الذي قدمه، حيث سعى لإقامة مشروع من أجل إيجاد حل لمشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، عن طريق إعادة الاعتبار لكتاب " مفتاح العلوم" وصاحبه و" رفع الإصر الذي رمى به كثير من البلاغيين المحدثين وأهل التجديد الأمام أبا يعقوب السكاكي من أنه المسؤول عما أصاب البلاغة العربية بعده من جمود وجفاف وعقم"[1]. لكن مصلوح يوجّه انتقادات لهؤلاء ويحاول الرد في الوقت ذاته، ومن ذلك:

_ نظرة المحدثين إلى كتاب المفتاح هي نظرة تجزيئية ، لأن الكتاب _ في أصله _ مكوّن من ثلاثة أقسام هي _ كما ذكرنا _ علم الصرف وعلم النحو وعلم المعاني والبيان ، كما وضّح السكاكي بالقول:" وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب، دون نوع اللغة، ما رأيته لابدّ منه، وهي عدة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصرف بتمامه، و أنه لا يتمّ إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة، وقد كشف عنها القناع. وأوردت علم النحو بتمامه. وتمامه بعلمي المعاني والبيان. وقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحدّ

---

(1) عبد السلام السيد حامد : لسانيات النص عند الدكتور مصلوح ، ص 365.

والاستدلال، لم أر بدّا من التمسح بهما، وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر. ورأيت صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي ، وثنيت عنان القلم إلى إيرادهما "[1]. وهذا دليل واضح على صحة ما ذكر الدكتور مصلوح، حيث تمّ التركيز على المبحث الأخير وأهمل المبحثين الأوّلين، حيث انصبّ الاهتمام على البنية الصغرى وأهملت البنية الكبرى اللتان قال بهما فان ديك [2]. لهذا تركز جهد الدكتور مصلوح على إحياء الصيغة الكبرى، التي يتجلى من خلالها وعي السكاكي ببعض المفاهيم المستحضرة عند الأسلوبيين المعاصرين

مثل مؤخّر الصورة back grounding ومقدّم الصورة foregrounding ودلالة ذلك أنّ علمي النحو والصرف يتيحان ما يسمى لدى السكاكي "أصل المعنى مطلقا " ، حيث إنّ علم النحو" هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب ، فيما بين الكلم لتأدية المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها "[3] بما في ذلك خاصيتي التقديم والتأخير، وأنواع الكلم المفردة، ورعاية ما يكون من الهيئات.

---

(1) أبويعقوب يوسف السكاكي: مفتاح العلوم ، تعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ط2، 1987، ص 6.

(2) كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة وتعليق وتمهيد سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 2005 ص 68، 72.

(3) أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم، ص 75 .

لذلك فعلمي النحو والصرف يقدّمان ما سماه الدكتور مصلوح بـ" خلفية التحليل". في حين يوفر علم المعاني (الصيغة الصغرى) " مقدم التحليل" على أساس تمييز العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني. ويلفت الدكتور مصلوح إلى أنه يمكن الجمع بينهما تحت ما يسمى " أسلوبيات اللغة " وهو المبحث الذي يعالج الطاقات الأسلوبية التعبيرية الكامنة والمحتملة في لغة بعينها "[1] حيث تتجلى قدرات الكتاب والمبدعين ، واختياراتهم الأسلوبية والمحددات السياقية التي تحكمها. لذلك فإنّ الدكتور مصلوح ينطلق من صيغتي السكاكي لتحديد ثلاثة مستويات متوازية ومترابطة _يصنفها من خلال جدول _ تتحدد بتحديد عام وخاص ثمّ أخص. وتخص على الترتيب لسانيات النص، بما تتضمنه من أسلوبيات لغة ، وما ينضوي تحتها من مستويات صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ومقاماتية، ثمّ لسانيات النص الأدبي ؛ وتتعلق بالأسلوبيات النوعية ، بما فيها من علم الصوتيات الشعرية وعلم الرسم الشعري و علم الصرف الشعري وعلم التراكيب الشعرية وعلم الدلاليات الشعرية وعلم المقاميات الشعرية[2]. ونلاحظ أن الدكتور مصلوح ميّز بين النصوص الأدبية وغير الأدبية ، انطلاقا من النظرة التي رسخها جاكبسون في هذا المجال، وقد ميّز فيلي ساندريس بين موضوع الدراسة اللسانية الذي هو الأسلوب اللغوي، وموضوع الدراسة الأدبية الذي هو الأسلوب الأدبي (الشعري) [3].

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 74.

(2) المصدر نفسه ، ص 75 .

(3) فيلي ساندريس : نحو نظرية أسلوبية لسانية ، ص 19 .

لذلك يأتي الدكتور إلى القسم الأخير من التقسيم الثلاثي والمتمثل في لسانيات نص أدبي متعين، وهو القسم الأخص الذي يتعيّن تحت مسمى " الأسلوبيات المتعيّنة "، والتي تدرس علم الصوتيات الأسلوبية وعلم الرسم الأسلوبي، وعلم التراكيب الأسلوبية وعلم الدلاليات الأسلوبية وعلم المقاميات الأسلوبية [1] . وكلّ مستوى من هذه المستويات المذكورة تندرج تحته مستويات عمودية ، تحيل إلى مستوى معين في الدراسة. لتوضح المخطط الذي رسمه الدكتور مصلوح لكيفية الإفادة من مشروع السكاكي، وما يفتحه من آفاق للتحليل النصي ، يمكن أن تستثمر من قبل الباحثين من أجل " الانتقال بالتحليل اللساني من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص"[2] وليست النقلة من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص" نقلة من الجزء إلى الكل أو حجمية من الجملة إلى النص ، النقلة في المنهج وأدواته وإجراءاته وأهدافه" [3]. ومع ذلك فإن الغايات التي يسعى هذا المشروع إلى تحقيقها ، كربط اللسانيات الأسلوبية باللسانيات والشعرية، والتنبيه إلى ما يمكن أن تفتحه الأسلوبيات من آفاق مع إسهاماتها في مجالات بحثية أخرى، كدورها في تشكيل نظرية التنوعات اللغوية التي ترتبط بالأسلوبيات الجغرافية والنحو العام،

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص75.

(2) المصدر نفسه ، ص80 .

(3) جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ،1998، 68 .

بالإضافة إلى إسهامها في الشعرية النظرية أو النفسانية أو الاجتماعية[1]. وهي مشاريع بحثية تنتظر من يتولاها من الباحثين والمؤسسات الجامعية. لذلك فإنّ هذا الربط _لدى الدكتور مصلوح _ بين لسانيات النص والبلاغة والأسلوبيات اللسانية يكشف عن مفهومه لنحو النص ونظريته التي " تراعي الأصل في جميع أشكال التواصل دون تمييز "[2].

كما يلفت الدكتور مصلوح إلى أهمية المخزون التراثي عامة ، والبديعي منه بشكل خاص، والذي يحفز على البحث. ولعل من أهم ثمرات ذلك رسالة الدكتوراه _ التي طبعت سنة 1998 _ التي أنجزها جميل عبد المجيد بإيعاز من الدكتور مصلوح وتوجيه منه ، والموسومة بـ " البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية " حيث تأسست لتجيب عن سؤالها المحوري : " هل يمكن الانتقال بالدرس البديعي من الأفق القديم (أفق التحسين) إلى الأفق الجديد (أفق الربط) وكيف ؟ إذ حاول في الباب الثاني من الكتاب الإجابة عن السؤال من خلال استعراض العلاقات الدلالية والوظيفية للبديع ودوره . وانتقاله من وضع تحسين النص إلى حبكه وتوسيع نطاقه، حيث تغدو فنون البديع " بحكم ما فيها من علاقات دلالية، كما تغدو وبحكم تجاوز معظمها مستوى الجملة والبيت من جهة قابليتها للتحقق على مستوى الفقرة والنص من جهة أخرى، تغدو مؤهلة للإسهام في

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 80.

(2) عبد السلام السيد حامد : لسانيات النص عند الدكتور سعد مصلوح، ص 368.

الحبك ، فيما بين الجمل والفقرات والنص بتمامه"[1]. وقد توصل إلى هذه النتائج بعد إعماله آليات إجرائية على بعض النماذج الشعرية والقرآنية بمقاربتها مقاربة نصية متوقفا عند ألوان شتى من البديع اللفظي والمعنوي كتشابه الأطراف والتقسيم والتصريع والسجع والجناس وغيرها، وهذا في كتب أخرى للمؤلف منها " بلاغة النص".

وخلاصة القول فإنّ الدكتور مصلوح، بعمله الرائد هذا " قد حقق أهداف النهضة العلمية والفكرية وهي ثلاثة: أولها الاستجابة الصحيحة لمطالب النهضة العربية الحديثة ولحقائق الواقع العربي، وثانيها إحياء الموروث العربي القديم وتجديده، وثالثها الاتصال بالموروث الفكري الإنساني قديمه وحديثه"[2] .

لهذا يمكننا رصد النتائج الآتية :

_ أنّ الدكتور مصلوح يحمل فكرا نقديا إبداعيا من خلال القراءة الجديدة التي قدّمها لكتاب " مفتاح العلوم" .

_ استثمار آليات لسانيات النص لإعادة " مفتاح العلوم " إلى العصر.

_ الإفادة من التراث لإثراء موضوع لسانيات النص.

---

(1) جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 174.

(2) أحمد يوسف علي: سؤال البلاغة عند مصلوح، الكتاب الجماعي ص53، نقلا عن عبد المنعم تليمة وعبد الحكيم راضي: النقد العربي : مداخل تاريخية، الجهاز المركزي للكتب، القاهرة ، 1988 ص 453.

_ الوعي الحاد بمشكلة الثقافة النقدية العربية، التي تعتمد على كل منجز غربي ومحاولة تخطي ذلك.

_ المزاوجة بين التراث النحوي والبلاغي العربي وبين نظريات لسانيات النص.

3_ الجانب الإجرائي: دراسة في قصيدة جاهلية:

إذا كان الهدف من الدراسة النظرية التي قدمها الدكتور مصلوح في لسانيات النص هو " الانتقال من النحو العربي واللسانيات العربية عامة من طور ظلّ فيه حبيس أسوار الجملة أي الكلام المفيد فائدة يحسن السكوت عليها إلى طور يكون فيه النحو (بالمفهوم الواسع للمصطلح) قادرا بوسائله على محاصرة النص ووصفه، والكشف عن علاقاته التي تتحقق بها نصية النص، بما هو حدث تواصلي مركب ذو بنية مكتفية بنفسها، قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل"[1] فإن الدراسة الإجرائية تمثل" محاولة أولى لامتحان جانب من الفروض والإجراءات التي تشكّل ملامح فكرة أجرومية النص"[2] . على الرغم ممّا يعتري هذه الدراسة من صعوبات يعدّدها الدكتور مصلوح في النقاط التالية:

_ مفارقة المعالجة للمألوف.

_ تطويع أجرومية للنص اعتمادا على أنها إنجاز لساني لدراسة نص عربي أولا وشعري ثانيا وجاهلي ثالثا[3]؛ إذ لكل منها خصوصيات لم تختبر بعد، ضف إلى ذلك أن هذه الدراسة تحاول ربط الجسور بين هذا الطراز الوافد من التحليل وبين الموروث النحوي . فكيف السبيل إلى ذلك؟

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 223.

(2) المصدر نفسه ص 224.

(3) المصدر نفسه ص224.

وقد اعتمد الناقد تعريف روبرت آلا ندي بوجراند وولفجانج دريسلار لمفهوم النص باعتبار أنه " حدث تواصلي communicative occurence يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة هي: السبك: cohesion ، الحبك : coherence ، القصد : intentionality الإعلام : inforitymativity ، القبول: acceptability، المقامية situationality ، التناص :intertextuality.

وترتبط معايير النصية هذه _حسب الدكتور مصلوح _ بـ :

1_ النص في ذاته : ويتعلق الأمر بمعياري السبك والحبك.

2 _ ما يتصل بمستعملي النص: (المنتج والمتلقي) وهما معيارا القصد والقبول.

3_ ما يتعلق بالسياق المادي والثقافي المحيط: وهي معايير الإعلام والمقامية والتناص.[1]

مع العلم أنّ الباحث ركز دراسته على اختبار معياري السبك والحبك ؛ حيث يعرف الأول بأنّه معيار " يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص surface text "[2] ويعني بظاهر النص " الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني ، والتي نخطّها أو نراها ، بما هي كمّ متّصل على صفحة الورق. وهذه الأحداث أو

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية ص 226.

(2) سعد مصلوح: المصدر نفسه ص 227.

المكوّنات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنّها لا تشكّل نصا إلاّ إذا تحقّق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته" [1] وينضوي كل هذا تحت ما اصطلح عليه الباحث الاعتماد النحوي grammatical dependency. ويذهب إلى أنّ هذا الاعتماد يتحقق من خلال شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع؛ سواء أكان ذلك في الجملة الواحدة، أو فيما بين الجمل، أو في الفقرة وما بين الفقرات أو في جملة النص [2]. وبتعبير محمد عفيفي الذي يستخدم مصطلح الاتساق بدلا من السبك فإنّه (الاتساق) يعني " تحقيق الترابط الشامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة" [3] مستندا إلى قول هاليداي ورقية حسن وهما أول من أشاع المصطلح في مجال الدراسات النصية، بأننا " نحلل النص عن طريق دراسة الخواص التي تؤدي إلى تماسكه وتعطي عرضا لمكونات منظمة لنماذجه النصية" [4] إذ أنّ "التماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النص"[5] وكما عرفته كاتي وايلز هو :

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية ص 226

(2) سعد مصلوح: المصدر نفسه ص 227 ، 228.

(3) أحمد عفيفي: نحو النص : اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 ، 2001 ص 96.

(4) M.A.K.Halliday et Rouquia Hassan:cohesion in English longman , london 1976 ;p 4

(5) Ibid p 8 .

"الإحالة على الأدوات(الصوتية والنحوية والمعجمية والدلالية) لربط الجمل داخل وحدات واسعة(فقرات وفصول..إلخ) لجعلها ملتصقة بعضها بعضا"[1] مع إشارتها إلى التداخل بين مصطلحي السبك والحبك واشتراكهما في الفعل نفسه (cohere) فضلا عن معان مختلفة في الاستعمال الشائع[2]. لذلك فهي توردهما معا في استعمالها. وهذه المفاهيم اتكأت على ما أنجزه هاليداي ورقية حسن.

وتلتقي هذه المفاهيم مع ما أشار إليه حازم القرطاجني :" والأقاويل الشعرية أيضا تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيّل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه. أو التي هي أعوان للعمدة وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القائل أو ما يرجع إلى المقول فيه أو ما يرجع إلى المقول له "[3].

ومن هنا يلحّ الدكتور أحمد عفيفي على ضرورة العناية بمسألة الحقول الدلالية حتى تساعد الباحثين على الربط إن على مستوى الجملة أو على مستوى النص لأنّ " الترابط على مستوى الأدوات لن يصنع الترابط المنطقي، مع افتقاد علاقات التجانس والتقارب الدلالي بين أجزاء النص"[4]. لذلك تتطلب دراسة النص دراسة نحوية ثالوثا من الاتجاهات لدى دي بوجراند هي:

---

(1) كاتي وايلز : معجم الأسلوبيات ، ص 130.

(2) المرجع نفسه، ص نفسها.

(3) أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط2، 1981، ص 346.

(4) أحمد عفيفي: نحو النص : اتجاه جديد في الدرس النحوي ص 102.

_ النحو ⟵ الترابط الرصفي.

_ الدلالة ⟵ الترابط المفهومي.

_ التداولية ⟵ أعمال، خطط، أغراض (علاقة المتلقي بالنص)[1].

وأمّا الحبك coherence فيعرفه الدكتور مصلوح بأنّه يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص textual world ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم concepts والعلاقات

relations الرابطة بين هذه المفاهيم" [2]. ومن الوسائل التي تحقق السبك كما ذكرها دي بوجراند وأكدها محمد خطابي إعادة اللفظ والتضام والتعريف والإحالة والاستبدال والحذف.

وبناء على هذه المعطيات شرع الدكتور مصلوح في دراسة قصيدة المرقش الأصغر دراسة نصية بعد أن قيّد نصها في الصفحة الأولى للدراسة، مشيرا إلى أهم المصادر التي اعتمدها. محاولا الإجابة عن سؤالي دراسته وهما :

_ هل يمكن أن تكون تحولات الضمائر على هذا النحو المفاجئ والمستعلن عارية من الدلالة؟

---

(1) أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 102.

(2) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء ، ص 85، 86 .

_ هل يمكن اعتبار فكرة غياب الوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية أو اتهام الرواة في حفظهم أو الاجتهاد في ترتيبها هو الحل العلمي المريح؟ [1]

ومن أجل الإجابة عن السؤالين أقام دراسته على تحولات الضمائر أثناء تقسيمه للقصيدة إلى خمسة أقسام على النحو التالي:

1_ ضمير المتكلم (نحن) من 1 إلى 5.

2_ ضمير الغائب (هي) من 6 إلى 8.

3_ ضمير المتكلم (أنا) من 9 إلى 12.

4 _ ضمير المخاطب (أنت) من 13 إلى 15.

5_ ضمير المفرد الغائب (هو) من 16 إلى 20.

وكانت الغاية من ذلك هي الكشف عن أنماط القصيدة، ذلك أنّ هذه التقسيمات هي بمثابة المباني الصغرى microstrictures من ناحية ظاهر النص الذي يحكمه معيار السبك . وعلى مستوى عالم النص الذي يحكمه معيار الحبك .

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص 228.

(2) المصدر نفسه ، ص 228.

_ السبك ⟵ ظاهر النص ⟵ بنية صغرى}.

بنية كبرى

_ الحبك ⟵ عالم النص ⟵ بنية صغرى }

مع العلم أنّ البنية الكبرى تحققها الفقرات المكونة للنص الشعري، والتي لا بد من الكشف عنها على مستويي التلقي والإنتاج، على الرغم من أنّ الباحث أهمل دراسة ذلك.

ونظرا لكون السبك يتحقق بواسطة وسائل متعددة أبرزها التكرار بأنواعه، فقد حددها الدكتور مصلوح في ثلاثة أنواع هي:

1_ التكرار المحض: ويشترط فيه شرطان هما التكرار مع وحدة المرجع والتكرار مع اختلاف المرجع.

2_ التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في

أشكال وفئات مختلفة [1] . ويفرق الدكتور مصلوح بين نوعي التكرار المذكورين من خلال:

_ أنّ التكرار المحض يتركز على مساحة النص كله. والتكرار الجزئي شمل النصف الثاني منه (الأقسام الثلاثة الأخيرة).

_ التكرار المحض وسيلة للسبك والحبك في آن معا " أي أن يكون فاعلا

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص243.

في ظاهر النص، وفي عالم النص، أمّا التكرار الجزئي فيفعل فعله في الظاهر أصالة ، وفي عالم النص بالتبعية، كما أنّ فعله في النص أقرب إلى التجمع منه إلى الانتشار "[1]

3_ شبه التكرار : ويقوم _ حسب الدكتور مصلوح _ على التوهم ؛ حيث تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، كما تفتقد في الوقت نفسه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق أو تغاير صرفيمات الإعراب [2]. وحسب الباحث فإنّ شبه التكرار يتحقق في مستوى التشكل الصوتي، وهو ما يقابل _لدى السكاكي _ "الجناس المحرف بأنواعه : الناقص والمذيل ثم المضارع واللاحق وتجنيس القلب"[3]. وقد التفت الدكتور أحمد عفيفي إلى هذه النقطة نافيا فكرة التوهم اعتمادا على نماذج اختبرها على أساس أنه "ليس تكرارا أقرب إلى التوهم ، كما حكم بذلك الدكتور مصلوح، بل إنه تكرار صوتي ولكن المقاطع أو الوحدات الصوتية صنعت نوعا من الربط المعنوي بين أجزاء النص الواحد" [4]. وقد وقف الباحث من نماذج من التكرار مصنفا أنواعها سواء أكان على مستوى الألفاظ مثل " ابنة عجلان الدهر، أضحت " أو على مستوى الضمائر، فعلى مستوى الألفاظ وجدنا أنّ

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 243، 244.

(2) المصدر نفسه ص 244.

(3) المصدر نفسه ص نفسها.

(4) أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي ، ص 111.

الباحث أفاد من ثلاثية : الفاعل والقابل والأثر التي تتأسس عليها النظرية النحوية لدى السكاكي[1] متحولا بها نحو وجهة أخرى، إذ تبدو _ في نظره _ هذه الثلاثية تحكم كل المفاهيم الداخلة في تشكيل فضاء القصيدة، لذلك فهو تكرار مقصود وواع خاصة بالنسبة لذكر اسم الحبيب (ابنة عجلان). أمّا عن تكرار وتنوع الضمائر الذي أشرنا إليه منذ قليل ، فقد أدى إلى التوسع في مفهوم الالتفات البلاغي؛ والالتفات " أسلوب بلاغي مستعمل في اللغة العربية، ويعني نقل الكلام من وجهة إلى أخرى، من ضمير المتكلم إلى المخاطب أو العكس ، ومن المخاطب إلى الغائب وهكذا"[2]. ومن أقسامه :

_ الالتفات من التكلم إلى الخطاب.

_ الالتفات من التكلم إلى الغيبة.

_ الالتفات من الخطاب إلى التكلم.

_ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

_ الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

_ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. [3]

---

(1) أبو يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 75 ، 76.

(2) www .wikipedia

(3) ibid

ويتحدد هذا الالتفات _ حسب الباحث _ من خلال تقسيم القصيدة ، بحسب توزع الضمائر واستعمالاتها، وذلك كما يلي:

1_ تكلم الشاعر عن نفسه مع خطاب صريح للمحبوبة.

2_ عدم وضوح من المقصود بالخطاب.

3 _ حديث الشاعر عن نفسه إلى نفسه.

4_ حديث الشاعر إلى نفسه المنشطرة (متكلم ومخاطب)

5 _ حديث الشاعر عن نفسه إلى ابنة عجلان.

وهكذا نلاحظ أن الشاعر ختم بالضمير ذاته الذي بدأ به " مغلقا بذلك بنية التحوّلات في الضمائر على نحو ما بدأ في القسم الأول" [1]، والغاية من ذلك هي تجاوز حصر الالتفات في تغيير الضمير مع اتحاد الجهة (...) إلى تغيير جهة المتكلم مع اتحاد موضوع الكلام"[2] ، ولعلّه هنا يلتقي مع ما ذهب إليه الزركشي في شأن الغاية من الالتفات التي تتمثل في " التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر. لما في ذلك من تنشيط السامع واستجلاب صفائه واتساع مجاري الكلام ولفت انتباهه"[3]

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 236.

(2) سعد مصلوح : المصدر نفسه ، ص 239.

(3) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة دار التراث، القاهرة ، دون ذكر تاريخ ورقم الطبعة ،ج3 ، ص 325 .

ومن هذا المنطلق فإن الباحث قد أجاب عن السؤال الخاص بدلالة الضمائر. أمّا التكرار فيجيب عن السؤال الثاني الذي طرحه الباحث في مطلع الدراسة، ذلك أنه يعمل على إلغاء ثنائية الشكل والمضمون من خلال "رد عجز القصيدة كلها على صدره، وينفخ في روح القصيدة حالة دائمة من النشاط والصيرورة تتحقق بها جدلية الاستدعاء والاعتماد بين ظاهر النص ومفاهيم النص تفعيلا وانفعالا " [1] دون أن يوضح بشكل واف كيفية إلغاء عمل هذه الآلية (الشكل والمضمون) التي نبّه الشكلانيون الروس إليها من قبل؛ حيث اعترضوا بشدة على " على الفصل التقليدي بين "المضمون والشكل" الذي يشطر العمل الفني إلى شطرين : مضمون خام وشكل خارجي مفروض عليه " [2] وإن كان قد أوضح أنّ هدفه من مثل هذه الدراسة هو " المشاركة في تقديم بديل علمي لفكرة الفصل بين الشكل والمضمون (...) ويتمثل هذا البديل في تقديم طاقم متكامل من تقنيات التحليل، تغطي المستويات المختلفة للغة النص صوتيا وحرفيا ونحويا ودلاليا "[3].

وفي هذا السياق يشيد حازم القرطاجني بأهمية الكلام باعتباره بنية نصية متكاملة حيث " تبيّن أنّ الكلام يهيّا للقبول من جهة ما يرجع إليه، وما يرجع إلى القائل وما يرجع إلى المقول فيه، والمقول له، فواجب أن يعلم أنّ للكلام في كلّ

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 239.
(2) وارين، أوستن : في نظرية الأدب ، ص 192.
(3) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 239.

مأخذ من تلك المآخذ التي بها تغترّ النفوس لقبوله، هيئات من جهة ما يلحقه من العبارات، وما يتكرر فيه من المسموعات "[1].

من جانب آخر وقف الباحث مع مفهوم التوازي الذي هو نوع من أنواع التكرار ويقابل الحذف ellipsis، على اعتبار أن كليهما من معايير تحقيق السبك والحبك، كما أشار إلى وسائل أخرى دون الخوض فيها وبحث وظيفتها في النص مثل الروابط بأنواعها المختلفة نحو الوصل والفصل والاستبدال بين الصيغ.

كما أنّ الدكتور مصلوح يرفض أن يقف بالمحسنات البديعية عند حدود البيت وحصر وظيفتها في الزخرفة وطرافة اللعب بالأصوات، بل إنها تكشف عن شبكة معقدة من العلاقات المتعانقة، التي تبرز باطن النص من خلال ظاهره والعكس،ومثال ذلك الجناس الذي يعدّ تجليا من تجليات السبك ومعيارا من معايير النصية[2]، منبها إلى الفكرة التي قال بها السكاكي حول الجناس المقلوب.

ومن العناصر الفاعلة في تحليل بنية هذا النص عنصر الزمن، حيث يقسمه الباحث إلى ثلاثة أنواع ، هي الزمن الموضوعي والزمن الذاتي والزمن النحوي والفروق بينها، في علاقتها بجهة الإنتاج وجهة التلقي. وفي تمظهراتها المتباينة داخل القصيدة، مستعينا بما قدّمه الأستاذ محمود محمد شاكر عند دراسته لقصيدة

(1) أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص347.
(2) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 144.

تأبط شرا التي مطلعها :

إنّ بالشَّعْب الذي دون سلْع لقتيلا ، دمُه ما يُطلَ.

مميزا بين ثلاثة أنواع من الزمن هي" زمن الحدث" و"زمن النفس" و"زمن التغني"[1] مع الإشارة إلى اختلاف هذه الأزمنة في علاقتها بالشاعر وبنصه وزمني الإنتاج والتلقي ، مما يستدعي إعادة النظر في بعض المقولات النقدية التي فسرت بنية القصيدة الجاهلية ، و أعلنت في حكم صار شبه راسخ وهو افتقارها إلى الوحدة العضوية. الأمر الذي يسعى الباحث إلى نفيه بطريقة ضمنية عند حديثه عن كفاءة النص وفعاليته، من خلال تقديم تصورات في شكل دوائر ، تفسر الزمن الموضوعي ثم الذاتي ، الذي تشكل بؤرته المركزية اللحظة الآنية التي جسدتها الدائرة، بحيث يصور الرسم " شبكة العلاقات المفهومية التي تتجاوب وتتداعى طردا وعكسيا بين أبيات القصيدة ، على نحو ما تصورناها حين نعتبر الزمن الذاتي من جهة المتلقي"[2] ، إذ أنّ هذه العلاقات والأحداث المتشابكة فيما بينها تربط بين ظاهر النص وباطنه من خلال التقسيمات التي قام بها الباحث ، والتي

ترتبط بالأقسام الخمسة التي ذكرناها في مطلع المبحث وهي : المركز والمعية

والتحول والشتات ، واستدعاء الخيال ، وحديث الذكرى وإعذار النص

---

(1) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 259.

(2) المصدر نفسه ، ص 269.

وارتقاب الخلاص[1].

وإذا كانت هذه الأحداث تكشف عن الزمن الذاتي في علاقته ببقية الأزمنة وعن الصلة بين ظاهر النص وعالم النص، فإنها كذلك تجلي أهمية معياري السبك والحبك في النص الشعري.

من أهم ما قدّمه الدكتور مصلوح في مبحث " نحو أجرومية للنص الشعري" المشكل العروضي الذي "ربطه بالرّد على اتهام الأوزان العربية بالرتابة والجمود والقصور عن استيعاب التجارب الإنسانية وتصوير خصوصيتها" [2] تحت عنوان " ثابث الوزن ومتغير الإيقاع" من أجل توضيح العلاقة الجدلية بينهما حيث افتتح دراسته بتحديد بحر القصيدة الذي هو" مجزوء البسيط" مع اعتماد تفعيلتي " مستفعلن " و"فاعلن " على أشكال من الزحاف ، إذ دخل الأولى الخبن، ودخل الثانية الطي ثم الخبل. وبالتالي تعددت صور التفعيلات ،إضافة إلى التفعيلة الأصلية الصحيحة، متتبعا مختلف التغيرات التي لحقت التفعيلات في القصيدة سواء أتعلّق الأمر بالزحافات أم بالعلل. ومن ثمَّ يرى الباحث أنّ المقارنة البسيطة بين "المجزوء والتام تهدي إلى أنّ التام أكثر انتظاما وخضوعا للقالب الوزني من المجزوء " [3] . على عكس المجزوء الذي ترد فيه تفعيلة " فاعلن " خالية من الزحاف " وحاصل ذلك أنّ في المجزوء كسرا لرتابة الانتظام وإتاحة المجـال

---

(1) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور، سعد مصلوح، كتاب الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح سيرة ومسيرة ، ص 351.

(2) المرجع نفسه ص 370.

(3) سعد مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، ص 249، 150.

لأكثر من تشكّل نغمي يغذي عنصر المفاجأة ، ويخذل توقع الأذن وينفي عنها الاستسلام لرتابة النغم"[1]. ومن خلال الجدول الذي صنّف فيه أهم التغيرات التي لحقت التفعيلات عبر المقاطع الخمسة للقصيدة، تبيّن في المقطع الأخير " الذي يمثّل ذروة التحولات المأساوية في النص _ تبدي فيه صور النغم قدرا من التنوع بتردد واضح لبعض التحقّقات واختفاء بعضها الآخر، بل يكسر الوزن بالتحول إلى تفعيلة من الكامل ، وبهذا تبعد الشقة _ في رأي أستاذنا _ بين ثابت الوزن ومتغير الإيقاع، ويعدّ الخروج في هذه التفعيلة أكبر دليل على ذلك"[2].

وعليه يمكن القول أنّ الدّكتور مصلوح قد فتح أمام الباحثين بابا آخر لمراجعة بعض المقولات التي أطلقت ، ثم سارت وكأنها قواعد ثابتة خاصة قضية اتهام الشعر العربي القديم بالرتابة والجمود ، أو بالافتقار إلى الوحدة العضوية، إذ بفعل المراجعة والتمحيص وإعادة النظر فنّدتها الأدلة العلمية. لكن هذا التصحيح لا يكاد يعتمد، وهنا يكمن دور الباحثين، أي في ترسيخ الأفكار الجديدة عن طريق البحث والاستقصاء وإعادة النظر في كثير من المقولات، بإخضاعها للاختبار. ذلك أنّ الشعر الجاهلي يتوفر على كفاءة وفاعلية نصية عالية، أثبتتها دراسة العلّامة مصلوح، من خلال وقوفه مع معياري السبك والحبك. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه تغاضى عن بقية المعايير الأخرى، وهو بذلك لا يدّعي أن دراسته تنضوي تحت

---

(1) سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 250.

(2) عبد السلام السيد حامد: لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، ص 371.

باب الدراسة النصية بقدر ماهي دراسة بنيوية ، أي البنيوية اللغوية لأنّ هذا ما بينه الدكتور مصلوح عندما نفى عن نفسه أن يكون ناقدا بنيويا[1]. كما ذهب جميل عبد المجيد إلى أنّ هذه الدراسة _ على الرغم من أنها في تحليل القصيدة _ لم تقم اعتبارا أو توظيفا لأي من عناصر السياق الثقافي والاجتماعي والأعراف الأدبية في العصر الجاهلي (عصر القصيدة)، حيث انحصرت الدراسة _ أو كادت _ داخل النص"[2] . بيد أنّ هناك ملاحظة وجيهة أوردها الدّكتور يوسف وغليسي فيما يخص اختبار معايير النصية على ميمية المرقش الأصغر، وبصورة خاصة معياري السبك والحبك ؛ إذ يقول : " ولولا أننا لاحظنا أنّ الناقد كان حذرا بحيث راح يطوّع المعيارين كي يستوعبا مفاهيم الوزن والقافية والوحدة الموضوعية (ومفاهيم أخرى هي في الأصل من ذوق الناقد وثقافته وخبرته بالشعر القديم، من شأنها سدّ قصور ذينك المعيارين عن الإلمام بشعرية الشعر !) ، لولا ذلك لجزمنا بأنّ تلك المعايير (ومعها لسانيات النص قاطبة) تفيد الدراسة النقدية في إبراز نصية النص فقط، لكنها تعجز عن اكتشاف أسلوبيته وتحديد أدبيته ضمن الإطار الجنسي والعنوان النوعي الذي ينتمي إليه ذلك النص" [3].

---

(1) حامد عبد السلام السيد : لسانيات النص عند الدكتور مصلوح، ص 377.

(2) حامد عبد السلام السيد : لسانيات النص عند الدكتور مصلوح،ص 386 نقلا عن جميل عبد المجيد : لسانيات النص ونقد الشعر ، مراجعة نقدية ، لسانيات النص وتحليل الخطاب ، كتاب مؤتمر، جامعة ابن زهر أكادير، المغرب، الصفحات : 1 / 269 _ 302

(3) يوسف وغليسي: العلامة سعد مصلوح ناقدا لسانيا، مصدر سابق ، ص 420.

وأضاف الدكتور حامد عبد السلام السيد ملحظا آخر تمثّل في اقتصار نحو النص عند الدكتور مصلوح على " مهمة الفهم و التفسير دون الإشارة إلى إنتاج النص، وكون الفهم الأمثل للظاهرة اللغوية هو غاية نحو النص"[1]

وخلاصة القول أنّ الدكتور مصلوح يعدّ من الباحثين الأوائل الذين دعوا إلى تبني لسانيات النص واعتمادها في تحليل النصوص في النقد العربي المعاصر، جامعا بين الجانبين النظري والتطبيقي، وإن كان مقلاّ في ذلك. مفيدا من الدراسات الغربية في هذا المجال خاصة بالنسبة لدراستي دي بوجراند ودرسلر في تحديدهما لمعايير النصية السبعة، إلا أنه أعاد صياغة هذه المعايير، وجعلها ثلاثة رابطا بين آليات التحليل النصي الحديثة وما ورد من منجزات نحوية وبلاغية في التراث العربي ، وخاصة كتاب "مفتاح العلوم" للإمام السكاكي، الذي أعاد إدخاله إلى العصر، من خلال تقديم قراءت جديدة تفيد من المعطيات التي وفرتها الدراسات النصية. وخاصة بتفعيله لعوامل "الفاعل والقابل والأثر " التي تأسست عليها نظرية السكاكي، منبها إلى أنّ هذا الكتاب تضمن علم النحو والصرف وهي بمثابة البنية الكبرى، أمّا علم المعاني البديع والبيان فهي بمثابة البنية الصغرى.كما استطاع أن يقدم ملامح أساسية لنظرية نصية عربية.

(1) حامد عبد السلام السيد : لسانيا النص عند الدكتور مصلوح، ص 380.

الخاتمـــــــــــــــة

بعد تنقلنا بين مختلف المصادر والمراجع التي سعت إلى استجلاء المنجز النقدي للعلامة سعد مصلوح، نقول بأن مسعانا هذا ماهو إلا محاولة للاقتراب من هذا المنجز، الذي لم يحظ بما يستحق من العناية والمدارسة. وإنّ أقلام الباحثين لم تقم باستكشافه بعد، ما عدا بعض المحاولات الفردية غير المنتظمة. وقد انتهينا إلى النتائج الآتية:

_ إنّ الإسهامات النقدية للدكتور مصلوح هي ترجمة لمشروعه الطّموح، الذي جهد من أجل تجسيده نظرية وتطبيقا، والمتأسس على رؤية لسانية راسخة، تسعى إلى الانتقال بالنقد العربي من طور الأحكام الجاهزة المعتمدة على الذوق إلى أفق علمي مؤسس.

_ يعدّ العلاّمة سعد مصلوح من أهم الباحثين في الحقل الاصطلاحي سواء ما تعلّق بالمصطلح اللساني أو المصطلح النقدي، حيث ألفيناه يسعى لتخريج مصطلحات تتوافق في جانبها الدلالي مع المصطلح الوافد، وفي الوقت ذاته يتخيرها ذات صلة بالتراث النحوي والبلاغي العربي. من جهة أخرى وظف بعض المصطلحات ذات مقطعين أحدهما عربي والآخر أجنبي كنوع من اللاحقة، لتوسيع إمكانيات الترجمة، وفتح آفاق جديدة أمام المصطلحية لتأخذ مكانها في الثقافة العربية. ويمكن لهذا الحقل المعرفي أن يستقل ببحث مستقل، من خلال استقصاء جملة المصطلحات التي وظفها الدكتور مصلوح ومقارنتها بنظيرتها لدى الباحثين الآخرين، والفلسفة المعتمدة أثناء تخريجها. مع العلم أنه يعدّ علما من أعلام الترجمة.

_ الإيمان باللسانيات وعطاءاتها المعرفية وتأسيس الدرس النقدي على مقولاتها ومرتكزاتها، لإضفاء الموضوعية والعقلنة على النقد الأدبي.

_ بروز الشخصية النقدية التي تسعى لتحقيق غايات محدّدة اتجاه النقد العربي وتراثه؛ إذ أنّ اعتماده على النظريات الغربية لم يكن تبعيا، وإنما من خلال رؤية نقدية واعية ، حاولت الإفادة من معطيات العصر مع الحفر في المعطيات التراثية واستحضار ما صلح منها إلى العصر ، كما فعل مع كتاب " مفتاح العلوم " للسكاكي، وإفادته من معطيات " الفاعل والقابل والأثر" التي وردت في الكتاب المذكور مع دمجها مع منجزات نحو النص.

_ الرّيادة العربية وحتى العالمية لبعض حقول البحث على غرار الإحصاء الأسلوبي، الذي وظّف فيه مقاييس عالمية معروفة، لكنه أضاف مقياس التلخيص لقياس درجة التعابير المجازية أو اللغة الشارحة في الأعمال النقدية، التي يفترض فيها استخدام لغة علمية واصفة تعتمد على جهاز اصطلاحي، على أساس أنه لا يمكن "دراسة فن بفن" .

بالإضافة إلى الجغرافية الأسلوبية؛ حيث أبان من خلال هذا الحقل عن قدرة على الابتكار والتجديد باستحداث منهج جديد للبحث ، يساعد على حلّ بعض القضايا النقدية العالقة أو فتح المجال لاستكشاف طاقات النصوص الأدبية، لا في العربية وحدها ولكن في عديد اللغات، من خلال الاعتماد على منجزات الجغرافية اللغوية ، مع الارتقاء بها إلى مستوى دراسة الأساليب الأدبية ، في شتى الأجناس الأدبية وبتوسيع دائرة الدراسة لتشمل شتى الفنون وأشكال القول كالنصوص العلمية والأدبية في الكتب وفي الوسائل السمعية البصرية والصحفية وغيرها، مع العلم أنّ هذا المشروع بقي دون اختبار وإنما تركه الدكتور سعد مصلوح مفتوحا أمام الباحثين.

_ على الرغم من تشتت أبحاثه ونشرها في أوقات متباعدة، تمتد من مطلع ثمانينيا القرن العشرين إلى يومنا هذا، فإنه يحكمها رابط واحد ناجم عن رؤية منهجية و غاية موحّدتين.، هما التأسيس لنقد علمي موضوعي، وفتح آفاق بحثية جديدة .

_ المداخل النظرية في أبحاث العلّامة سعد مصلوح تأتي _ غالبا _ مشفوعة بإجراءات تطبيقية تبرهن على صحة ما ذهب إليه، ونجد ذلك مثلا في تقديمه للمقاييس الإحصائية الأسلوبية المختلفة، ونقلها إلى العربية مع تعديل ما يستدعي التعديل ليوافق طبيعة اللغة المنقول إليها، مع اختبار إجراءاتها على عدد متنوع من نصوص وأجناس أدبية متنوعة في عصور مختلفة، كاختباره لمعادلة بويزمان وتطبيقها على نصوص نثرية لكاتب واحد كما هو الحال بين كتابي " الأيام " و" مستقبل الثقافة في مصر" لطه حسين، أو بين عدد من الكتّاب كطه حسين والعقاد في السيرة الذاتية أو في الكتابة الموضوعية. بل وحتى في الرواية والمسرحية.

_ تخضع الآليات الإجرائية التي استعملها سعد مصلوح إلى التصرف ، من أجل تكييف المقاييس مع بعض خصائص اللغة العربية، كما لمسنا ذلك في اعتماده لمقياس جونسون ولاندون وغيرها.

_ الإلمام بالثقافتين العربية والغربية ، والتسلح بالمعارف المتنوعة مع المرونة في التعامل معهما، بهدف الوصول منهج يحمل ملامح عربية.

_ التسلّح بالوعي عند معالجة بعض المسائل النقدية، فهو لا يطبّق المنهج بكل حذافره ودون مناقشة أو تحليل، وإنما يقوم بمراجعته .

_ الاعتماد على مصادر غربية نادرة، عند التنظير لمنهج أو نظرية كما حصل مع معادلة بويزمان ومقياس جونسون وغيرها، فهو أول من أدخل هذه المقاييس إلى النقد العربي، وقام باختبارها.

_ إعادة الاعتبار لكتاب " مفتاح العلوم" للسكاكي باعتماد منجزات نحو النص. وتبرئة صاحبه من التهمة التي نسبت إليه وبقيت لصيقة به على مدى العصور وتتمثل في كونه من أصاب البلاغة العربية بالجمود. ثم بالبحث في هذا المصدر عمّا يمكن أن يتلاءم مع الدراسة النصية، بل وقد يصلح لدراسات أخرى. كما أشار إلى مصادر أخرى تحتاج إلى الحفر فيها مثل كتاب " منهاج البلغاء وسراج الأدباء "

_ جلّ جهود الدكتور مصلوح انصبّت حول الإحصاء الأسلوبي بمقاييسه المختلفة. إيمانا منه بالإمكانات التي يتوافر عليها، وبأهميته في حلّ بعض القضايا العالقة في النقد العربي القديم والحديث والمعاصر مثل قضية الانتحال، وقضية اللغة الشارحة في النقد وتوظيف الاستعارة لدى شعراء من عصور متفاوتة، مثل البارودي وشوقي والشابي، من أجل الوقوف عند عناصر التجديد فيها.

_ المعالجة الأسلوبية الإحصائية ليست بديلا ألسنيا للنقد الأدبي، بل هي إجراء ضمن مجموعة من المناهج، حتى يكشف كل واحد منها عن بعض جوانب النص الأدبي وأسلوبه الذي يبقى عصيا لا على التعريف والمفهوم فقط ، وإنما على الإحاطة به وكشف خصائصه .

_ الإحصاء الأسلوبي لا يتوقف عند العد ورسم الجداول والبيانات ، وإنما تكمن أهميته في تحويل ذلك إلى دلالات وتأويلا.

_ القيام بجهود فردية جبارة، هي في الأصل من اختصاص المؤسسات؛ إذ أن مجمل الإحصاءات الأسلوبية التي قام بها تتطلب جهودا جماعية، ومع ذلك فقد أنجزها بكفاءة عالية وصبر نادر، على الرغم مما يعتريها من مخاطر.

_ تمثّل أبحاثه النظرية والتطبيقية مرجعية اقتدى بها كثير من الباحثين واتخذوها مرجعيات لبحوثهم ، إذ أنّ جلّ الباحثين الذين اتخذوا من الإحصاء الأسلوبي إجراء اعتمدوا على مؤلفاته مصادر أساسية لأبحاثهم.

_ ارتياد آفاق جديدة بتشقيق علم من علم كما هو الحال مع الجغرافية الأسلوبية الذي شققه من الجغرافية اللغوية.

_ تقديم بعض المداخل النظرية على أساس أنها خارطة طريق دون الجانب التطبيقي مثل الجغرافية الأسلوبية و مقياس التلخيص لاختبار اللغة النقدية.

_ اتساع اهتماماته لتشمل العلوم اللغوية والبلاغية والعروضية والمصطلحية ونقد النقد ومراجعة الكتب ومناقشة البحوث.وبالتالي فمنجزه يحتاج إلى مجهودات كبيرة لاستكشافه ووضعه على محك النقد.

_ تنوع وثراء المنجز النقدي للدكتور مصلوح وطرحه الجديد، الأمر الذي من شأنه أن يحفّز الباحثين على خوض غماره؛ إذ أنّ كل مبحث يصلح مشروعا للتداول النقدي. حتى ينال ما يستحقّ من العناية والمكانة التي هو حقيق بها.

_ شملت دراساته التطبيقية نصوصا متنوعة من حيث العصر ومن حيث الجنس الأدبي، مع الاعتماد على عيّنات مختلفة من الكتّاب والنصوص.وإن كان التركيز على الكتاب المصريين.

_ تفعيل آلية نقد النّقد، لما لها من أهمية عظيمة في إثراء المناهج والمقولات وتعديلها. خاصة مع توفر التراكم النقدي وحاجته إلى المعالجة.

_ استعمال لغة واصفة، غاية في الدقة العلمية تتواءم وطبيعة الخطاب النقدي تحتاج إلى _ بدورها _ إلى بحث وعناية، من أجل استكشاف مدى مواءمتها لطبيعة محمولها.

_ إعادة النظر في بعض القضايا النقدية التي أصبحت بمثابة قواعد راسخة منها قضية الفصل بين الشكل والمضمون، و قيام القصيدة الجاهلية على وحدة البيت، وقد أثبت أنّ هذه المقولات ليست ثابتة ، بل هي بحاجة إلى تصحيح، من خلال المعطيات التي قدمها نحو النص.

_ لا يكمن دور المحسنات البديعية في التزيين والتحسين فقط ، كما شائعا ومازال بقدر ما يكمن في تحقيق السبك والحبك.

_ ما قدم من دراسات عن سعد مصلوح لا يغطي سوى جوانب قليلة من منجزه النقدي، الذي ما زال بحاجة إلى الدراسة والمباحثة والحفر.

_ لم يحظ الدكتور مصلوح بالمكانة التي يستحقها بالنظر إلى القيمة العلمية والمعرفية لمنجزه.

الملـــــــــــخصات

1/ ملخص الرسالة باللغة العربية:

النقد اللساني لدى سعد مصلوح:

تناول هذا البحث موضوع النقد اللساني لدى سعد مصلوح، حيث عالج العلاقة بين النقد الأدبي و اللسانيات، انطلاقا من الثورة التي أحدثتها هذه الأخيرة في دراسة اللغة.

وإذا كانت اللسانيات السوسيرية في بدايتها ، قد استبعدت النصوص الأدبية ، عن مجال دراستها، فإنها عادت لتميّز بين دراسة الخطاب اللغوي والخطاب الأدبي. مما أدى إلى توثيق الصلة بين النقد الأدبي واللسانيات، مما كان سببا في ظهور المناهج النقدية النسقية على اختلاف اتجاهاتها ، والتي تعتدّ على المقولات اللسانية وتتكئ عليها، كالأسلوبية والبنيوية والتفكيكية والسيميائية والشعريات.

وقد ألحّ الدكتور سعد مصلوح على هذه العلاقة ، التي رأى أنها المرتكز الأساسي لكل نقد أدبي، فاشترط المعرفة اللسانية لكل ممارسة نقدية.

وإذا كان المنجز النقدي لسعد مصلوح قد شمل موضوعات كثيرة، فإنّه خصّ الأسلوبية الإحصائية بقسط وافر من دراسته، وعلى رأسها الأسلوبية الإحصائية التي تناولها من الجانبين النظري والتطبيقي؛ إذ درس في الجانب الأخير نماذج متعدّدة من النصوص الشعرية والروائية والمسرحية، لدى بعض الأعلام البارزين في الأدب العربي، من خلال تطبيق مقاييس إحصائية محدّدة.

كما قدّم مشروعا رائدا، لم يسبق إليه من قبل ، وهو الجغرافية الأسلوبية، معتمدا على منجزات الجغرافية اللغوية، والأسس التي قامت عليها، موضّحا طرق المعالجة ومراحلها، مبرزا الفرق بين الجغرافية اللغوية والجغرافية الأسلوبية.

بالإضافة إلى موضوع نحو النص ، حيث قدّم مدخلا نظريا حول هذا العلم الوافد. مجريا بعض التعديلات عليه، ليتمّ على ضوء منجزاته دراسة كتابين هامّين هما "مفتاح العلوم" لأبي يعقوب السكاكي و" اللغة العربية : معناها ومبناها" لتمام حسّان. مبرزا علاقة الكتابين بنحو النص.

كما قدّم دراسة تطبيقية، باستخدام الأدوات الإجرائية المعتمدة في التحليل النصي، تمثّلت في قصيدة جاهلية للمرقش الأصغر.

واعتمادا على هذه الدراسات تمّ التوصل إلى نتائج سجلت في خاتمة البحث.

Résumé de la these:

La critique linguistique chez Saad Musloh.

Cette recherche a etudié le sujet de la critique linguistique de Saad Musloh.

Il a analysé la relation entre la critique littéraire , et la linguistique ; partant de la révolution qu' il a mené concernant l'étude de la langue.

Mais si ; la linguistique de saussure à son début a écarté les textes littéraires dans le cadre de son étude . Elle a réapparu , pour distinguer entre l'étude du discours normal, et le discours littéraire .Cette situation a conduit à une relation entre la critique et la linguistique .Ce qui fut un motif , à l' émergence de méthodes , basées sur les données linguistiques comme : la stylistique , le structuralisme, la déconstructurisme , la sémiotique , et la poétique .

L'exposition de la position du Dr Saad Musloh , sur cette relation , qu"il considérait comme la base de toute critique littéraire pour la critique , il avait besoin de ses connaissances linguistiques , dans chaque pratique.

Et si le succés critique du Dr Musloh a traité de nombreux sujets . Il a distingué la stylolinguistique dans sa grande partie , de son étude. Et surtout la stylolinguistique , a traité a la fois la théorie appliquée.

Dans ce dernier aspect , il a étudié divers modeles de textes poétiques , narratifs , dramaturges, et critiques de personnalités de la littérature arabe. A l'aide de mesures statistiques spécifiques.

Il a également présenté , un projets pionnier qui n'a jamais été géostylistique sur la base de géolinguistique, les fondements sur

les quels , elle fut basée , avec méthodes , et les étapes du traitements . En soulignant , la différence entre la géolinguistique et la géostylistique .

En plus d'un sujet de grammaire de texte , ou il a fourni une tribution théorique , sur cet intrus scientifique , pour y apporter quelques ajustements . Et ,à faire des réalisations de l'étude de deux livres qui sont: " Clée de sciences " de Abu yaakoub Sokaki, et " La langue arabe ; sens et structure" de Tamam Hassan . en soulignant la relation entre les deux livres et la grammaire du textes.

Il a également présenté une étude appliquée en utilisant les outils d' une façon adapteé dans l'analyse textuelle représentée dans un poème pré – Islamique d'El mourakech-El –Asghar.

Et sur la base de ses approches, des résultats ont été trouvées dans la conclusion de la recherche.

3/ The summary of the thesis:

The linguistic critism of Saad Musloh.

This research deals with the linguistic critism of Saad Musloh; where he dealt with the relation ship between literary critism and linguistic; from the revolution which brought by the latter to the study of linguage.

Although the Suriss linguistics excluded the litrary texts from the field of study at the beggening , it returned again to distinguish between the study of linguistic discourse and the literary one which led to a closer relation ship between critism and linguistics and it was the reason of the appearance of conisstant of curriculms which based on linguistics ,as stylistic, structuralism, deconsrulism, semiotic, and poetics.

Also I talked about the opinion of Saad Musloh from this relation ship, which he saw as the basis of any literary critism and he required the linguistic knowledge any critism exercise.

And if the critism achievement of Dr Musloh has addressed many topics, he gave a great part of his study to stylistics and he dealt speacially with stylistic statistical which he studied from both theoretical and applied (practical) as he studied in the latter (applied) several models of poetic tescts, nrrative, play and critism of some prominent arab lierature figures through a specific statistical measures.

He also presented a pioneer project that has never been before wich is geostylistic based on the achievements of geolinguistic; its basis analysis methods and its stages highlighting the defference between geolinguistic and geostylistic.

In addition to the subject of grammatical text, he provided a thearitical imput on this new science with some adaptation . In the light of his achievements into i;portant books have been studied " The key to the sciences" of Abu Yaakoub Sakaki qnd the book of " The arabic language, meaning and structure" of Tamam Hassan , shouing the relationship of the two books with grammatical text .

He also presented a pratical study using the procedural tools used in the textual analysis represented in a jahilia poem for Elmoraqash Alassghar.

On the basis of thise studies results were found in the coclusion of the research.

قائمة المصادر والمراجع

_ قائمة المصادر والمراجع :

_ القرآن الكريم (برواية الإمام ورش).

_1/ المصادر (مدوّنة البحث) :

_ سعد مصلوح:

1_ الأسلوب:دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة ، مصر ، ط2010 4 .

2_ دراسة السمع والكلام:صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005.

3 _في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : آفاق جديدة ، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2010.

4_ في تاريخ العربية: مغامرات بحثية، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 2017.

5 _ في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة ، ط4، 2010.

6_ في النقد اللساني : دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2010.

7_ في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومثاقفات، عالم الكتب ، القاهرة ط 2، 2015.

8_ في اللسانيات والنقد: أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2017.

ب / المراجع:

1/ المراجع باللغة العربية:

9_ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، 1998.

10_ أبو الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط2، 1982.

11_ أبو الفتح ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1952.

12_ أبو هلال العسكري: الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1985.

13_ أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1987.

14_ أحمد عفيفي :نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط2001 1.

15_ أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1996.

16 _ أحمد يوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

17_أمين الخولي: فن القول، دار الفكر العربي، القاهرة ،ط1947 1.

18_ أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو و البلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط1، 1961.

19_ بدر الدين محمد الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، دون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

20_ تمام حسّان : اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، دون ذكر رقم الطبعة ، 1994.

21_ توفيق الزيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1984.

22_ جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة، المكتبة العصرية، بيروت ط1987 1.

23_ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، ط1، 1978.

24_ جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة.

25_ جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1998.

26_ حافظ اسماعيلي علوي وامحمد الملاخ: قضايا ابستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ، ناشرون، بيروت ، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2009.

27_ حسن ناظم : البنى الأسلوبية ، دراسة في أنشودة المطر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2002.

28_ رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة ، الجزائر، دون ذكر رقم الطبعة، 2010.

29_ سعيد حسن بحيري: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، و مكتبة لبنان ، ناشرون، بيروت، ط1، 1997.

30_ صلاح فضل : علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، دار الشروق ، القاهرة، ط1 1998.

31_ محمد أركون: الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت ، ط3، 1985.

32_ محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

33_ محمد شوقي الزين وآخرون : جاك دريدا : ما الآن؟ ماذا عن غد؟ الحدث التفكيك،، الخطاب، دار الفارابي، بيروت ، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.

34_ محمد عبد السميع طيبة: مبادئ الإحصاء، دار البداية ، عمان ، الأردن، ط1، 2007.

35_ محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية ، لونجمان،القاهرة ، ط1994 1.

36_ محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، دونذكر رقم الطبعة، 1981.

37_ المختار كريّم : الأسلوب والإحصاء، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، دون ذكر رقم الطبعة، 2006.

38_ منذر عياشي : الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002.

39_ موريس أبو ناضر: الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والتطبيق، دار النهار العربية ، لبنان ، ط1، 1979.

40_ عبد الجليل مرتاض: التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة الجزائر، ط1، 2009.

41_ عبد السلام المسدّي : الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، ط6، 2014.

42_ عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1، 2004.

43_ عبد العزيز فهمي هيكل: مبادئ الأساليب الإحصائية، المركز الدولي لتعليم الإحصاء، ط1، 1966.

44_ يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

45_ يوسف وغليسي وآخرون : سعد عبد العزيز مصلوح، سيرة ومسيرة، وبحوث مهداة، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2016.

2/ المراجع المعربة:

46_ بيار غيرو: الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للطباعة والترجمة والنشر، حلب ، ط2، 1994.

47_ تيري إيجلتون: نظرية الأدب ،دراسات نقدية عالمية، منشورات وزارة الثقافة السورية ، ط1، 1995.

48_ تزيفطان تودوروف: الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1990.

49_ جاك دريدا: الصوت والظاهرة، ترجمة فتحي انقزّو، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 2005.

50_ جاك دريدا: الكتابة والاختلاف: ترجمة جهاد كاظم،دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.

51_ ديفيد جيه هاند: علم الإحصاء، ترجمة أحمد شكل ومراجعة محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ط2016 1.

52_ جورج موليني: الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ط1، 1999.

53_ سايمون كلارك: أسس البنيوية، نقد ليفي ستراوس والحركة البنيوية، ، مراجعة ابراهيم فتحي، دار بدائل، القاهرة، ط1، 2015.

54_ روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسّان، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 1989.

55_ رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 1988.

56_ فان ديك : النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2013 1.

57_ فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001.

58_ فردينان دو سوسير : علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، آفاق عربية دمشق، ، ط3، 1985.

59_ فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق ، سوريا، ط1، 2003.

60_ كاتي وايلز: معجم الأسلوبيات: ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014.

61_ كلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص : مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2005.

62_ ميلكا إفتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح، ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط2، 2000.

63_ هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتعليق محمد العمري،افريقيا الشرق بيروت/ الدار البيضاء 1999.

3/ المراجع باللغات الأجنبية:

64_ Ch.Bally: traité de stylistique française; Buch hand lung Hendberg;Carl Winter's 2eme édition ; 1921.

65_ De Terence c Mills: a statistical biography of George Undny Yule. Aloater of the world . www. Cambridge Scholars. com

66_ Ferdinand de Saussure : Cours de linguistique générale ; publier par Charles Bally et Albert Riedlinger 3eme édition 1918.

67_ Jean Michel Adam: Analyse textuelle des discours; niveau ou plans d'analyses; Fillol; linguistique, port 14 (2)2012.

68_ Oswald Ducrot ; Tzvetan Todorov: dictionnaire Encyclopédique des science du language, Seuil ,1972.

69_ Paul Binnett : The statistical measurement of a stylistic trait in Juluis Cesar and As you like it, Vol 8no 1, winter 1957.

70_ Stéphane Saukany: Pierre Guiraud et Pierre Kuentz , la stylistique , cln siect , Paris; 1970.

3/ الرسائل الجامعية :

71_ سامية بن دريس: النص النقدي في المجلات الأكاديمية الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية ، جامعة جيجل، 2013، 2014.

4/ الدوريات:

72_ الخطاب مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، الجزائر، ع3، 2008.

73_ دراسات الأدب المعاصر، طهران، شتاء 1391 هـ ، العدد 16.

74_ دراسات العلوم التربوية، الأردن ، المجلد 42، العدد 2005،2.

75_ فصول مجلة النقد الأدبي ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 1، العدد2، يناير 1981.

76_ **اللغة والأدب** : معهد الأدب واللغة العربية، جامعة الجزائر، العدد 1، 1992.

77 _ العدد 4، 1993.

78_ العدد 11، 1997.

79 _ العدد 14 ،1999

80_ العدد 15، 2001.

81 _ العدد 18، 2008.

82_ Anna Espuniya i Prat: computationallinguistics a bref introduction; 10 ; links & letters;1994.

83_ Frank Richter: Introduction to computational linguistics; seminar Fur sprachwissenschaft. Eberhards- Karl tubingen; Germmany.

84_ Victor Villarreal: scharank, F.A.Mather.N and Mc Grew , K .S (2014) wood clock –Jhonson IV tests of achievement .

Rolling Meadows.Journalpsycoeducation Assessment; 2015;vol 33 .

5/المواقع الإلكترونية:

85_ www. Hamassa blog. .2012/1 /12

86_ www. wikipidia

الفـــــــــــــهرس

الفهرس:

_ الإهداء .....

_ شكر.....

_ المقدمة .....

_ الفصل الأول: بين اللسانيات والنقد الأدبي :16.....74

الفصل الثاني: الأسلوبية الإحصائية لدى سعد مصلوح : 75.....158

_ الفصل الثالث: الجغرافية الأسلوبية لدى سعد مصلوح:159.....188

_ الفصل الرابع: أجرومية النص لدى سعد مصلوح: 189.....256

_ الخاتمـــــــــة : 257..... 263

_ الملخص باللغة العربيـــــة: 265.....266

_ الملخص باللغـــــة الفرنسية: 267.....268

_ الملخص باللغـــــة الإنجليزية: 269.....270

_ قائمة المصادر والمراجـــع : 271 281

_ الفـــهرس :..... 283